الفصل الأول

كان الوقت يناهز الســادســة من صــباح أحد أيام شــهر يونية، فكانت السماء صافيه، ونسمات الرياح تهب في وداعة تداعب أشــجار الســرو العالية حول فيلا أمون ،والتي تمتد في ارتفاعها فتكاد تعانق نجوم السماء يسكن بين أحضانها الشاهقة في وداعة ، وهدوء البلابل المغردة التي تنطلق في هذا الوقت الباكر منشده اجمل سمفونيات أغاريدها الجميلة تداعبها رائحه الورد والياسمين بألوانها المبهجة فينتشــر عطرها ألخلاب ليســعد القلوب ويبهج الناظرين كما انتشــرت بالقرب حقول الذرة الخضــراء ندية لم تجف أورقها بعد فأخذت تتراقص مع نسيم الصباح فكانت تبدو مثل راقصات الباليه في خفتها، ورشاقتها فأخذت تتمايل في إيقاع متناســق فريد ، وعلى مرمى البصــر خلف الحقول الخضــراء ترى الجبال الشــامخة كأنها ؛ الحارس الأمين لكثير من المســلات والمعابد الفرعونية التي تملأ هذا المكان المترامي في اقصى جنوب مصر لتكتمل اللوحة الإلهية البديعة بسحر النيل حين ينســاب في رقه وجمال حاملا فوقه البواخر النيلية محملة بكثر من البشــر جاءوا لهذا المكان للتمتع بليالي هذه المدينة البديعة بين سحر الماضي والحاضر و سحر الطبيعة الخلاب وبرغم تناسق الأشجار والأزهار الفريد حول هذه الفيلا ألا أنها كانت أكثر الأماكن التي يخشــى الناس الاقتراب منها أو التمتع بعطر زهورها الخلابة . فهل بســب تلك ألوحه الكبيرة التي تم وضعها على سور الفيلا؟ وكتب عليها ممنوع الاقتراب!

ترى هل كانت تلك اللافتة تحذيرا من الاقتراب من الفيلا الفريدة الفاخرة أم تحذيرا لمعرفه ما تخفيه من أسرارها؟

****

"آمون "اختاره صاحب الفيلا اسماً لها من بين الأسماء التي قد قضـــى أجمل ســـنوات عمره بالقرب منهم فكان هذا الاســـم هو المحبب إليه. أما آمون فهو "ســـيد الآلهة المصـــرية "وكبيرها وخالق الكون عند المصري القديم، واسمه يعني (الخفي)

ترى هل كان يريد أن تنال الفيلا من اسم صاحبها بعض الخفاء أيضا؟ ولكن لماذا؟

كان أهل القرية يطلقون هذا الاسـم عليه أيضـا دون علمه بذلك في همسات لا تصل إلى سمعه، أو قد تصل أحيانا ولكن كان لا يعيرها كثير من الاهتمام، وكيف ينتبه لصـــغائر تلك الأمور، وهو عالم الأثار العظيم البالغ من العمر خمسـه وسـبعون عاما، وان كان ألان قد تقاعد عن البحث والتنقيب والذهاب في بعثات استكشافيه كما كان يفعل سابقا، ولكن من يكون آمون هذا كما يطلق عليه أهل القرية؟

انه الدكتور "عوني " رجل رياضـــي ووســـيم فارع الطول ،ترى شعيرات البيضاء تتخلل بعض جوانب رأسه ، ازرق العينين الذى ورثهما عن جده ، أما بشـرته فكانت سـمراء مشـربه بالحمرة مثل كثير من أبناء وادى النيل ، قليل الكلام، لن تســـتطيع أن تعرف عمره الحقيقي جيدا، فهو يبدو اصغر من عمره الحقيقي بعشرة سـنوات على الأقل، يسـكن وحيدا في تلك القرية الصـغيرة داخل الفيلا التي توارثها عن الأجداد ،وكانت ميراثه وميراث أخويه، والتي ظلت هكذا ، فكانت متنفسـا لأبناء الأسـرة لقضـاء بعض العطلات أو الأعياد هنا للتمتع بجمال الطبيعة الســـاحرة بذلك المكان البديع

العلم والأصـــدقاء والعلماء، لم يكن وحيداً كما يبدو لأهل القرية، ولكن كـان وقتـه مكتظ بـالأعمـال من خلال الأنترنـت أو كتـابـه الأبحاث لعدد من المجلات المختصـــة، والأماكن البحثية، وإن لاحظت باب الفيلا مغلقاً لأســـابيع لا يدخل او يخرج أحدا منه فاعلم انهم معه بالداخل يتواصلون عبر شاشة الإنترنت.

وأحيانا لا يكاد اليوم يخلوا من زائرين من القاهرة، أو أي مكان بالعالم قد يكونوا من الأصـــدقاء، أو الأقارب، أو تلاميذه، أو وسائل الإعلام سواء المرئية أو المقروءة عربيه كانت أو اجنبيه، لتقوم بتســـجيل لقاءات معه. فمازال عالم جليل للباحتين ومرجع هام للمهتمين بهذا العلم كان كالنهر الجاري لا ينضـب أبدا –أما غير ذلك. فيعود لكتابة مقالاته النصـــف شـــهرية، وكتابه كتبه وأبحـاثـه. توارث الـدكتور عوني هـذا المكـان عن أجـداده كمـا توارث الأرض المحيطة به أيضـا، وقد اختاره ملازا وسـكنا هادئا فور تقاعده.

كما توارث أهل القرية كثيراً من الحكايات عن الفيلا، والتي لا يقل غموضاً عن غموض الأثار والجبال المحيطة بها، فقد فقدت إبائهم وأجدادهم النوم أيام كثيره بســبب تلك الفيلا، وما يدور بها وحولها من أحداثها غريبـة، وتوارث ابنـاهم الهلع وعدم الســـير بجانب أسوار أو الاقتراب من هذا المكان إذا ما غربت الشمس.

"آمون" –ذلك المكان المتوارث عن الأباء والأجداد الذي اختاره الدكتور عوني، ليكون مســـكن وســـكينه في ذلك العمر، حيث الهدوء والجمال، وبجوار معشـــوقاته من المعابد والمســـلات الفرعونيـة التي تملأ المكـان، ومـازال يكتـب عنهـا مؤلفـات او مقالات حتى الأن.

"آمون "أو "الفيلا المسكونة " كما يطلق عليها سكان القرية، تلك الفيلا العتيقة –ما قصتها ؟! هل حقا ما يدار حولها من أساطير أم مجرد حكايات متوارثه ؟!!

مع انتهاء السنة الدراسية كانت تلك الفيلا العتيقة تتزين، فتم تقليم أشجارها القصيرة، وأعيد ترتيبها، وتنظيفها، فتفرشت أجمل ستائرها، استعدادا لاستقبال ضيوف القاهرة الأعزاء من الأخوة وأبنائهم في ذلك الوقت من كل عام، لقضاء بعض اجازتهم الدراسية في ذلك المكان الذي تحتضن فيه الطبيعة التاريخ. فكان يجد معهم السلوى والمتعة التي حرم فيها من دفئ الأسرة وحنان الزوجة ومرح الأبناء. فهل كانت معشوقاته تأبى ذلك الزواج والارتباط من غيرها؟ .... نعم، فكم كانت تستحوذ على كل وقته وجهده وكيانه فقد أخذه عشقه الأول والأخير لعلم الأثار والتاريخ القديم، فنسى كم مضى من العمر أو كم هو آت. حتى جرى به قطار الحياة سريعآ بلا توقف، فلم يجد أثرآ لمحطه ينظر من خلالها إلى أين وصل به العمر، وإذا به على نهاية الرحلة وحيدآ، بلا زوجه، بلا أبناء، فأصبح راهب المعبد كما يطلق عليه تلاميذه وزملائه –" **راهب المعبد**"

انتهت الرحلة براهب المعبد وسط حديقته الشاسعة المملوءة بكثير من أنواع الأزهار الخلابة، وبجوار حوض صغير للسباحة جلس الدكتور عوني يرتشف فنجان من القهوة مع قراءه الصحف اليومية على نغمات زقزقه العصافير، والبلابل، والطيور الصباحية المنطلقة من اعشاشها في تلك الأشجار الكثيرة والمنتشرة بالحديقة الغناء، فكان يطرب لسماع هذه السيمفونية الرائعة في ذلك الوقت المبكر من صباح كل يوم.

فاذا انتهى من طقوسه الصباحية المعتادة، اخذ في كتابة بعض المقالات النصف شهرية لأحدى المجلات والصحف، كما يقوم أيضا بقراءة بعض الكتب والمراجع العلمية أو تدوين كتاب سيقوم بنشره.

لم تتوق نفسه يوما لأجمل من هذا المكان، ولا أبدع من نسمات الصباح. عشقها دوماً، وماطربت أذنيه يوما لأجمل من تغريد البلابل صباحاً مع رائحة الأزهار والثمار، وفنجان قهوة عربي محوج.

النافذة الحديدية

كما هو دائماً منذ سنوات لم يتغير جمال الصباح في حديقة فيلا آمون كما هو شذا عبير الأزهار، وكما هو تغريد البلابل، وكذلك مكانه الذي اعتاد الجلوس عليه لإنهاء عمله مع قهوته الصباحية.

ولكن كم هو مختلف هذا الصباح الحزين. حيث جلس ذلك اليوم فوق مقعد متحرك .ليس مقعده الذى ينبض معه بالحياة ،فقد القدرة على الحركة وأصبح حبيس هذا ألمقعد نظير الأحداث التي مر بها أخيرا وبقى مكانه بجوار حمام السباحة ، حيث أزهار الفل والياسمين التي تحيط سياح الحديقة فتنثرها عطرها الفواح في كل مكان، ولأول مرة منذ سنوات قد خلت المنضدة من الصحف و كتبه وأقلامه وأوراقه التي اعتاد وضعها لممارسة عمله كل صباح ، وقد تغير أيضاً فنجان القهوة الأنيق ليتم استبداله بكوب كبير من القهوة اخذ يرتشفه في توتر وقلق .تعلو نظراته رعباً وخوفاً دفيناً كلما أشاح بوجهه

لينظر إلى أعلى .. إلى احدى طوابق الفيلا، إلى هناك حيث النافذة الحديدية المطلة على الحديقة.

راح ينظر في حسرة إلى هذه اليد التي تمتد خارج الشرفة في بطيء شديد، لتتحسس طائر من الصقور، كان جالساً على سور النافذة، ولم يخش الطائر من اليد الممتدة إليه بل ظل كما هو واقفا لا يتحرك ناظرا لداخل الغرفة. وكأن هناك حديث خفي دائر بينهم لا يعلمه إلا هما.

ترى من يكون صاحب اليد الجالس خلف النافذة الحديدية؟ وألذى ينظر اليه الدكتور عوني في أسى ورعب في آن واحد ... تملأ عينيه نظرات الحزن الدفين فذهب في عالم من الصمت والحزن.

هل انتهى كل شيء ؟؟؟

سؤال ألقاه الشاب الجالس خلف النافذة، وهو يتحسس الصقر الجالس على مقربة من نافذته، ولم يتحرك ولو مرة منذ وقوفه بجوار تلك النافذة التي خلفها ذلك الفتى، فقط ينظر اليه في صمت وكأنه حارس خاص يدقق ويستمع لكل شيء

أعاد الصقر النظر الطويل إلى الفتى، الذي كرر السؤال ناظراً في عين ذلك الصقر متحسسا جناحيه وراسة، فاستسلم ليد الفتى دون حركة او خوف ومازال واقفاً على سور النافذة، تحدث إلى الصقر في حزن وفى صدمة

مثل النائم الذي لم يستيقظ بعد من نوم عميق. فأخذ يكرر السؤال هل حقا انتهى كل شيء ؟!عائداً بذاكرته إلى الوراء إلى أقل من شهر او أكثر قليلا ...فمن يكون ذلك الشاب محدث الطائر؟ هل هو مجنون؟ أم شيء أكبر من ذلك؟

****

الفصل الثاني

الذكريات قد تكون شكل من أشكال ألحنين واللقاء مع الماضي.
فهل ما تبقى له إلا الذكريات؟

نظر ألجالس خلف ألنافذة الحديدية في عين الصـقر قائلا : نعم ما زالت أتذكر – "اســمى جاجان" ...لم اعرف يومآ أو أحد أفراد أسـرتي أكان هذا الاسـم عربي أو غير ذلك ؟هذا الاسـم الغريب الذى أطلقه على عمى عوني يوم ولادتي ، والتي راحت أمي تناشده في اختيار اسم غيره ، ولكن مع إصرار عمى على ذلك ، رضخت أمي لهذا الاسم الغريب على أسماعنا، فقد كانت تحمل له كثيرا من المودة فلم تستطع أن تحرمه من تسمية أول مولود لأخوه الأصـــغر، وهو الذى لم يتزوج وقد حرم من يوم هكذا ، أيضـآ كنت أول مولود في أسـرتنا الصـغيرة المكونة من :أبى كابتن طيار "جلال" وأمي "هند" الصحفية بأحدي المجلات الإســبوعية و عمتي فريدة المعلمة بإحدى المدارس الإعدادية، وزوجها الأسـتاذ أحمد المحاسـب بأحد البنوك الاسـتثمارية، وما إن أنجبت ابنتها الكبرى رضــوى بعد ولادتي بشــهرين او ثلاثة قررت أن تتفرغ لرعاية أسـرتها، فتقدمت باسـتقالتها من عملها، وبعد عدة سـنوات رزقها الله بيوسـف طفلآ جديدآ بالأسـرة بعد عشــره سـنوات من ميلاد رضــوى – ابنتها الكبرى– أما أنا فقد رزق الله أمي بسارة وهى الأن طالبه بكليه الفنون الجميلة .

وبقي عمى عوني الأخ الأكبر للأســـرة لم يتزوج. فكنـا جميعآ أبنـائـه وأســـرتـه التي تحبـه ويحبهـا، وان تميزت أنـا بكثير من الإهتمـام والحـب فكنـت بمثـابـة الابن الـذي لم ينجبـه. وكـان لي

العم والمعلم الذي ليس فقط، بل أيضا الأب الذي عوضني عن غياب أبى الدائم بحكم عمله ككابتن طيار –كثير السفريات والترحال –

وكما أغدق على من حنان وحب وأبوه شملني أيضا بعلمه الواسع، وثقافته العالية، فأخذت الكثير من طباعه وأخلاقه الهادئة وعلمه، فكثيرا ما كانت امى تطلق على "ابن عوني: تفاخراً وحباً لذلك العالم الجليل.

وأصبحت الإجازة الصيفية هي ملازي، وهي رحلتي المفضلة، حيث أقضيها أو جزء منها هنا، حيث جمال الطبيعة ورهبه التاريخ والمكتبة النادرة بالطابق الأرضي من الفيلا.

وككل إجازتي لابد من طرح السؤال السنوي عن معنى أسمي، وإذا بالإجابة المعتادة من عمى،

عند تخرجك الجامعي سوف أقص لك حكاية الاسم. فكنت انتظر وكأني انتظر نتيجة امتحان ماده من كتبي الدراسية.

وما أسرع الأيام والسنين – حين يرتقب الجميع نتيجة امتحان المرحلة الثانوية تحت ظلال الأشجار بتلك الحديقة الغناء. في احدى الأجازات هنا حيث يجلس عمى وأنا ورضوى كان الصمت يسود المكان وكانت بركين العواصف تطيح بقلوبنا أنا وأبنته خالتي، لتخرج عمتي من باب الفيلا، وتسرع خلفها الخادمة مطلقة زغرودة مدوية علت في أرجاء المكان، فيسرع زوجها عوض الجنائني مبتهجاً لهذا الخبر السعيد الذي أعاد لي وإلى رضوى الحياة مره أخرى فقد كنا في نفس السنة الدراسية، كما كان حلمنا أيضاً الالتحاق بكلية الطب معاً. أتذكر هذا اليوم جيداً. حيث لم يكتف عمى بزغرودة أم محمود فقط، بل أقام

لنا حفل كأنه حفل عرسٍ لا حفل تخرج مرحلة ثانوية، فقد كان لا يدخر أي مجهود أو أي شيء لإدخال البهجة والسرور على أفراد أسرته.

وانتهى الحفل المبهج الذي أقامه لنا على احدى ضفاف النيل بداخل باخرة من البواخر السياحية الفاخرة، والتي تزينت بالأنوار، فكانت مثل عروس ساحرة تتمايل على صفحه النيل الخالد في عظمه وكبرياء ككبرياء ذلك المكان الذي نحن فيه. ظللننا أيام وليالي نتحدث عن تلك الليلة الساحرة، وتمضى السنوات سريعا وننسى التفاصيل ..... إلا جملة نطقها عمى في طريقنا للعودة بعد سهرتنا الجميلة، كم أدهشتنا جميعا تلك الجملة والتي قالها بعفوية! ... ولكن أصابه بعض التوتر حين نطقها .... فنظر إلينا متوترآ ولم يعقب ولم نعقب نحن أيضا على ما قال، وان ساد الصمت بعد ذلك إلى أن وصلت السيارة داخل الفيلا، لينطلق كلآ إلى حجرته فقد تجاوز الوقت الساعة الواحدة مساء.

****

أشرقت شمس صباح اليوم التالي، واجتمعت الأسرة على مائده الإفطار وبعد قليل تحدثت عمتي عن أمسيه الليلة السابقة ،فشكرت أخيها وإن كان ذلك غير جديد عليه .وأخذت أنا أتحدث بهمس إلى رضوى التي راحت تبتسم وتجتهد لتخفى ذلك عن عيون أمها، ولكنها لم تشعر بأن هناك من يرقبنا بعينيه الزرقاوين اللامعتين أحيانا يبتسم، وسرعان ما تعلو وجهه علامات الخوف التي لم نعرف سببها، وبعد قليل من انتهاء الإفطار ذهبت عمتي لتختلي بأخيها في مكانه المفضل بجوار حمام السباحة؛ لمعرفه أحواله وأخباره، ولتأنس به ويأنس بها

بعد غياب شهور طويلة إلا من مكالمات عبر الهاتف لا تغنى عن النظر في وجوه من نحب .

أما هي فقد انطلقت حيث شـــجرة الجميز العتيقة بأوراقها وأغصانها المتعانقة في اقصى الحديقة، والتي كانت تستعد في ذلك الوقت من العام للقاء الحبيبان فنظرت رضوى إلى شجرتها الحبيبة وراحت تتحسس عباره نقشت على ساقها الكبير الضخم "هنا تفتح حبنا". فكان أجمل من زهور الدنيا. كان ينطقها خلفها قبل أن تقرأها، فالتفتت إلى الخلف في خجل وهي تعلم صاحب الصوت "جاجان ". تحسس –جاجان –شعرها اللامع والمسدل على كتفيها، والذي يضـــاهى ســـواد الليل، فابتعدت قليلا كما أبعدت يده عن شـعرها الحريري، لتخفى ابتسـامة خافتة مرتبكة وتســأله في اســتحياء، لم تجلس مع عمى بعد وجئت ألي هنا؟ فقال لها مبتسماً وهل فعلتي ذلك؟ جئت كما جئت ولنفس السبب أيضاً. فأجابته مبتعدة قليلاً عن شجرتها الحبيبة، تركت امى مع أخيها بعض الوقت. فقد تريد أن تحكى شـــيئاً خاص بينهما أو حديث من هذا القبيل، ثم انضـــم إليهما بعد ذلك. فقال لها ضاحكاً. وقد رأى من خجلها ما رأى ... نعم، وأنا كذلك. اقترب جاجان منها، ونظر بحب في عينيها، قائلا: كيف لي أن انتظر؟! وقد انتظرت كثيرا فمنذ انطلقت رحلتنا من القاهرة إلى هنا وأنا انتظر هذا اللقاء ... ألم تعلمي إنه عيد ميلاد حبنا الأول. تتذكرين؟ فاحمرت وجنتاها خجلا، وتوارت قليلا إلى الخلف، وراحت تتنقل بين الأزهار في الحديقة الغناء وكأنها زهرة من زهورها الجميلة بل كانت أجمل من أزهارها جميعاً...

الفصل الثالث

ذهبت السـيدة فريدة بعد الأنتهاء طعام الغذاء، مع أبنائها رضـوى ويوسـف الطالب بالصـــف الثاني من المرحلة الإعدادية، فكان متحمســا للخروج مع الأسرة لفسحة ليلية على ضفاف نهر النيل، وزيارة الأماكن السياحية، فكانت الأضـواء الكاشـفة ليلاً تضـفي عليها غموضـاً رهيباً، فتبدو أكثر روعه مما هي عليه. ولم يكتف يوسـف برحلته الصـباحية، حيث ذهب برفقة ابنة خاله ســارة الطالبة بكلية الفنون الجميلة، والتي حملت معها من القاهرة كثيراً من أوراق الرســـم والألوان كعادتها كل عام فهي تمتلك تلك الموهبة الرائعة منذ حداثه سنها، فكثيرا ما رسمت كل مكان ذهبت اليه، فكان ذلك بمثابة كتالوج توثيق خاص برحلاتها وأسـفارها بطريقتها الخاصـة، فكانت مثال إعجاب كل من شـاهد تلك اللوحات الرائعة. مما شـجعها لاحقاً أن تكون ضـمن صفوف كلية الفنون الجميلة. وها هي أول أجازه صيفية لها بعد نهاية عامها الدراسـي الأول. فكانت زيارتها لعمها الدكتور عوني في تلك المدينة الساحرة التي جمعت بين جدرنها كل آيات الجمال. فهنا التاريخ يتحدث بين ضـفاف النيل وبهجة الطبيعة الخلابة. الوجهة التي تمزج بين الثقافة الحديثة والتاريخ والمغامرة، مع التسـوق والترفيه على مسـتوى متميز فكانت كثيراً ما تتسـاءل ترى لو رسـم ليوناردو دافينشـي هذا السـحر ترى هل كانت سـتظل الموناليزا أجمل أعماله ؟ !!

أخذت سـارة عدد من السـندوتشـات وزجاجة من المياه؛ لتنطلق ويوسـف ابن عمتها بأوراقها وألوانها خارج المنزل اليوم كاملا كعادتها كل أجازه. ففي حرم هذا الجمال لن تستطيع أن تتنظر في مكان غيره؛ ولن تستطع الانتظار كثيراً لتشاهد الإبهار الذي يأتي اليه السائحين من كل عواصم الدنيا. فذهبت لترسـم وتضـيف صـفحه جديدة لألبوم ذكرياتها الخاص. فكانت نهمه لكل شـيء. راحت ترسم معبد الكرنك، ذلك المعبد الفرعوني

الذي بناه ملوك الدولة الوسطي على الشط الشرقي. بنى المعبد الإله أمون (أمون رع في العصر الحديث) وزوجته الإلهة" موت" وابنهم الاله "خونسو"؛ ولكل منهم معبد، ولذلك هو مجمع معابد وليس معبدا فقط معابد الكرنك . أما تسميه الكرنك فتعني القرية المحصنة وعرف منذ الفتح العربي الإسلامي باسم الكرنك بمعنى الحصن.

"إذا ذهبت إلى محراب التاريخ والجمال فيجب أن تتعبد."

وها هي قد خرجت لوحتها من محراب الجمال مثل قطعه من الأساطير الفرعونية الساحرة. وهذه المرة لن تكتفى بإضافتها لباقي اللوحات في ألبومها الخاص ولكنها ستفتخر بها عند لقاء أصحابها فور عودتها إلى القاهرة. كان يوسف مساعدها الصغير، وقد فرح بهذه المهمة فأخذ يناولها بعض الألوان أو زجاجه المياه في مقابل أن يقضى معها اليوم، ويكون رفيقها الأيام التالية في كثير من الأماكن التي تقوم برسمها، ويستمتع بزيرتها كثيرا. فكان يمتد الوقت بهما في الخارج حتى المساء في كثير من الأوقات

****

دخل الدكتور عوني لغرفه المكتب لأجراء مكالمة هاتفيه ومراجعة بعض المقالات، وجلس جاجان بالشرفة الكبيرة المطلة على الحديقة، وقد مالت الشمس نحو الغروب لترمى بخيوطها الحمراء أعلى قمم الأشجار. كما يعلن تغريد العصافير عودتها إلى أعشاشها تغريدآ يخطف الألباب. فتتمايل معه أغصان الأشجار مرحبة بعودة سكانها. فنادى أم محمود طالبا كوبا من العصير الطازج ليشاهد هذه اللوحة الإلهية الخلابة وقت الغروب.

وقد أسدى الليل ستائره سريعا، فاخذ المكان شكلاً موحشاً بعيداً عن تجمع الأهل وصحبة الأحباب، ثم جال بخاطره أن يبحث في الإنترنت عن معنى اسمه والذي يخفيه عمه عنه، ولماذا اختار له هذا الاسم

الغريب الذي كثيرا ما كان مثار جدلا بين زملائه او مثار ســـخريه في بعض الأحيان حتى أعتاد على ذلك. وأيضـا كي يقتل بعض الوقت في وحدته هذه. بدأ جاجان بحثه في العديد من المواقع الإلكترونية ليكتشف إن لأســـمه أكثر من معنى. فهنأك رأي يقول بانه البعيد عن الأرض القريب من السماء. وأخر يقول بانه من الأصـل. فتملكته الحيرة بعض الوقت. وقد ازداد الأمر غموضـا ... من هو الذي من الأصـل؟!! وإذا كان ذلك يعنى بعيدآ عن الأرض ... فماذا يخشـــاه عمى في الأرض حتى يريدني قريبآ من السـماء ؟!! فاسـتسـلم أخيرا ثم أدرك بأن السـر مازال لدى عمه الذي وعده بالإفصـــاح عنه إذا ما بلغ العشـــرين من العمر،

العشرون .... أهو رقم .... أم هو سر ؟!!

هنا يجلس العظماء هنا ملوك التاريخ فاذا كنت في حضـــرتهم فتذكر مع من تكون وقبل دخول هذا المكان المقدس يجب إن تعطر يديك قبل مس تاريخهم.

هكذا تذكرت كلمات عمى كلما دخلنا إلى مكتبته العملاقة الباهرة، والتي تضم كتبآ ومجلدات قديمة أو حديثة،

وكثيرا من مراجعه العلمية التي خصص لها حائطآ ضخمآ خاص بها– خاص بكتب التاريخ –أما باقي المكتبة فكانت تشـمل بين جدرانها كثيرآ من العلوم والثقافات المختلفة والمتنوعة بلغات عدة. حقآ، لهذا المكان أن يكون من المقدســات حيث النظافة والنظام والرقى. كان بمثابة بحر عظيم من المعرفة.

على المنضـدة سـتجد فهرس أنيق يشـمل جميع أسـماء الكتب والمراجع وسنة طباعتها ومؤلفها وأين توجد على الارفف ورقم الرف الذي يوضـع عليه الكتاب ...كان ذلك الفهرس من أهم الأشـياء هنا. فقد يسـر علينا

عناء البحث مع هذا الكم الهائل من العلوم. فكانت مكتبة عمى تضاهى أجمل مكتبات العالم ...

اقرأ كما تحب ... ابحث فيما تريد ... ولكن .... ابتعد .... نعم كلمات كثيرا أعيدت على أسماعنا إذا ما دخل أحد أفراد الأسرة لقراءة كتاب ... نعم ... ابتعد عن تلك الحجرة ذات الباب الصغير الحجم، والذي يحمل بابها قفلا يبدو شديد الضخامة لمثل حجم هذا الباب. قفلا يبدو على بعض جنباته لونآ اسودآ أو صدآ وكأنه لم يفتح منذ سنوات.

سرآ أخر من أسرار الدكتور عوني التي لا يعرفها أحد ... ذلك الرجل كثير الأسرار. كثيرا ما همس بعض أفراد العائلة عما يمكن أن تحتويه تلك الغرفة ... هل هو كنز دفين؟ أوقد تكون مومياء فرعونية يخفيها الدكتور كما نرى بالأفلام ؟!!. وتذكر ذات مره سأل يوسف عن سر الغرفة. كان في عمر أصغر من عمره هذا بسنوات طفلآ صغيرآ لم يتعد عشرة سنوات وان كانت حداثة عمره ما شفعت له في ذلك الوقت .... حين سأل ببراءة الأطفال ممكن تفتح الغرفة أشوف فيها أيه يا خالو ؟؟

وهنا انتفض الدكتور عوني كمن سكب عليه زيت مغلي، ووقف متجهمآ محذرا من عدم الاقتراب من تلك الغرفة، او مجرد إعادة الحديث عنها حتى في حالة موته ....

وبدأ الأمر غريبا علينا فلم يرى أحدآ منا عمى بتلك الصورة من قبل ولكن تحول الأمر إلى دهشه ورهبه مما قاله–حتى في حالة موته. ليتساءل كلا بداخله عن سر تلك الحجرة ؟!!

حتى أصبح يطلق عليها الجميع الغرفة المحرمة، أو حجره الكنز، أو الحجرة المسحورة، كثيرا من الأسماء أطلقتها العائلة، حتى مضت السنوات، وأصبح الجميع لا يهتم بأمر هذه الحجرة كما كان من قبل،

فلكل منا أسراره، ولكن كيف لمثل هذا الرجل أن يمتلك أسراره كل هذه السنوات ؟! ولكن يوما ما ستنكشف الأسرار وتفتح الأبواب.

اقترب جاجان من المنضـــدة كي يتناول فهرس الكتب بحثآ عن كتاب يقطع به وحشــة المكان وسـكونه في ذلك الوقت. وفجاءة ... تسـارعت نبضـــات قلبه واتســعت عيناه وفتح فاه عن أخره، لكنه لم يســتطيع أن ينطق بكلمه واحده من هول الصــدمة التي شــاهدها. هل يمد يده لذلك المفتاح الغريب الذي يتوســط المنضــدة وهو يعرفه جيدا؟ ذلك المفتاح الذي لا يفارق جيب عمى الداخلي أبدآ حتى عند نومه كان يضـــعه تحت راســة. وأخذ ت الأفكار والأســئلة تدور بعقل جاجان الذي توقف عن التفكير. هل يمكن أن ينســى الدكتور المفتاح هنا؟ أم سـقط منه فوضعه أحد الخدم هنا؟

جهلا منه معرفته من يكون صاحب هذا المفتاح؟ أو لأي الأماكن هو، راح جاجان في صراع نفسي ايقترب من المفتاح رغم تحذير عمه لذلك؟ أم الفضول قتل القط كما يقول المثل الإنجليزي.... ؟

نعم، جميعا نحمل مارد الفضول. فهناك من يستطيع ترويضه وإن كانت هناك لحظات لا تسـتطيع أن تسـيطر عليه، فينطلق من أعماق القبقب كمارد رهيب ضـاربآ كل قواعد الحذر لا غيآ بصيره العقل؛ ليبقى متشوقآ متلهفآ جائعآ للمعرفة فقط ليشـبع جوعه للفضـول. فكان مارد الفضـول أكثر عيبآ يتملكه. فلم يهتم بكل تسـاؤلاته وتوقفت بصـيرة العقل ولم يعد يصغى، وفي كل الأحوال انطلق المارد .... مارد الفضول .... ولم يعد غير سؤال فقط ماذا خلف الباب المغلق؟

خطف جاجان المفتاح مسرعآ ضـاربآ بعرض الحائط تعليمات عمه نسيآ رهبته وخوفه التي مازالت تعتلى قســمات وجهه وأخذت يده المرتعشــة

تضـــع المفتاح في القفل الموضـــوع على باب الحجرة المغلقة هناك في ذلك الحيز الصغير من المكتبة. محدثآ نفسه فليكن ما يكون ...

ترى هل كان فضولآ .... او حان الموعد مع القدر ؟؟؟

****

انطلق الهاتف عالياً في ذلك الوقت من الليل الذي قاربت فيه الســـاعة الثامنة مساءآ.

كانت فريدة مازالت بالخارج، ففي تلك المدينة الســـاحرة لن تعرف النوم ليلآ، فكثيرا ما يفضـل زائريها من الأجانب أو من المصـريين التمتع بها صباحآ. حيث شمسها المشرقة ومعابدها الثمينة، والتي ظلت ولاتزال من عجائب الدنيا السبع القديمة أو التجول ليلآ على ضفاف نيلها الخالد.

الوقت لم يكن عامل يخشــاه أحدآ فمهما تأخر بك الوقت هنا ســتشــعر بالطمأنينة والأمان ودفئ الوجوه السمراء الباسمة المحبة.

تناول الدكتور سماعة الهاتف ليلقى السلام بحرارة على محدثه على الطرف الآخر.

– السلام عليكم عامل أيه؟ أخبارك أيه؟ هل كل الأمور بخير؟

يجيب الدكتور عوني على الدكتور ميلاد صديق عمره ورحلة كفاحه العلمية كعالم آثار مثله

عمل معآ أكثر من ثلاثون عاما، وأيضا أمين أسراره.

هل هناك شيءً جديدً ...؟ هانت يا عوني كلها شهور قليلة! أعرف أنه حمل ثقيل.

نعم، ياميلاد وأتمنى أن تطوى الشهور الباقية لم تعلم كم تمضي على تلك السنوات

أرجوك يا ميلاد لو حدث لي أي شيء. أنت من ستكون بدلا منى فلا أحد يعلم بالأمر

انه سر ليس كأيٍ من الأسرار وأنت تعلم ذلك ياميلاد. تقريباً لا أنام منذ علمنا معا ذلك السر

ألخطير معآ.

سهلت يا عوني أعانك الله

- ولكن هل تعلم يا ميلاد؟ كنت سأتصل بك صباحآ ... أشعر هذة الليلة بشيء غريب.

وكأنها إحدى العلامات والإشارات. أكاد أجن أن كان ذلك صحيحآ ... وأنت تعلم إذا ما سمعت أو أحسست بأي من العلامات ستشعر بها مثلى ولو كنت في أي مكان بالعالم.

- نعم ياعونى يشعر بها فقط من يعرف السر. وأنا شريك فيه. ولذلك اتصل بك الآن.
- وأنت نعم الأخ، ونعم الصديق المعين ياميلاد.
- وأنت كذلك صديق العمر. ما بيننا لم يكن رحله عمل فقط ياعونى، فكم تعرضنا في عملنا لكثير من المخاطر؟
- نعم ياميلاد، ولكن هذا السر كان أكثرها رهبة ورعباً. فأنا أشعر أن هناك عواصف وأصوات رعد كأنها قادمة من

داخل الصخور، أو كأنها أتيه من تحطيم الجبال فهل شعرت معي بمثل ذلك؟

- تعرف ياعونى أنك حامل السر الأول، كما أنك تعيش بالقرب منه مما يجعل إحساسك به اقوى.

أما أنا فلا اشعر إلا بالعلامات الفعلية عند حدوثها. فمتى أحسست بذلك؟

- منذ قليل تقريبا نصف ساعة أو أقل .... لا أعلم ينتابني شيآ غريبآ ... شيآ رهيبآ. أيكون تم النداء الأول؟ وملاء الخوف وجهه حين آلت إلى هواجسه هذا الشيء.

- لا تقلقني معك. قد تكون هواجس من فرط تحملك لذلك العبء الذي تحياه وحيدآ منذ سنوات بعيدة

- سنرى غدا كل شيء، وإن كنت أتمنى أن تكون مخاوفي فقط.

- انتبه لنفسك يا صديق. سأتصل بك غدا مره أخرى لأطمئن عليك. تصبح على خير

- تصبح على خير.

هل حقا قد سمع الدكتور عوني شيء؟ أم هي فعلا مخاوف بسبب ما يحمله من سر دفين؟

أم يكون صحيحا تم النداء ؟؟ وحان الموعد مع القدر

****

تسـلل جاجان خلف باب الحجرة الممنوعة ببطء. تملكه الخوف أن يراه أحد فاخذ قلبه يخفق بشدة كما تملكه الرهبة مما قد يراه في هذه الحجرة. التي ظلت سنوات لا يعلم ما قد يكون خلف جدرانها، فلا أحد يعلم ذلك غير عمه. وارتفع صـوت تكات المفتاح القديم، وفتح باب الغرفة برهبة وخوف، فخلف الباب كانت هناك مفاجأة. شـيء ما كان في اسـتقباله بداخل الحجرة، شيئآ قد سحبه بشدة إلى الداخل ثم اغلق الباب سريعا كما كان. ليجد نفسـه وسـط الظلام الدامس، ورائحه الرطوبة العفنة تملا المكان. مضـت لحظات كأنها ألدهر كاد أن يفقد وعيه من هول الصـدمة. فكانت كل خلية في جسـده تحاول الركض إلى الخارج، ولم يكن يستطيع أن يفعل شيئآ. ثم سمع وسط الظلام ذلك الصوت المنذر الخفيض الذي ملأ أذنيه. صـوتُ قويُ وغريبُ وكأنه عملاق أتى على صـهوة جودا من خلال الرياح والأعاصـير تتبعه جيوش من الرمال

والصخور ... صوت غريب أتى من أعماق كهوف الجبال .... صوت من الماضي السحيق! أخذ يردد:

هنا الطريق إلى مدينه الحزن

هنا الطريق الذي يوصل إلى الألم الأبدي

فخيل إلية أن سكان البيت سيحضرون إلى هنا من هول ما سمعوا، وكأن صاحب الصوت يقرأ أفكاره. فاذا به يقول وكان أكثر حده عن ذي قبل! فقط أنت من يسمعني. ولن يستطع أحد غيرك سماعي ... إلا هم ... اتسعت عيناه هولآ وفزعآ فاخذ يتلفت باحثا عن صاحب الصوت، ولم يكن يستطع أن يرى شيئآ حتى أطراف أصابعه في ذلك الظلام الدامس. فراح يتلمس الحائط عله يجد مفتاح الإنارة. وحين لمست يده الحائط سحبها سريعآ في رعب وفزع. فقد كانت هناك أشياء خشنة الملمس أشبه بنتوءات وبروز لا يعرف ما هي ؟! فتسارعت أنفاسه فكان يلتقطها في صعوبة بالغة في ذلك المكان الموحش ذو الجو الخانق، فأخذ على عجل يتحسس كشاف هاتفه بيده المرتعشة من الخوف في هذا المكان. إلا أن المفاجأة هذه المرة كانت أقوى واشد .....

****

أنهي الدكتور عوني مكالمته الهاتفية مع صديقه. فقد كان بأمس الحاجة إلى سماع صوته، فلم يستطيع الانتظار حتى الصباح للإجراء هذه المكالمة حتى لا يزعجه في هذا الوقت، وكان بحاجة إلى من يحمل معه ذلك العبء الثقيل على كاهله منذ سنوات، والذي راح يتتبع ابن أخيه سواء كان قريبآ او بعيدآ عنه. فكان يحاول أن يبقيه تحت عينيه أطول فترة ممكنة. حتى يبلغ عمره العشرون عاما. فراح يعد الأيام والسنين. ولا يعلم سرها سواه وصديقه ميلاد.

انتبه من شـروده على دقات السـاعة الحادية عشـر. فاخذ يلملم أوراقه ومقالاته الذي سيرسـلها للمجلة صـباحا عن طريق البريد الإلكتروني. فلن يعقل أن يذهب إلى القاهرة تاركآ ضيوفه وحدهم هنا، وخصوصا. جاجان!

ثم خرج من المكتب فاذا ببهو الفيلا قد غرق تحت إضاءة خافته. فحدث نفســه قائلآ: يبدو أن الجميع قد ذهبوا إلى النوم. ولم ينتبة أثناء مكالمة ألتلفونية وتوتره أثناء الحوار مع صـــديقة إلى قدوم أخته وأبنائها من الخارج. ولم يعلم ماذا حدث منذ الســادســة تقريبا إلى الأن ... فتراجع عائدا إلى حجرته فلم يكن أحد غيره مســتيقظآ ألي ألان، ولكن قبل أن تمتد يديه إلى مقبض بابها نظر بعيدا ليرى حجره جاجان مغلقة، فنظر بعينية أسفل ألباب كي يرى أثر إضـاءة أو ما يدل على أن من بالغرفة مازال مستيقظآ مثله. فلم يرى غير الظلام. فقال محدثآ نفسه ومبتسمآ. هذا الجيل لا فراغ لديه يبدو أنه قد أمضـــي الوقت على الإنترنت، أو الفيس مع أصـدقائه ثم ذهب للنوم مثل باقي الأسـرة. ثم عاد إلى غرفته مرة أخرى. وقـد اطمئن أن الجميع بغرفهم وقـد ذهبوا في نوم عميق. فبدل ملابســه بملابس النوم ومضــى يخفف من إضــاءة حجرته؛ ليلقى بجســده المنهك على فراشــة ولكن ... قبل أن تغفو عينيه إذا بصــوت أشـبه بصـوت الرعد وان كان ضــعيفا .... فدلف من مرقده لينظر من نافذه الحجرة فاذا بالســماء صـــافيه ... ولا وجود هناك للأمطار التي يصحبها الرعد!

فعاد إلى نومه متعجبآ من ذلك ألصـــوت ... الذي للمرة الثانية يتطرق إلى أذنيه هذه الليلة ....

وكلما عاد إلى النوم عاد ذلك الصـــوت ... حتى دقت الســـاعة معلنه الثانية عشرا مساءً.

أول ساعات اليوم الجديد ومازال قلقآ متيقظآ أثر تلك الأصوات. فأخذ كتابآ بجوار فراشة كعادته دائمآ من وضع مصحفا وكتاب ليتصفح بعضهما قبل نومه. فأخذا يقرأ قليلا عله يهدأ من توتره.

أثر ما أصابه هذا اليوم. ولكن هيهات فقد عاد الصوت مره أخرى أشد قوة عن سابقه، وأخذت معه إنوار الغرفة تطفئ وتنير مرات ومرات متلاحقة ... حتى خيل إليه وجود صوره لشخص ما ...!

أثناء انطفاء الضوء بالغرفة. شخص يتمنى لا يراه أبدآ. وقد عمل جاهدا حتى لا يراه. واتسعت عيناه من هول المفاجأة.

وهاله ماراي. فقد كان يعرفه ... نعم .... يعرفه جيدآ جدآ ... لقد درس صاحب هذا الوجه. بل حفظه منذ سنوات كان يطالعه يوميا حتى لا ينساه .... لا ينساه .... إبدا، يا الهى، أتك ...و...ن .. العلامات ؟!

نعم إنها هي .... وكاد أن يغشى عليه عندما وصل لتلك الفكرة الرهيبة ....

العلامات! ..... إلهي! .... إنها هي! هذا أول العلامات. إنه النداء الأول.

ولكن كيف تم ذلك ؟!!.... كيف تم ذلك ؟!!... وكاد أن يغشى عليه من قوة الصدمة والذي جاهد سنوات عديده أن يمنعها ويمنع حدوثها. ولكن كيف حدث ذلك؟! كانت الأسئلة تتلاحق في رأسه والرعب يتجسد في عينيه.

إلى أن هدأ صوت الرعد من جديد وعادت إضاءة الغرفة ثابته كما كانت بدون انقطاع، وعاد التيار الكهربائي منتظمآ في الغرفة، وأخذ يهمهم بكلمات غير مفهومه وقد ارتعشت فرائضه فأنفلت من يده كوب الماء الذي حاول أن يمسكه ليشرب قليلآ منة فتركة ولم يعير الأمر

اهتماماً واخذ يجوب حجرته ذهابا وإيابا في توترآ شـديداً. وتضـرع ألي ربة قائلا. إلهي لم يتبق إلا شهور قليله شهور قليله فقط وينتهي الأمر. وكنت سأستريح من ذلك العبء الثقيل ... لقد اتخذت كافة الاحتياطات، ... وأخذ مرددا مذهولا لا يسـتطيع أن يصـدق. هل حقا هو النداء الأول ؟!

أحقا تكون العلامات ... وهذا الخيال ألذى رأيته ماراً ها هنا منذ قليل ... ايكون هو؟ ....

وكاد أن يفقد وعيه، مرددآ في ذهول، لقد عاد،

نعم لقد عاد أسوء كوابيس عمرة.

****

انتشـر ضـوء كشـاف الهاتف بتلك الحجرة المرعبة ليرى جاجان أثر فضـولة، وما بها. فمنذ دخلها لم يرى ما بها وسـط الظلمة الحالكة ولم يعلم كم مضـى عليه من الوقت في ذلك المكان. حتى خيل اليه انه قد قضى عام في غرفه الرعب.

فجالت عينه تتفحص الغرفة في تلك الإضاءة الشاحبة. وهاله ما رأى،

كانت الغرفة التي كثيراً ما جالت بخيال العائلة عما تحتويه وكيف هو شـكلها؟ وكثيراً ما كان يعتقد الجميع أن بها كنز، أو شـيء نادر باهر، أو حتى مومياء من مومياوات الفراعنة، ولكن لم تكن حتى بغرفة بل أشبه بممر صغير يعليه نسيج العنكبوت التي تهدل من جميع جوانبها وأتخذ من هذه الحجرة مكاناً أمناً له بعيداً عن أدوات التنظيف، والذي لم يفكر أحد في نظافة هذا المكان منذ نشـأ، ولم يقترب منه أحد منذ سنوات، وما أعجب تلك الحجرة فكانت حائطها، وأرضها، وسقفها، وكل ما فيها تم بناءه بالطمى أو طلى بالطمى! أيضـا لا وجود لأي مدخل

يستطيع أن يعبره شعاع ضوء فكان الليل والنهار فيها سواء، كانت أشبه بالقبو والخنادق الذي كانت تلجأ اليه الشعوب أثناء الحروب.

لم يكن بها شـــيء ذو قيمة أو ملفت للنظر. فســـأل نفســـه. هل هذه أســـطورة من أســـاطير الدكتور عوني؟ بالرغم أنها حجرة خالية غريبة الشـــكل ألا أن هناك ما يثير الفزع منها، ثم امتد نظره يتفحص الحجرة الغريبة التي هي أشـــبه بالقبور منها إلى حجره في فيلا بهذه الأناقة والجمال، ومازال مرتعشآ متوجسآ. كان بداخلة شيء ما يحدثه بأن هناك شـــيء أفظع من ذلك المظهر الذي تبدو عليه ...ثم فجاءه نظر ألي أسفل إلى حيث تحرك شـيء بداخل حذائه الصـيفي المفتوح فهاله ذلك وأفزعه وإذا به يتحرك في كل اتجاه بحثآ عن ذلك الشـــيء الذي لمس أصـابع قدمه فقام بتوجيه إنارة الموبايل إلى قدميه ليرى ما بهما وإذا بها حشرة صغيرة من حشرات الخنفساء خارجة من تجويف الحائط وحشرة أخرى مثلها تماماً كانت تقترب هي الأخرى من أصـــابع قدميه أيضـــآ فابعدهما جاجان عنه وهدأ قليلاً وعاد يتفحص الحجرة مرة أخرى.

كان هناك بروزآ في أحد حائط الغرفة. فاقترب منه متوجســـآ ليرى بداخله شـــيئآ غريباً. شـــيئآ عجيباً ... فقال متعجباً ألهذا يعلن عمى الحرب على كل من يقترب للغرفة؟ ... قالها لنفســه ســاخرآ من أســرار عمه. عندما رأى ذلك الصـندوقين الصـغيرين اللذين كانا متطابقان في الحجم وفى النقوش ولكن ما أغرب هذين الصـــندوقين ألذى تحيطهم النقوش والكتابات الغريبة والأتربة، فلم يعرف أكانت هذه كتابات فرعونية وهي لا تشبهها كثيرآ أما كانت طلاسم من حضـارات مختلفة ؟! فكثيرآ كان يرى ذلك في أفلام السينما!!! واقترب من أحد الصـندوقين وحاول جاهداً أن يخرجه من مكانه وهنا عاد الصـــوت مرة أخرى مرعبا هذا المرة ومدويا معيدا على ســـمعه نفس الكلمات الســـابقة في قوه هائلة حتى اهتزت فرائضـــه رعبا أكثر من المرة الســـابقة وأيقن ألان أن هذا

الصـــوت حقيقي ولم يكن من وحي خيالة الخائف كما كان يعتقد قبل الآن واخذ الصوت يردد في قوه

هنا الطريق إلى مدينه الحزن

هنا الطريق الذي يوصل إلى الألم الأبدي

****

وبالرغم من رعبه الشـديد من الصـوت وصـاحبة لكنه اخذ يتأمل تلك الطلاسـم والرموز الغريبة، على الصـندوق الخشـبي من الخارج فتعجب وقال في دهشـة. هذه الخطوط لا يعلم أسـرارها إلا خبير وبروفسـيور عظيم .... ومن يكون الدكتور غير الدكتور عوني وصـديقه الدكتور ميلاد –ثم ابتسـم سـاخرآ من نفسـه وقال. من البديهي والأكيد أن يعرف وإلا ما أخفاها هنا طوال تلك السـنوات. ثم قال –قد لا تكون ملكه الخاص، وقد تخص أحد أصـدقائه، ولكن من يكون صـاحبها؟ –هل يكون الدكتور ميلاد؟ فهو أيضـا صـديقه الأمين وكاتم أسـراره ولا يقل نبوغآ عن عمى. فالأثنين قد أفنى شبابهما في البحث والتنقيب حتى نالا شـهرة عالمية واسـعة فأطلقوا على عمى راهب المعبد. وأطلقوا على الدكتور ميلاد التوأم وحقا كان توأما لعمى عوني في كل شـيءٍ –ومازال عطاء علمهما لا ينتهي ...

وقام جاجان برفع غطاء الصندوق الأول في حرص ليرى ما به ...

فهل حقا سيكون بداية الطريق إلى مدينه الحزن والألم الأبدي ؟!!

وتذكر كلمات الصوت . الذي ما زلت تسري وجدانه وليس أذنيه فقط.

الطريق إلى مدينه الحزن

الطريق الذي يوصل إلى الألم الأبدي

****

هبت العواصف الرعدية طوال الليل حتى كادت تقتلع جذور الأشجار في تلك الحديقة التي اخذ ينظر إليها من نافذة حجرته في هذه الساعة المتأخرة من الليل. لم يكن يشعر بالدهشة أيضا أن تحدث تلك العواصف في ذلك الوقت الصيفي من العام –فهو يعلم جيدآ أن الأمر غير طبيعيآ – وان كان يتمنى أن تكون ظنونه غير صحيحه. ثم خرج من حجرته يتفقد الفيلا وهل هناك أحد غيره قد أزعجته تلك العواصف، وصوت الرعد فقام من نومه أثر تلك الأحداث الجارية منذ بداية الليل. كان يتمنى أن يكون هناك غيرة قد شعر بها. كان يتمنى ذلك وبشدة لغرض في قلبه لا يعلمه إلا هو وصديقه فقط. ولكن خابت كل آماله وضاعت كل ظنونه فلم يجد أثر لأحد غيره بذلك الممر الطويل الذى به حجرات النوم ،وكان شعاع من الأمل ما زال بداخلة فخطى بضع خطوات نحو حجرة ابن أخيه جاجان والتي كانت أول الحجرات بعد حجرته حتى أمسك مقبض بابها وهم أن يقوم بفتحته عسى أن يكون متيقظا فيتخذه أنيسا له في تلك الليلة الموحشة ، ولكن تراجع فجاءة عن ذلك الأمر خشيه منه أن يكون الفتى نائما فيقوم بإزعاجه – ثم قرر العودة مره أخرى للذهاب لحجرته وكان قد جفاه النوم فقام بتصفح كتابآ بجواره وقد تمدد في فراشة عسى أن ذلك يخفف من توتره هذه الليلة – ولكن متى _ تنتهى تلك العواصف؟! فهل كان يقصد بتلك الجملة العواصف التي يسمعها ولا يراها .... أم كان يقصد بها عواصف نفسه؟! عواصف مخاوفه. ؟!

****

نظر جاجان داخل الصندوق الخشبي الأول فاذا بلفافة غريبه الشكل لم يعلم أكانت من أوراق البردي التي كانت تستعمل للكتابة في العصور القديمة أم كانت من جلد حيوان ما. كانت تستعمل أيضا تلك الطريقة للكتابة. عموما هو ليس خبيرا بتلك الأشياء ... ولكن الذي أدهشه حقا

قطع الطمى الصـغيرة المنتشـرة حول اللفافة ... وسـأل نفسـه لماذا كل هذا الطمى؟ وما قصته؟

اخرج اللفافة بحذر شديد وقام ببطيء في محاوله فتحها. وقد سلط عليها ضـوء كشـاف الهاتف. الذي انطفأ فجأة. ليسـبح المكان مره أخرى في ظلام عميق. ومن أعماق ذلك الظلام تمتد يدآ قوية تحاول أن توقفه وتمنعه من فتح المخطوط فصرخ مرتعبآ وابتعد قليلآ إلى الوراء – ليعود الصوت يشق الظلام ابتعد عن طريق الأحزان –ابتعد أيها الأمير !!

انتبه أيها البعيد عن الأرض القريب من السماء ... انتبه أيها الأمير _ هنا يعود الموت ويموت الزمن. وأخذ الصـوت يرددها حتى أضـاء مصباح الهاتف مره أخرى من تلقاء نفسه واختفى الصوت مرة أخرى.

وبيده المرتجفة اخذ يحرك الكشـاف في اتجاهات الجحرة المختلفة لعلة يرى صـاحب الصـوت أو يرى من يكون صـاحب اليد التي دفعته بعيد عن المخطوط. أو قد يكون هناك من يتحدث خلف الجدران التي لا يرى فيها مدخلا لأي شـيء، فمن أين جاء هذا ألصـوت ولمن يكون؟ أيكون جنى أو شـبح يسـكن المكان. " سـلاما قولا من رب رحيم " أخذ يرددها في نفسـه. ولكنه كما حدث أثناء سماعه للصـوت المرة ألسـابقة حدث أيضـا هذه المرة – لا يوجد أحد – بلع ريقه الذي جف من هول ما رأى وسـمع في تلك الغرفة. وحاول إعادة الاقتراب من المخطوط ليحاول فتحته مره أخرى ... فقد كان يظن أنها خريطة لكنز أو ما شابه ذلك،

ولو كان يعلم الحقيقة ما انطلق خلف فضـوله. فقد قالو قديمآ في الأمثال الفضول قتل القط!

وهاهو مازال متمسك بمارد فضوله. فإلى أين سيقودك فضولك جاجان. أم ترى أن الأقدار هي فقط ما قادته لهذا المصير؟

أضـاء الغرفة مره أخرى فإذا به يرى مخطوطة من المخطوطات القديمة التي كثيرآ ما شـاهد صـورآ لها في موسـوعات التاريخ أو كتب عمه العلمية أو حتى شـاهدها من خلال قنوات الأفلام الوثائقية. ولم يكن يتوقع في يوم من الأيام او حتى في قصـص الأسـاطير الذي يرويها عمه عن عجائب الأشـياء التي قد شـاهدها في رحلة حياته العلمية أن يرى ما رأى، بتلك المخطوطة الغريبة وليلة الرعب هذه. بل كانت أيضـا ليله المفاجأت بالحجرة الممنوعة ... قام بحرص شـديد بفك حبل من الليف او أشـبه بذلك الحبال المصـنوعة من ليحاء النخيل والأشـجار قد ربطت بها المخطوطـة بعنايـة فائقة، وعلى حوافها كـانت هنـاك أختام مدموغ بها بعض قطع الطمى وهناك ختم مميز على أطراف ألمخطوطة نفسها حيث تم ختمها بختم كأختام الملوك القديمة. كما يوجد الكثير من حبات الطمى الجافه، وعند فتحها وجد كثيرا من الحروف والطلاسـم ورسومات غريبة الشكل فهل هي لغة من اللغات القديمة؟ أم هي تعويذة من تعاويذ السـحر –تعويذة تعود من عالم غريب –كتبت على جلد من جلود الحيوانات وألتي لم يعرف رسـمآ واحدآ من رسـمها التي خط بها تلك اللغة الغريبـة .... فهل حقآ هي مخطوط من المخطوطات القديمة؟ ... أم تراها تعويذا سـحريه؟ أم هي شـيء أكبر وأخطر من ذلك الذي يفكر به ...؟

وفجاءة تلألأت حروف المخطوط فأنارت الحجرة المظلمة وكأنها كوكب يبحر في ليل شـديد الظلام فكانت أشـد نور من نور نجوم السـماء وأخذت تتناثر وترتفع من جلد المخطوط إلى أعلى سـقف الحجرة متخذة صـورة هالة مستديرة تدور حول نفسـها مثل صـحن صـغير تجمع في وسـطها الحروف والرموز والأشـكال كل ما قد رسـم على تلك القطعة الصـغيرة من الجلد لتشـكل كلمات تحيطها رموز وطلاسـم جديدة ثم متخذة صورة الأشكال المرسومة أيضا على صندوقها الخارجي

ومره أخرى تنزل من أعلى على الجلد التي كتبت عليه ليتقرب المخطوط بعد ذلك من جاجان دون أن يلمســه وتدور أمامه وكأنها تحســه على قراءتها. وقد عجز عن فهم ذلك الأمر ... فأخذت الحروف تتطاير مرات عديده بنفس الطريقة وتعود كما كانت من قبل.

ومازال عاجزآ عن فهم ما يراه وأخيرا تطايرت الحروف والطلاســم في حركة سريعة ولكن هذه المرة ....

لم تكن لتعلو في سـقف الغرفة كالمرة السـابقة ولكن .... لتلتف بشـده حول معصــمه .... معصــم جاجان .... وتختفي من المخطوطة ... تختفي إلى الأبد وقد تركت مكانها خالياً .... على قطعه الجلد التي كتبت عليه. لتستقر في مكانها الجديد حول معصم الفتى.

وفور حدوث ذلك أضاءات الحجرة بوميض من الضوء المتقطع فأخذت الإضاءة والظلام يملأ الغرفة بالتناوب ليظهر من خلاله صورة لشخص مخيف الوجه. وجهه فقط كان يملأ جدار الحجرة وكأنه أتى من الجحيم. ليعود معه صوت الرعد والبرق من جديد أشد قوه ورهبة، تتبعه أصوات تحطيم صـخور وصـفير عواصـف رملية فهاله ما سـمع ورأى حتى كاد شـعره أن يقف من الفزع. ولم يتمكن من فتح الصـندوق الأخر. فسـقط مغشــيا عليه لم يعلم ما بداخله –ثم غرق المكان في الظلام الدامس وخيم عليه السـكون الموحش على المكان وعاد كل شـيء كما كان من قبل ... إلا من جسدا ملقى على الأرض بداخل الحجرة الممنوعة.

****

عبر نوافذ الغرفة المفتوحة لاح نور الصـــباح فانبعثت رائحة الأزهار الذكية وانطلقت الطيور من اعشاشها لتملأ السماء تغريدآ تقطع بقايا سكون الليل الذي مازال ناشرآ أستاره على المكان، نظر الدكتور عوني من نافذة حجرته فلا زال مستيقظآ لم تغفو عينيه طوال الليل أيضآ لم تهدأ الأصوات إلا منذ قليل وقت اقتراب الفجر وانتشار نور الصباح. فاخذ يراقب الفراشـــات التي راحت تقبل الأزهار ويرى أســـراب الطيور المغردة مع تمايل أغصان الأشجار وهبوب نسمات الهواء العليل. فقال محدثا نفسه – كل شيء يتلألأ بهاء وجمالآ وكأن شيئآ لم يحدث تلك الليلة – فنظر شاردآ ولم يدري كم مضى من الوقت حتى امتدت أشعه الشـمس لتلقى بخيوطها الذهبية على المكان. فعاد إلى الداخل ليغير ملابس نومه ويلحق بالأســـرة الذي أســـتيقظ أفرادها وهبوا جميعآ إلى الطابق الأول من البيت ليتقابلوا على مائدة الإفطار كعادتهم اليومية في كل عام.

****

الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقآ او خارج نطاق الخدمة اتصـــل لاحقا!

تلك الرسالة البغيضة التي تأتى في محاولة اتصال هام اتصال، أو عاجل، أو إلى عزيز نتمنى سماع صوته، ومثلنا جميعا في هذا الموقف نصبح أكثر توترا وأكثر حيرة أو أكثر فزعا.

أخذت رضـــوى تعدو غرفة الطعام ذهابا وإيابا في محاوله الاتصـــال بجاجان ولكن كانت على موعد مع رسالتها البغيضة، فهي لم تراه او تسمع صوته منذ أمس فكانت شديدة اللهفة ألي لقاءه. فمنذ ذهبت مع أمها وعادت لتجد الجميع كلآ في غرفته. وتملكتها الحيرة فأشـــارت لأخيها يوسف فانطلق مسرعآ إلى أعلى ليقوم بإيقاظ ابن خاله الذي

تأخر كثيراً ألذى صدمة أثناء ركضة قبل أن يصعد دراجات السلم لأعلى فقد كان خارجا مسرعآ من حجرة المكتبة، ومازال مرتدياً ملابسة منذ أمس يعلو راسة بعض خيط العنكبوت وتعلو ملابسه بعض الأتربة. غريب الهيئة وكأنه قد أتى من كهف عميق – فتبادل وأسرته النظرات –دون كلمة واحده وقد بدا على وجهه الإرهاق الشديد فكان شبة مخدراً او نائماً لم يستيقظ بعد حتى لم يعي

من يكون أمامه فأصابت الدهشة الجميع لهذا المظهر الذي يبدو عليه فقد كان غريب الشكل. وساد الوجوم على الأسرة إلى أن بادرت عمته بالسؤال عن مظهره وأين كان ولماذا مازال مرتديا ملابس أمس حتى ألان؟ فأجابها ومازالت عليه علامات عدم الاستيقاظ كاملا. يبدو أنى قد غفوت بالمكتبة أثناء قراءتي لأحد الكتب ولم أشعر بالوقت – إلى الأن – وصعد لأعلى حجرته ليغتسل ويقوم بتغيير ملابسه وقد نسى تماما أحداث ليله أمس وما حدث له بالحجرة الممنوعة.

****

الفصل الرابع

نظر الدكتور عوني في وجوه الأســـرة حول مائدة الإفطار يتأمل كلاً منهم في صــمت. وقد أخذ الجميع يتبادلون أطراف الحديث عن ســهرة أمس على ضفاف النيل مع نسمات الليل الساحر والإحتفالات المقامة على بعض البواخر النيلية، والتي قد أضــاءت بأنوارها المختلفة الجميلة صـفحة النيل وكانت أيضـا المعابد والأثار الفرعونية قد تمت أضـاءتها الليلة فاكتسـت برهبة التاريخ وسـحره الغامض. فبدت الليلة كحفله عرس عائمة شارك فيها مختلف الوجوه العديدة من عشاق تلك المدينة من كل أنحاء العالم. كما أخذت رضـــوى وجاجان يتبادلان أطراف الحديث الهامس العاشــق بين الحبيبان، وأمطرته رضــوى بالكثير من الأســئلة المتلاحقة عن ســبب أغلاق هاتفه منذ ليلة أمس وحتى الأن؟ ولماذا لم ينتظر عودتها من الخارج؟ وماذا فعل وحده في ذلك الوقت؟ كثيراً من الأســئلة لم يعرف أن يجيب على أحدهما فنظرا شــاردا كأنه يحاول أن يتذكر، ولكن هل حقا نســـى أحداث ليلة أمس؟ وأنهى الجميع إفطارهم فذهب بعضـهم إلى الحديقة لتناول الشـاي كعادتهم اليومية وسـط جمال الطبيعة الخلابة. وأخذت الخادمة تتناول الأطباق الفارغة وتنظف بقايا الطعام، كان الدكتور عوني مازال على مائدة الإفطار شاردا، وقد تناول القليل من طعامه على غير عادته، فغالبا ما تكون أكبر وجبات طعامه هي طعام الإفطار فلم يكن يتناول في كثيرا من الأوقات وجبة الغذاء وان حان وقت المســـاء لم يتناول إلا كوبا من اللبن الدافئ او عبوه من اللبن الرائب كعادته منذ سنوات.

فنظر إلى ألخادمة تتملكه علامات الدهشـة والحيرة وأخذ يتسـاءل: لماذا لم يذكر الجميع حتى الخادمة شـــيئاً عن أحداث الأمس والتي لم يغفو لي جفن بسببها إلى الأن؟ ... هل يكون فقط من شاهد تلك الأحداث؟

أيكون وحده فقط من ســمع تلك الأصــوات؟ أو تكون ليلة أمس مجرد كابوس؟ ولا يوجد شـــيء هيهات، محاولآ أن يقنع نفســـه أن ما حدث مجرد كابوس مرعب شاهده وحده ... ولكن هناك سر بداخله.

سرا لا يعمله سواه هو وصديقه الدكتور ميلاد. واخذ يتساءل ويلوم نفسه هل من الصـــائب أن نغرق أبنائنا في الجهل يقينا منا أننا نحميهم؟ أم يجب علينا أن نســقيهم المعرفة من مصــادرها الصــحيحة لتكون درعآ وحماية. وان كنا لا نحب ما يحبون من تلك العلوم، أو تلك الثقافات المختلفة أو ثقافات من أزمنه بعيده، "وكما قال سقراط: لا تكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم ." وتســـاءل في حيرة أكان عليه أن يطلع جاجان على الحقيقة؟ وأن يحميه بالمعرفة والعلم. حتى يستطيع أن يحمى نفسه أن شاءت الظروف وكان وحده دون وجود من يحميه، او يساعده على ذلك،

وظل شـاردا وكثيرآ من الأفكار والأسـئلة تدور في رأسـه. ثم هب وافقا وطلب كوبا من القهوة أثناء مغادرة غرفه الطعام فنظرت له الخادمة في دهشــه لطلبه كوبا من القهوة فلم تكن عادته شــراب تلك الكمية الكبيرة، ورأى الحيرة على وجهها فقال قبل أن تســـالة بأنه لم ينم جيدا أمس ويحتاج للقهوة كي يستعيد نشاطه.

كما طلب منها تنظيف بقعة من بقايا الصـــلصـــة أو الكاتشـــب تحت الكرسي الذي جلس عليه جاجان ...

أما هناك بشـرفه المنزل فقد جلس الحبيبين يرتشـفان عصـير المانجو، ويتبادلان الهمس والإبتسامات فيما بينهما. لا يوجد من يكدر صفوهما إلا بلابل الحديقة التي ظلت تختلس النظر إليهما من فوق الأشجار.

أخذ الدكتور عوني كوب القهوة من الخادمة، وانطلق ذاهبا إلى المكتبة كعادته اليومية حتى وإن لم يقرأ من كتبها شـــيء. هل كان حقا عاشــقا

لذلك المكان أم كان هناك شـــيء أخر لابد أن يراه يومياً؟ شـــيء لا يســـتطيع البوح به. فكان مجرد ألتفكير أو الحديث عنه يثير الرعب في نفسه....

****

لم يخرج الحبيبان من دنياهم الحلوة بالشـــرفة إلا صـــوت اندفاع باب المكتبة وارتطام الدكتور عوني به ســـريعا مما ترك ورائه بعض قطرات القهوة التي انسكبت على الأرض إثر ذلك ....

فدخلا من الشرفة وقد أصابهما الارتباك فاندفعا معا إلى حجرة المكتبة يســألان عمها عما حدث، فوجداه وقد تســارعت نبضــات قلبه وأخذت بعض قطرات العرق تتصــبب على جبهته. وراح يجوب المكان ويبحث خلف وسائد المقاعد وقد اتسعت عيناه ذهولا وفتح فاه متمتماً – بسؤال فقط، أين ذهب؟ وعاد الســـؤال عليه مرة أخرى عما يبحث؟ وهل يستطيعا أن يساعداه في شيء او يبحثا معه؟ ولكن لم يسمع شيء مما قالا. وأنهمك فيما يبحث عنة وكأنه قد شـــارف على الجنون، فلم ينظر إليهما ولم يع بوجودهما وانطلق مســـرعا إلى مكتبه ثم عاد مســـرعا أيضا ليبحث مره أخرى بحجره المكتبة، ... ثم سكن كل شيء.

نظر عزمي لمفتاح غريب الشكل يتوسط المنضدة المستديرة بالمكتبة، وقد كان يعرفه جيدا وقال في صـــوت أشـــبه إلى الهمس همســـا يملأه الرعب والهلع. كيف جئت إلى هنا؟ ثم قام بمد يديه فالتقطه بسرعة من مكانـه. وأعاد كلامـه مره أخرى كيف جئت إلى هنـا؟ وكـاد يجن من ألدهشـــة لذلك. نعم فذلك المفتاح لا يفارقه أبدا منذ سـنوات في نومه أو يقظته أبدا حتى وان دخل للإستحمام ... كأنه قطعه من ملابسة أو من جلده وعظامه ... أصابه كثير من الهلع حين وقعت عينيه عليه محدثا نفســـه، هل يمكن أن يكون أحدهما قد عبث بتلك ... الح.... جره ...

فلم يستطع إكمال الكلمة، وعاد يردد ربى كن معي فلم يتبق الكثير من الوقت. لم يتبق ألا شهورآ قليلة، ساعدني يارب –على هذا العبء الثقيل الذي أحمله منذ سنوات طويلة، واخذ يتفقد مفتاح القفل الموضوع على الحجرة الممنوعة فقد كان هذا المفتاح .... مفتاح حجره السر ....

أسرع الدكتور عزمي بإخفاء المفتاح بالجيب الصغير داخل ملابسه حتى لا يراه أحد، والقى بجسده على أقرب كرسي بالمكان. ليلتقط أنفاسه.

****

نظر جاجان ورضوى إلية وقد أصابتهما الحيرة والدهشة لهذا المفتاح الذي جعله يتصبب عرقا ومنهك القوى شاردا تبدو عليه علامات الخوف والحيرة متنقلا بنظره إلى قفل الباب من آن لأخر باب الحجرة الممنوعة حتى شعر بوجود أبناء أخويه ينظرون اليه نظرة يملأها القلق وألدهشة. فابتسم لهما ابتسامه باهته كي يطمئنهما.

وبادرهما بالقول بأنه قد فقد شيء هام جدآ. وقد أطلق تنهيدة كأنه أُتى من سباق مارثون، ولكن قد تم إيجاده أخيرا، وما أن التقت عيناه بعين جاجان حتى تذكر نومه ليلة أمس بالمكتبة، وخروجه صباحآ منها مما أفزعه ذلك الأمر وعادت إلى نفسه الهواجس من جديد خشية أن يكون قد رأى المفتاح فقام بفتح الحجرة، وعاد الفزع من جديد إلى وجهه اشد رعبا من ذي قبل عندما تذكر أحداث الليلة السابقة. ولكن هدأ قليلا حين رأى أن جاجان جاهلا بكل شيء، عبثا حاول أن يستجمع قواه ويسيطر على أفكاره وابتسم نصف ابتسامة محاولا أن يبدو الأمر طبيعيآ لكل من حوله.

ولكن هيهات فقد كان هناك صراع خفي رهيب كرحى تطحن النفوس والقلوب، وقد دارت تروسها في قوة. فإلى أين قد تذهب به؟ أتكون بداية

الإشـارات والعلامات؟ وبقي شـاردا في أفكاره التي تمنى أن تكون غير صحيحة.

أوشـك اليوم على الانتصـاف فأخذ جاجان ورضـوى يركضـان بالحديقة ويتفقدان روعة أزهارها بعد أن اطمئنا على عمهما بحجرة المكتبة وعاد للقيام بالعمل على مراجعة بعض أبحاثه.

أما يوسف فقد راح يسابق الموج بحمام السباحة الذي يعشقه، وعلى أحد جوانب الحمام أخذت سـارة تمارس هوايتها المفضـلة في رسـم كل جميل فأخذت ترسـم الزهور والفراشـات، كما قامت برسـم وجهة الفيلا المطلة على الحديقة بشرفاتها المفتوحة، وكأنها تسجل منظرا إبداعيا كي تتفاخر به بين أصـدقائها وأيضـا تريهم روعة فيلا خالها التي تقيم بها هنا في ذلك المكان المبدع. أما يوسـف فقد أخذ جزء من لوحتها فكان يبدو كسـباح عالمي في اللوحة بذلك. وان كان في الواقع لا يجيد غير ألهو بالماء. لم تهتم كثيرآ بما يبدو علية يوسـف في لوحتها ولكن اسـتوقفها ذلك الشـيء هناك. الصـقر الواقف بجوار نافذة جاجان منذ سـاعات لا يقوم بأي حركه كما تفعل الطيور، فقامت برسـمه. ثم نظرت اليه مره أخرى فاذا به ثابتآ في موضـعه كما كان منذ قامت برسـم لوحتها. فأطلقت عليه مازحه الطائر ذو الأرجل الخشـبية؛ لأنه لا يتحرك. منذ ساعات.

فابتسـمت عمتها فريدة التي أخذت تشـجعها على روعه لوحتها، ثم انطلقت ذاهبة ألي المطبخ كعادتها كل عام لأعداد أصناف الطعام الذي يشـتهيها أخيها من صـنع يدها، فكانت تذكره بأيام الطفولة وعنفوان الشباب في بيت العائلة كما كانوا صغارآ.

****

انطلق الدكتور عوني ذاهبا إلى الحديقة محاولآ اندماجه مع أسـرته التي مضـــت تمرح هناك محاولا أن يهدا قليلا حتى لا يكون مثار تســاؤلات الجميع وأيضا كي لا يفسد عليهم اجازتهم القليلة هنا.

ولكن لازال شـاردا ولم ينتبه لشـيء حوله ألا صـوت الخادمة الغاضـب أثناء مروره بجانبها فقد كانت تقوم بتنظيف شـيء ما تحت أحد كراسـي منضـدة الطعام. فاسـتدار إليها وقام بسؤالها عن سـبب غضـبها؟ وماذا تفعل؟ فأجابته في ضـيق قائلة: تبدو أنها شـقاوة يوسـف المعتادة ككل عام ياد كتور، فمنذ الصـــباح أقوم بتنظيف تلك البقعة وتعود مره أخرى ولا اعرف ماذا افعل بها. فقال لها قد تكون بقعة طعام صـــعبه قليلا، حاولى اســـتعمال مواد تنظيف أخرى، وتركها وقد هم بالرحيل ... فاذا بها تقول في صـــوت يملأه التعب والإرقاق، لا يا دكتور ليس بواقي طعام،أنها بقعه دم .... أكيد شـقاوة يوسـف .... قالتها وقد رحلت إلى المطبخ ... وهي لا تعلم ماذا قالت... فقد كان الأمر أكبر من يتخيله عقلها. أما هو فقد مادت الأرض تحت قدميه. عندم ســمع كلمه. بقعة الدم ....

واخد يردد في ذهول بقعه الدم التي لا تختفي ... أنها علامـة أخرى، والقى بجسـده ألخائر على أقرب كرسـي بجواره حتى وكاد يفقد وعيه من الصـدمة .... وعاد الفزع يملأ وجدانه – ويتســاءل أيكون الفتى قد قام بفتح الغرفـة أمس؟ أيكون وجـد المفتـاح؟ ... ولكن لا يبـدو عليـه إثر معرفه شيء ... أيكون كشف السر ؟!!

فهل حقا تكون بقعه من الدماء .....؟ أتكون حقآ بقعه من العالم الأخر .... ؟!!

****

ما زال الدكتور عوني متيقظآ في فراشــه لم يســتطع أن تغفوا عينيه منذ ليله أمس. وكيف لمثله أن ينام في ظل الأحداث الدائرة، وهو فقط من يعرف سرها في ذلك المنزل ... فقد حافظ على ذلك السر سنوات بكل قطرة من قطرات دمه وروحه وأعصابه. وها هو يرى الأن أول علامات وإشــارات ذلك الســر. فقط من يعلم الســر يســتطع أن يرى ويســمع العلامات ... ثم يرى باقي المصـــير المجهول. كاد التفكير أن يقتله فحاول أن يقرا كتابا وضــعه بالقرب من فراشــة عســى أن تغفوا عينيه قليلا أو يهدا عقله عن التفكير، ولكن هيهات. كانت عينيه تتصـــفح الكلمات وعقله بعيدآ عنها منشغلا بشيء أخر، شيء يحاول أن يهرب من التفكير فيه ولو لحظات قليلة ...

وكلما وصل ف لتلك النقطة يعلو وجهه الرعب والفزع ... ليبقى شارد متيقظا منذ ليلة أمس ...

ولم ينتبه إلا على دقات الســاعة الكبيرة بالطابق الأســفل من الفيلا لتعلن الســاعة الواحدة صــباحا. كان جميع ســكان البيت غارقين في سبات عميق إلا هو، وكأن النوم قد رحل عن عالمه.

ومضــت دقائق معدودة على دقات الواحدة صــباحا، وعادت أصــوات هبوب العواصـــف والرعد من جديد مثلما حدث أمس في نفس توقيت الواحدة من الصباح ولكن بصوره أكثر جنونا وأكثر رهبة حتى خيل إليه كأن هناك انهيارا لجبل ما، أو تحطيم صـــخور وأصـــوات كصـــرير السلاسل الحديدية حين تجر على الأرض ....

ثم هدأ الصــوت قليلا ثم علا صــوت قرقعة اهتزت لها جدران المنزل، وصـــوت أحجار تتهشـــم حتى خيل إليه أن المنزل قد انهارت احدى جدرانه ،أو حدث شـــيء ما فانتفض يركض نحو نافذة حجرته المطلة على الحديقة ليرى ما يكون من حالة الطقس ، فلم يرىً إلا الظلام

الدامس برغم من بدر السماء الذي ملأ الدنيا ضياءآ في منتصف الشهر العربي ... فنظر عاليا ليرى ما يكون فاذا بسحابة سوداء غريبه الشكل وقد حجبت نوره القمر عن الأرض ... كانت سحابة غريبة الشكل شديدة السواد لا وجود لغيرها في السماء التي بدت صافية إلا من هذه البقعة السوداء..، كأنها وجدت فقط لإطفاء نور القمر ليغرق المكان في الظلام الدامس...

ونظر يبحث عن حرب الطبيعة الذي سمعه منذ قليل. أين هي الرياح والعواصف التي سمعها ومازالت مستمرة لم تهدأ؟ أكان يعلم أو لا يعلم أن حرب الطبيعة لم تكن إلا داخل جدران منزله فقط ...؟ ثم استسلم لعدم وجود شيء هام فأسدل ستائر نافذته وعاد إلى فراشه مره أخرى قلقا حائرا، ولكن قبل أن يجلس على حافه فراشة إذا بعودة الأصوات مره أخرى أكثر شراسه ورهبة... وعادت أصوات تحطيم جدران المنزل من جديد، فجرى مسرعا من غرفته وقد أدرك يقينا أن الجميع قد أيقظتهم تلك الأصوات، ففتح باب حجرته في توتر ثم نظر. خارجها، وإذا ببهو غرف النوم هادئا خاليا من أي أحد سواه. الذي سمع هذه الأصوات. فأخذ يخطو ببطيء يعسعس حول الحجرات، ايكون أحدهم مستيقظآ، أو هناك من يتكلم ويخشى أن يخرج فيزعج الأخرين؟ ولكن هيهات السكون التام يعم أركان المكان، والجميع في سبات عميق.

فرجع عائدا إلى حجرته مره أخرى، ولكن كاد قلبه أن يتوقف، ورفضت قدماه أن تتحرك. إثر صرخة مدويه انطلقت من حجرة ابن أخيه صرخة يملأها الحقد واليأس ...

انطلق مسرعا نحو الغرفة التي تبعد خطوات قليلة من غرفته، ليجد ما جعله يتوقف على أعتابها في ذهول ورعبا كاد أيضا أن يطلق صرخة أعمق من تلك التي سمعها منذ قليل .... وأيقن تماماً أن ما يجول

بخاطره حقآ، وقد حان الوقت ليتعامل معه. ليتعامل مع سره الذي أخفاه منذ سنوات، فلم يكن ابن أخيه صاحب الصرخة المدوية التي اهتزت لها جدران المكان ... بل كان هو.

هو صاحب الصرخة ... ذلك الهارب من الزمن السحيق

الذي لم يكن يتمنى أن يراه أبدآ... أو يجئ ....

إذا فقد عاد .... الهارب .... عاد الأمير المفقود .... وقد هاله ما رأي ..... نظر الدكتور عوني داخل الغرفة التي سبحت في ظلام عميق إلا من هالة كبيره من لهيب النار أختلط بين اللون الأحمر والبرتقالي. كان جاجان يسبح في الهواء وكأنه منوم مغناطسيآ مسلوب الإرادة بداخل دائرة النار التي يمسكها ويتحكم بها ذلك الطيف العملاق ألذى يعرفه جيدآ ويعلم من أين أتى؟ حيث كان أشبه بشبح، ولكنه لا يبدو كذلك فالأشباح كانت من قبل بشرا، أما هذا فلا يبدو كذلك. فكانت عيناه حمراوان كالنيران المتقدة، وشعره طويل أسود فاحم كسواد الليل المطبق على المكان، أنسدل شعرة على كتفيه وكان يتخلله بعض الشعيرات الحمراء التي تقطر دماء أينما ذهب. كما كانت ملابسه غريبه الشكل بالية وكأنه يرتديها منذ سنوات طويلة ذات طراز قديم أشبه بملابس شخصيات الأساطير والحكايات الخرافية. كبلت يداه وقدماه بسلاسل ثقيلة من الحديد في نهايتها قطعة كبيرة من معدن اصفر اللون كتبت عليها رموز وطلاسم قديمة، إما وجهه فكان مثل وجه شبح هارب من الجحيم.

نظر لتلك الرموز والطلاسم التي بات يحفظها منذ سنوات ... فما هي إلا رموز المخطوطة والتي هي سره الدفين الذي أرهقه حفظها منذ سنوات ... وكيف لا يعرف من يكون هذا الطيف وهو عالم الآثار الشهير، وحافظ سر المخطوطة.

وما أن رآه الطيف والتقت عينهما إلا واستشاط غضبا، وبدأت دائرة الضوء تتسع لتملأ الغرفة وبدت ساخنه كأنها ستحرق كل ما بها ثم تحولت حوائط الغرفة إلى عشرات من والوجوه لذئاب، فكانت وجوههم أكثر بشاعة كوجه صاحبها. مكشرة عن أنيابها ذات عيون سوداء كبيرة مستديرة، وانياباً تقطر دماء مثل شعر صاحبها، الذي صاح مهددا ومحذرا الدكتور عوني أن يترك له الأمير المخلص. واقترب منه الطيف المخيف فاستطاع أن يشم رائحته التي بدت كرائحة المقابر والأماكن العفنة. ثم تساقطت ألسنة اللهب وأسقطت الفتى معها أرضا، وذهبت دائرة اللهب ليغمر الظلام الحجرة ثم يلتف حول الشبح الغاضب ليذوب بداخله ويتحول، إلى دخان يهرب من نافذه الحجرة مسرعاً كما ذهبت معه وجوه الذئاب الجائعة هي الأخرة لينير مصباح الحجرة فور ذهابهم من جديد دون أن يلمسه أحد.

فيسرع إلى النافذة ليرى أين ذهب ذلك الطيف فلا يرى له أثراً، ولكن يرى أن الغيمة السوداء التي حجبت ضوء القمر قد انقشعت ليعود نوره يملأ المكان ... أما هو فقد اختفى تماما مع ذئابه ....

ولم يبق إلا تلك البومة التي كانت ليلة أمس في هذا المكان لا تبرحه منذ دخول الليل وحتى ضوء الفجر. ليجلس مكانها ذلك الصقر صباحا. والذي لا يتحرك أيضا إلا مع قدوم الليل ...

فسأل نفسه: ترى مع أي الفريقين أنتم ؟؟

****

اجتمعت الأسرة كعادتها حول مائدة الإفطار، وكان آخر من وصل إليها الدكتور عوني الذي بدا شاحباً مرهقاً فألقى التحية وطلب فنجان من القهوة بجانب إفطاره وهذا ليس كعادته اليومية، ولكن أراد أن يساعده ذلك على الاستيقاظ فقد يكون اليوم من أطول وأهم أيام حياته كلها ...

كان اليوم يبدو غريبا حول مائدة الإفطار. فقد ســـاد الســـكون عليهم وأصبح كلا منهم شاردا بعض الشيء، فهناك رضوى التي أخذت تنظر إلى طبقات السلم المؤدى للطابق الثاني عسى أن تجد جاجان قد أتى من حجرته لتناول إفطاره معهم. وأحيانا تقوم بطلب رقم ما بالموبايل متوارية بعض الشيء عن عيون أسرتها. وإن كان الجميع يعلم من تقوم بالاتصال به فما كان صاحب هذا الرقم سوى جاجان. ومازالت تعاود الاتصـــال بالرقم أكثر من مرة ومازال لا يجب على هاتفها، فتنتابها الحيرة والقلق وترمق بعينها الكرسي الفارغ بجانبها. ثم يعاودها الضجر فتتناول قطعة من الطعام في سهد وشرود وتعود إليها حيرتها مره أخرى فلا تستطيع تناول شيء وتبقى شارده تنظر إلى الدرج المؤدى للطابق الثاني ....

وقطعت ساره الصمت قائله: قد حدث بالأمس شيء غريب في احدى لوحاتها الأخيرة التي قامت فيها برسم بعض أجزاء من الفيلا والحديقة. كما قامت برسم يوسف داخل حمام السباحة ثم رسمت نوافذ حجرات الفيلا المطلة على الحديقة. قالت سارة أثناء رسم لوحتي قد رات بجوار نافذة جاجان صقرا غريب الشكل كبير الحجم من مثيلة من الصقور التي نراها، كان ذلك الصقر لا يتحرك من مكانة كما ظل جالسآ بلا حركة إلى أن أنهيت لوحتي مما ساعدني ذلك على القيام برسمه بدقة. وقد أضـــاف جمالا على اللوحة حتى أنهيتها وتركتها بغرفتي كي تجف ألوانها، ولا يرقد بالغرفة سوى أنا ورضوى فقط.

وفى الصـــباح كانت المفاجأة أخذت أتفقد اللوحة كي أخذها مع باقي اللوحات الأخرى كي اصنع لها إطار خشبي، فاذا بشيء غريب قد حدث بها؛ صورة الصقر بجوار النافذة قد اختفت تماماً وتحول مكانة ألي دائرة بيضـــاء فقمت أتحســـس تلك البقعة الخالية. فاذا بي كأني اضـــغط على جســـم طائر فيتحرك كلما قمت بذلك حتى كنت أحس

بملمس ريشــه، فانتبني الفزع فذهبت خطوه إلى الخلف إثر ذلك الشــيء الذي ملأ نفسي رعبا. ثم عاودت أتحسس المكان مره أخرى فقام الطائر الذي اختفى من اللوحة بنقر إصـــبعي... فتركت اللوحة كما هي. ولم أستطع الاقتراب منها مرة أخرى ... ومازلت اشعر بالخوف ....

نظرت اليها عمتها فريدة وقالت لابنة أخيها: يبدو أننا أكلنا كثيرا على العشـــاء ليلة أمس، فحدث لنا كثيرآ من الكوابيس هذه الليلة حتى أنا لم أســتطيع النوم، فقد شــعرت بكابوس أســوأ ما يكون في حياتي أن أرى مثلـه ... رأيـت أن نور الحجرة انطفأ وإذا بوجـه مخيف لا تظهر منـه ســـوى عين واحده حمراء كأنها فوهة بركان، ظهرت من خلال وجهه المغطى بشعر اسود طويل به شعرات حمراء تقطر دماء كلما غفوت يقوم بسحب قدماي. كان يردد كلمتين فقط

(الأمير لي – الأمير لي) وأنا لا اقوى حتى على الصراخ. من شدة الرعب ... وظل كذلك حتى أوشـك الصـبح أن يشـرق، فاذا بظلمه الحجرة تتحول إلى دخان أســود كثيف يلتف حول صــاحب الوجه المخيف ليهرب الجميع من النافذة ... ويسـكن بعد ذلك كل شــيء ... فكم كانت ليلة غريبة حتى إنني ما زلت خائفة بعض الشيء ألي ألان !!! ....

كان يستمع إلى الجميع ولكن لم يعقب على كلام أحدا منهم فهو وحده الذي يعلم أن ما رأته أخته ليس كابوس وان ما حدث بلوحه ساره حقيقي وان خلف القطعة البيضاء ما زال يجلس ذلك الصقر ... الذي قام بنقر أصـبعها حين لمسـته ... ولكنها لم تعرف من يكون هذا الصـقر ...؟ وأن كان يعرفه جيدآ هو الآخر!

وكيف لا يعرفه فمنذ رأى جاجان وذلك الشـــبح حين تحول إلى دخان، خرج من النـافذة تـاركـا ابن أخيـه ملقى على الأرض بين اليقظـة والنوم ... ليقوم بمســاعده بعد ذلك حتى ارقده مره أخرى في فراشــه، وأشـفق

عليه أن يتركه وحيدا فاســـتلقى بجانبه مفتوح العينين إلى أن بزغ نور الصـباح فأراح جسـده المنهك من التعب منذ أمس في نومآ متقطعآ إلى أن تعالت أصوات أسرته بالطابق الأسفل، فذهب إلى حجرته لا ستبدال ملابسه والاستحمام عله يفيق .... وألقى ببصره أثناء خروجه من الغرفة على أبن أخية في عطف وحنان فوجده يحرك راســه يميناً ويســارآ كمن يرى حلمآ مزعجآ.... أو قد يكون كابوســآ بغيضــآ، فتركه وذهب .... فهو لا يخشـــى عليه أثناء النهار، ولكن يخشـــى عليه من الظلام حيث الظلام لا يأتي إلا في الظلام، وأشـفق عليه فتركه ليصـحوا وقتما يشـاء فيكفيه ما لقيه ليلة أمس.

****

انطلق مســـرعا إلى حجرة المكتبة طالبا من أم محمود كوبا كبيرا من القهوة الذي أخذت تنظف

أسـفل مائدة الطعام ولم تسـمعه. فنادى عليها مرة أخرى معادا طلب القهوة وعدم إزعاجه فنظرت اليه وقد علا وجهها علامات الضـــيق وقالت لـه: يا دكتور كلما نظفت تلك البقعة عادت مرة أخرى. يبدو أن يوسـف ما زال يعبث معي بشـقاوته ككل عام فأرجو أن تمنعه... فبادرها بالقول: احضر القهوة بسرعه واتركيها ألان، وقال هناك أيضا بعض البقع في غرف النوم لا تتعبي نفسك بإزالتها فجميعا لن تزول.

تركها ذاهبا إلى حجره المكتبة وقد أدهشـــها ما قاله وانطلقت تهمهم ببعض الكلمات في طريقها إلى المطبخ لإعداد القهوة. تتحدى سيدها إنها قادره على إزالتها. وكيف لمثلها أن تسـتعصـى عليها نظافة بقعه طعام ....

كانت مثل ســـكان البيت تجهل تماما إنها بقعه من العالم الأخر بقعه من دماء شريرة كانت تلك البقعة بصمته حين يلمس اى شيء.

يترك بقعة من دماؤه كبصـمات أصـابعنا حين نلمس أحد الأشـياء. كـان لون دمـائـه غريبآ يغلـب عليـه السـواد وقليلا جـدا من اللون الأحمر. ولم يكن دمه مثل دمائنا فقد كان شـديد اللزوجة جدآ وشـديد الكثافة واللمعان، فكانت مثل طلاء السيارات والأجهزة الكهربائية.

ومن داخل حجرة المكتبة امسـك بسـماعه الهاتف المنزلي واخذ يطلب رقما وهو في غاية التوتر ...

صباح الخير يا ميلاد

ليرد الطرف الأخر

– صباح الخير يا عوني

– اسف أيقظتك مبكرا

- يرد ميلاد مداعبا: أنت تعرف أننا منذ كنا معآ نصـحو وننام في آن واحد ولم يتغير شـيء إلى الأن. فاذا كنت مسـتيقظا فأنا كذلك وأن كنت نائما فأنا كذلك، ثم تراجع عن دعابته إثر انتباهه التوتر في صـوت صـديقه الذي بادره قائلا: اسمع توترا شـديدآ في صـوتك هل حدث شيء غريب آخر أو تطور جديد للأحداث؟

فأخذ يقص على صـديقه أحداث الليلتين ألسابقتين وما حدث فيهما من تغيرات كثيرة قد وقعت، وبقع الدماء التي لا تمحو أبدا إنها من علاماته ألتي نعرفها ، واخذ يسـتغيث بصـديقه وأمين سـره قائلا: أدركني يا ميلاد ، انه هنا أنه يريد جاجان ولن يرحل حتى يحصـل على ما يريد من ألفتي ليخلصـه من عالمه وسـجنه، وأنت تعلم ما سيكون لاحقا وماذا سيحدث لنا جميعا أن تم له ذلك أدركني قبل أن افقده، أو افقد أحد أفراد أسـرتي ياميلاد ، قالها وقد إنهار تماما ...فأجابه صـديقة وقد اصـبح هو الأخر اكثر توترآ منة، سـأقوم بأعداد حقيبتي فورا ، وأكون عندك بأي وسيله مواصـلات الليلة سواء

طائرة أو قطار أو باص . سأكون معك قبل الليل، ولن أتركك حتى تزول الغمه والرب معنا ثم اغلق سماعة الهاتف، ودق جرس المطبخ مستدعيا الخادمة لتقوم بأعداد حجره الدكتور ميلاد، ألذى سياتي من القاهرة مساء اليوم وسيقيم بعض الأيام هنا. لإنهاء بعض الأعمال الهامة معآ ...

لم تسأل ألخادمة عن الضيف فهي تعرفه جيدا. فكم من مرات عديدة أقام هنا، أيام عديدة متصلة مع الدكتور يعملون معا بحجرة المكتبة أو المكتب وكثيرا ما كانت ترى أمامهما أوراق قديمة وكتب ومخطوطات يقومون بالعمل عليها ....

وأنهى تعليماته معها، وأخذ يتفقد المكتبة ليخرج من أحد أدراجها كثيرا من الأوراق بين الحديث والقديم، قد تراكمت بقايا الأتربة عليها حيث لم تمسها يدا منذ سنوات عديده، فأخذ ينظف الأتربة من فوق الأوراق بعناية فائقة كمن يخشى أن تتساقط حروف تلك الأوراق والمخطوطات على الأرض أو تتطاير حروفها في الهواء، ثم احضر جهاز لا ب توب كان موضوعا بأحد الأرفف وأيضا أحضر مجموعه من أقلام الرصاص واثنين من العدسات المكبرة وأواري بيضاء للكتابة ... وأصبح المكان مهيأ تماما ...أصبح مجلسا للعلماء.

****

ذهبت الخادمة تحمل ورقه صغيرة دون بها بعض الطلبات الخاصة بقائمة الطعام التي طلبتها السيدة فريدة لتقوم بإعطائها إلى زوجها الجنايني لإحضار ما بها من سوق القرية كعادته، حيث يقوم بشراء

الخضـر والفاكهة مرة أسـبوعيا من سـوق الخضـار، وانطلقت الخادمة لترى في طريقها أفراد الأسرة وقد ذهب كلا منهم بعيدا شـاردا في أفكاره فساد السكون البغيض المكان إلا من يوسف الذي أخذ يلهو هنا وهناك، فأخذ يجذب كلا من رضـوى مرة وسـارة مرة أخرى لحثهما أن ينزلا معه إلى الحديقة كي يلعب. إلا أن الجميع رفض طلب الصـغير فمازالت رضـوى تتنظر أن يسـتيقظ جاجان حيث اقتربت السـاعة من العاشـرة صـباحا، وكانت هذه المرة الأولى يتأخر هكذا في نومه. فنظرت إليها فريدة وقد شـعرت بحيرتها فأمرت يوسـف أن يذهب إلى الأعلى ليتفقد جاجان ويرى هل اسـتيقظ أم لا ... فاذا بجاجان على الدرج وقد بدا عليه علامات الإرهاق والنوم، فتقدم نحو أسـرته ليبدو متعبا ويبدون هم شاردين بعض الشيء....

من داخل المكتبة وصل صوت جاجان إلى عمه فوضع كل شيء بيده جانبا، وأنطلق مسـرعا ليرى ابن أخيه. وهل مازال يتذكر أحداث أمس؟ أم ماذا حل به بعد تلك الليلة المظلمة؟ أما الحبيبة فقد انفرجت أساريرها وعادت أشـرقه وجهها فور ظهور الحبيب، وأن كانت عيونها تحمل إليه الكثير من اللوم الذي لو تجد مجالا له الآن وسـط أسـرتها كي تبوح ما بقلبها لـه أو تلومه. فقامت مسـرعة من مكانها لتجلس بجواره إلى أن سـبقها خـالها وجلس هو بجوار جاجان فرجعت مرة أخرى لمقعدها وأصـابتها الدهشـة من خالها حيث كان هناك الكثير من المقاعد الخالية ... فلماذا هذا المكان؟ ولكن لم يعيره ذلك أدنى اهتمام فكان هنـاك ما يشغله أقوى من الحب.

فسأله متجاهلا ما حدث أمس كي يعرف، هل يتذكر شيء منه أم مازال آمن لا يتذكر شـيء؟ .... فقال: لقد تأخرت كثيرا في النوم وإني أريدك معي بعض اليوم فالدكتور ميلاد سـيكون متواجد مسـاء للعمل معي في بعض الأشياء الهامة،

امسك جاجان رأسه من الخلف فقد كان يشعر بالألم قليلا، فطلبت فريدة من ألخادمة أن تعد له الإفطار وبعد أن يتناول إفطاره يتحدثون، ولكنه بادرها قائلا: يريد فقط كوبا كبير من النسكافيه وسندوتش صغير سيتناوله هنا معهم. فقد رأى حلما غريباً مخيفاً وهو لا يحب أن يظل وحده اليوم حتى يخرج ذلك الحلم من رأسه ... اشتد انتباه عمه وراح ينتبة لكل كلمه سيقصها جاجان. فهو لم يكن مستمع فقط كالأخرين ولكن كان يقوم بربط الأحداث، لحماية ابن أخيه الذي أصبح وأسرته بل وقد أصبح الجميع في خطر داهم.

واخذ الفتى يسرد الحلم، او كما يظن حلما. فقال ما إن وصلت لغرفتي أدركت كم أنا مرهق.

فأطفأت أنوارها وتركت النافذة مفتوحة، فقد كانت نسمات هواء الليل ساحرة في ذلك الوقت وضوء القمر يغمر السماء كما انتشر عطر الزهور الفواح، فبات الليل أكثر جمالاً وسحرا. ولم يجعل تلك الصورة غير مكتملة الجمال بومه من الطيور وقفت أمام نافذتي وأخذت تحدق بي. فحاولت أخافتها كي تبتعد ولكن يبدو أنى من خفت منها، فأسدلت ستائر النافذة، وذهبت للنوم وتركتها، فظلت واقفة لا تتحرك حتى ذهبت في سبات عميق. واخذ يقص ما حدث له منذ وطأت قدماه الحجرة الممنوعة جاهلا تماما أن ذلك لم يكن حلم، وأن تلك الأحداث حقيقيه ولكن أتته في صوره حلم ... ناسيا تماما كيف دخل تلك الحجرة ... وفور انتهاء قصته التي خاف منها أفراد الأسرة؛ فقد كانت أكثر الكوابيس رعبا وأشد فزعاً مما رأت فريدة في نومها أو ما حدث للوحه سارة،

خيم السكون لحظة على الجميع، وأخذ كلا منهم يفكر في ذلك الحلم الغريب، ثم انتبه الجميع لأصوات تلك الصخور التي تتحطم وصوت رهيب أشبه بصوت الرعد وأصوات مثل أصوات عواصف الصحراء.

فانتبه الدكتور عوني لتلك الأصـوات، ولم يتحرك من مجلسـه فقد كان يعلم من أين تأتى، وما مصـدرها، فمنذ ليلتين تعاد على سـمعه ولكن الآن يسمعها صـباحا بل وجميع أفراد الأسرة حتى ألخادمة خرجت من المطبخ مهرولة مرعوبة من تلك الأصـوات. كم ذهب الجميع ينظرون من شـرفة الفيلا ألمطلة على الحديقة، لمعرفه من أين تلك الأصـوات؟ ولكن كل شيء كان هادئا بالخارج فعادو يعليهم الدهشة والحيرة!

استشعرت فريدة الخوف الذي بدا ظاهرا على قسمات وجهها فاحتضنت يوسـف بشـدة ... وعلت الهمهمات تتسـاءل عن تلك الأصـوات التي جاءت فجأة واختفت فجأة، ولم يكن هناك جواب لتك الأسـئلة. فخيم على المكان سكون ورهبة.

ثم قامت فريدة ويوسـف إلى غرفتها لترتاح قليلا، فأوقفتها سـارة لتذهب أيضـا معها. فقد كانت ليله أمس مليئة بالكوابيس والأحداث المزعجة التي سلبتهم جميعآ سـاعات النوم، فأصـبح الجميع ليس بخير. أيضـا انطلق الدكتور عزمي لداخل المكتبة في انتظار صـديقه دكتور ميلاد واخذ يكمل أوراقه وأبحاثه الذي أخذ يعمل عليها منذ سنوات. مع صديقه تحسبا لهذا الوقت. أما الخطيبان فلم يبرحا مكانهما، فمازال الفتى يشعر بتوعك وخطيبته تهون عليه بعض الشـيء، وقد أشـفقت عليه من قصـة الحلم الذي رآه ولم تستطع أن تلاومه على عدم تناول إفطاره معها ....

****

اقتربت الشـمس على المغيب وإذا بصـرخة مدويه أطلقتها رضـوى. فركضـت أمها من غرفتها تتبعها سـارة ويوسـف، كما أنطلق الدكتور عوني من غرفه المكتبة حتى الخادمة وزوجها أتوا آثر تلك الصـرخة المرعبة، وأصـبح على رؤوسـهم الطير وأطبق المكان بالصـمت إلا من

أفواه مفتوحة، وعيون محدقة يملؤها الرعب ... والكل يصـرخ متسـائلا: ماذا حدث؟ ماذا حدث؟ فقد صمت الجميع ولا مجيب ...

نظر أيضآ وقد أصابته الدهشة والرعب. فقد كان جاجان مطأطئ الرأس لا ســفل كمن اغشـــى عليه، وقد ارتفعت احدى زراعية إلى أعلى، فاذا بهالة من النور الأحمر الممزوج باللون البرتقالي تدور حول معصـــمه، وقد كان بداخلها هالة أخرى من الحروف والطلاسم والأشكال العجيبة. فقط تدور في دائرة واسعة تم تضيق شيئا فشيئآ لتلتف حول معصمه. استمر الأمر أكثر من مرة ثم أضاءت مرة والتصقت الحروف المضيئة حول معصمه، وذهبت الهالة الحمراء لتبقى الحروف وكأنها أسورة لكن من طلاســم وحروف مضــيئة. وظلت كذلك لينزل بعدها ســاعد الفتى ألمرتفع لأعلى ثم استيقظ قليلا من سباته وراح ينظر للذين التفوا حوله تترقبه نظراتهم المرتعبة مما شاهدوه ....

فجلس بجوار ابن أخيه ليســقيه بعض الماء، وقد احتواه بين ســاعديه، واخذ يربت بيده على ظهره لاحتواء جســده المرتجف. فقد بدا شــاحب الوجه متسع العينين في ذهول، ولكن لم يستطع أن ينطق بكلمه واحدة ....

وطلب منهم بالانصـراف جميعآ وتركة وحده بعض ألوقت مع الفتى كما طلب ذلك من رضـــوى ألذى حاولت أن تبقى معه ولكنة رفض طلبها فانصرفت كباقي أفراد الأسرة، وظل هو فقط بجوار يحتضنه ويحاول أن يهدئ من روعه. وذهب كلا منهما في تفكير عميق. خيم الســـكون والرهبة على الجميع في ذلك البيت. منذ أكثر من ساعة مضت، حتى قطع وحشة المكان صوت سيارة أتت من الخارج، فقد كان ذلك الضيف ألذى ينتظره منذ الصباح انه صديق عمره وشريك سره الدكتور ميلاد، والذي يعرفه الجميع، فقد أصــبح فردا من أفراد الأســرة وليس صــديقة فقط. رحب بصــديق عمره وطلب من الخدم إرسـال حقائب السـفر إلى

حجره دكتور ميلاد الخاصة، وإبلاغهم بحضوره ... فتجمعت الأسرة مره أخرى وقد زال ذلك بعض رهبتهم وخوفهم منذ صـــباح اليوم. كانت عيونهم تتجه من آن إلى أخر نحو معصـم جاجان الذي لفة عمه برباط من الشـاش الطبي حتى لا يفزع الفتى لتك الحروف المضـيئة. أيضـا أمر الخدم بإعداد مائدة الطعام فجميعهم لم يتناولوا شـــيئآ منذ طعام الفطور....

وجلس أفراد ألاســره وصـــديقهم حول المائدة فلم يكن حديثهم ســوى الأحداث التي مرت بهم والأحلام المزعجة التي تعرضـوا لها ليلة أمس، ومازلت علامات الرهبة والخوف على وجوههم.

أما جاجان فقد راح في غفوات قليله متقطعة طوال اليوم. وفي كل عفوة كان يرى شيئآ أشبه بالحلم ... فمنذ قليل قد قص عليهم ما رأي في ليله أمس من حلم الحجرة الممنوعة وما حدث لـه فيها ... والأن يقص ما رأى عندما اغشـى عليه منذ قليل. ولكن لم يسـتطع أن يقول شـيئآ من شده هلعه ألا بعد دقائق...

أستمع الدكتور عوني وصديقه لحديث الفتى باهتمام شديد وما يلقيه من كل كلمة. حتى عمه طلب منه عدم الحديث إلا بعد إحضـار قلم ودفتر تدوين ملاحظاته الخاصــة. وفتح دفتره بسـرعة واخذ يدون حديث الفتى ... كان يمكنه أن يقوم بتسجل الحديث بدلا من ذلك إن كان الأمر يريد تحليله أو ما شابه ذلك. ولكنة يعلم جيدآ كما يعلم صـديقة ميلاد أيضـا، أن الحديث سـيتلف وسـيتم محوه من جهاز التسـجيل. ويعلم من سـيقوم بأتلافه. كان يعلم كل شـيء، فقد كان ذلك سره الذي حاول الحفاظ عليه منذ سنوات.

****

اقتربت ألخادمة من الدكتور عوني تسـالة أن كان أحد أفراد الأسـرة به إصـابة لترسـل زوجها للصـيدلية لشـراء أدوية او شـيء أخر. فنفى ذلك ليقوم بســـؤالها. لماذا؟ ... فتجيب علية قائلة. أن كثيرآ من حجرات المنزل بها بقع من الدماء. فهل حدث شيء؟؟

التقيت عيناه بعين الدكتور ميلاد وقد فهما فورا ما حدث، وان بقع الدم ماهي إلا بصمته–بصمة ذلك الهارب من سجون الماضي السحيق. – ونظر مرة أخرى لها قائلا: يبدو أنها ألوان الرسم التي تستعملها سارة أو ألعاب يوسف. اتركيها ألان.

ثم التفت إلى ابن أخيه قائلآ بعد العشـاء: احكى لنا ما رأيت في غفوتك أما الآن فتناول طعامك فأنك لم تأكل منذ الصباح وكذلك باقي الأسرة، واخذ ينعطف بالحديث عن الذكريات منذ طفولتهما حتى يغير إحســاس الخوف الذي أطبق على المكان، وأن كان أكثرهم هلعا وخوفا فهو يعلم ما لا يعلمون ...

التفت الآسرة حول جاجان، فكان هناك من يحتسى القهوة وهناك محدقا في الفتى، ليســـمع منه رؤياه الأخيرة، وان كانت غفوة لم تتعد دقائق قليله...

فقال: كنت أغوص في هاله من النور العميق الأبيض كبياض الثلج، وبداخل الضوء المبهر أتأنى صوت. لقد سمعت ذلك الصوت من قبل، وقال لي كما سمعته سابقآ نفس الكلمات... وكان ذلك بالحجرة الممنوعة ...

فاذا بالصوت يقول: اخذ الصوت يردد في قوه

هنا الطريق إلى مدينة الحزن

هنا الطريق الذي يوصل إلى الألم الأبدي

ولكنه قال أيضـا لا تقترب أيها الأمير.... لا تقترب أيها الأمير ... لا تقترب أيها الأمير المخلص. لا تسـتمع اليه .... احترس أيها الأمير ..... احترس أيها الأمير .....

وإذ ا بطيف هائل يخرج من البياض المشـع نورا. طيف قد يكون لرجلا أو ما شـابه الرجل ذو هيئة عظيمة يحمل صـولجان كبير ذهبي اللون حفرت عليه نقوش وطلاسـم بلون البرونز في نهاية الصـولجان تمثال صـغير يرتدى تاجآ من الأحجار الكريمة يضـوى بريقها كأنه الماس. يشير ذلك التمثال الصغير أعلى الصولجان إلى شيء لا اعرف ما هو، أما الرجل فقد كان فارع الطول مهاب الشكل والهيئة شعره طويل أشيب يتطاير على كتفيه تنتشـر به خصـلات ذهبيه اللون، يرتدى ملابس فاخرة وان كانت ذات طراز عجيب مثل أزياء الأساطير. كان يبدو ذو سلطة وسطوة في مجتمعه. وأيضـا من خلال الضوء يظهر شابا لا يقل هيبة عن ذلك الرجل بل يبدو أكثر سـطوة منه. وما أن رآه ذلك الشبح الأشيب حتى انحى له إجلالا واحتراماً ثم عاد منتصبا ينظر إلى الشـاب في خضـوع. بدا ذلك الشـاب فارع الطول كأنه اتى من عالم العمالقة. يحمل بيده سـيفا عظيما يرتدى ملابس كملابس قاده الجيوش، كان أيضـا يرتدى تاجا كتبت عليه نفس الطلاسـم المكتوبة على الصولجان الذي يحمله الرجل الأشيب بيده ...

نظر لي الشاب المحارب نظرة متفحصة ثم نظر للرجل الأشيب وقال: هل هذا هو الأمير؟

فأجاب المهيب الأشيب قائلا: نعم هو يا مولاي.

فقال: هل ألقيت عليه أوامرنا؟ فقال له الأشـيب نعم يا مولاي. نظر لي الشـاب مره أخرى وقال: لا تسـتجيب أبدآ مهما حاول ولا تخف منة فجنودنا حولك.

ولكن، **لا تتبع الطريق الذي يوصل إلى الألم الأبدي.**

ثم اختفت هاله النور واختفى من بها ... فلم أعلم من يكونوا ولا إلى أي أمير يتحدثون ....

واخذ يتحسس رأسه مرة أخرى من الألم، وان كان يعلم عمه سر ذلك الألم فقد كان أثر سقوطه على الأرض ليله أمس عندما انطلق ذلك الشبح بحجرته ...

ثم أطبق الصمت على الجميع وقالت فريدة محدثة أخيها: ما هذا يا عوني؟

ايكون بالمكان شيئآ ما "بسم الله الرحمن الرحيم "؟ ... ماذا يحدث؟!! احضر لنا شيخ في الصباح يقرا في البيت قران. فلم نتعرض لمثل هذا الموقف من قبل ... ثم استأذنت من الدكتور ميلاد وأخيها لكي تذهب بيوسف إلى النوم فقد تأخر الوقت، وذهبت معها ساره ورضوى لحجرتهما، وبقي وصديقه وابن أخيه الذي طلب منه إلا يخلع غطاء معصمه أبدآ عن تلك الحروف المضيئة حتى الصباح. كما يمكنه النوم في حجرته أن أراد فمازال. هناك عمل كثير سيقوم والدكتور ميلاد به قد يستغرق جزء كبيرآ من ساعات الليل.

****

دقت الساعة الثانية عشر فطلب عوني من صديقه أن يستريح هو الأخر من عناء السفر وغدا يقومون بالعمل معا. فرفض ذلك معللا بأنه نام أثناء السفر وقت كافي ليكون معه مستيقظا في تلك الليلة. لربط الأحداث ومعرفه كيفية الخلاص من تلك الكارثة. واستجاب له صديقه وشكره على ذلك فطلب من الخادمة كوبين من القهوة ثم صرفها كي تنام هي الأخرى ليبقي فقط وصديقه مستيقظان في ذلك البيت،

انتشرت الأوراق والمخطوطات أمامهما على الطاولة التي تتوسط غرفه المكتبة فكانوا يدونون كثيرآ ألملاحظات. حتى أســـتوقفهما عن العمل دقات الساعة الواحدة صباحا ألوقت المعتاد لبداية الأحداث منذ ليلتين. ثم أخذت تدق بعد ذلك دقات بطيئة على غير عادتها، فكان صـــوتها مختلفآ هذه الليلة. أما جدران الغرفة فقد أتى منها صـــوت قرقعة عالية كصوت صخر يتكسر حتى أضواء الغرفة باتت ترتعش هي الأخرى، ثم أخذت الساعة المعلقة على الحائط في الاهتزاز ... كان كل شـيء في المكان يوحى أنه قادم. ذلك الشيء الخارق للطبيعة – كلا ليس بعد – فقد علم أننا نعرف، ومازال يحاول. إذا ســـيكون جائعآ – جائعآ وشرهآ لمطلبه – وهذه الليلة تختلف معه عن الليلتين الماضيتين –زادت طقطقه الجدران وأطبق الصمت على الصديقين في انتظار المجهول ... فاخذ أحدهما دفتر صغير من الورق وقلم لتدوين كل شيء ...

ثم أخذت الثريا المعلقة بالسـقف تتمايل في شـده، والأبواب أصـبحت تصدر أزيزا شنيع كمن يحاول فتحها ببطيء حتى اللوحة المقلدة للوحة الموناليزا الشهيرة ذات الابتسامة الساحرة تحولت ابتسامتها إلى ابتسامة شريرة ونظرات حادة غاضبة.

انتهت السيجارة المشتعلة بيد الدكتور ميلاد فسقط رمادها على الأرض دون أن يشـــعر بذلك حتى احترقت أصـــابعه، فترك ما تبقى منها في طفاية الســجائر على المنضــدة دون أن تتحرك عينه بعيدا عما يحدث حوله ...

ثم بدا الضوء يتغير. وأصبح ساطعا مثل بياض الثلج ثم أصبح احمر يميل إلى البرتقالي بعض الشيء ثم عاد الضوء الأبيض أكثر مرة أخرى ثم غاصت الأرض فأخذت معها الضوء الأبيض والأحمر معآ، فسكن الصوت وسكنت الأحداث ...وفجأة انشقت الأرض تحت قدميهما ليعود الضوءان مرة أخرى وتعود معهما الأصوات من جديد، ثم سكنت الحجرة

قليلا ثم عادت الأصـــوات مره أخرى ولكن بالطابق العلوي. فاســـرع العالمان نحو للدرج المؤدى للطابق العلوى، و برغم الرعب الهائل مازال يدون الأحداث حتى لا تضـيع منه كما ضـاعت من جاجان ... وانطلقا الاثنين خلف الأصـــوات التي ارتفعت بجوار حجره جاجان، وكأن الضوءان يلتحمان ويمتزجان معا ثم انفصلا وقد حاول الضوء الأحمر أن ينزلق من أســفل باب حجره جاجان ليدخلها، والضـــوء الأبيض يحاول أن يمنعه ويعمل حاجزا بينه وبين الباب ثم حاول الضوء الأحمر أن يعبر خلال الجدار إلا أن الضـوء الأبيض قد قاومه وبشـدة مرة أخرى ، فكانت معركة شـــرســـة بين ضـــوئين يعلوها كثيرآ من الضجيج وكثيرا من الغضب ...

وبرغم تلك المعركة إلا أنها لم تترامى ألي ســمع باقي أفراد الأســرة. فحمد الله كثيرا فكم عانوا جميعا منذ ليلة أمس ....

اخذ الدكتور ميلاد الدفتر من الدكتور عزمي، ليكمل باقي الملاحظات لذلك الضـوئان وأحداث المعركة الشـرسـة بينهما. وعند فشـل الضـوء الأحمر الدخول لغرفه جاجان تحول لذلك الرجل صاحب الوجه البغيض ذو الشــعر الأســود الذي تتخلله شــعيرات حمراء تقطر دماء ... فمن يكون ذلك المخلوق؟ وماذا يريد من جاجان؟

أما صــاحب الضــوء الأبيض فقد تحول هو الأخر إلى عجوزا أشــيب مهيبا كما كانت تتخلل شـعره خصـلات ذهبيه اللون يقاوم ذلك المخلوق بالصولجان الذي بين يديه، وكلا منهما يمتلك قوة خارقه جسدية وأيضـا ســـحرية ... فمن تلك المخلوقات؟ ومن أي زمان جاءت ؟؟ ... وماذا تريد من أصـحاب البيت؟ ومن هو ذلك الأمير المخلص الذي ينادى به جاجان؟؟

حتى كاد الفجر يوشـك أن يمد خيوط نوره ليبدد ظلام الليل ويبدد معها ظلام ذلك البيت .....

فعادت الأشـياء إلى طبيعتها وهدء كل شـيء وألقى العالمان بجسـدهما على أقرب كرسـي يلتقطان أنفاسـهما المقطوعة ... مما حدث تلك الليلة ... ومشاهدة ذلك الصراع ألغريب...

****

بدأ اليوم أكثر هدوء من اليوم السـابق فقد نام أفراد العائلة في هدوء واسـتقرار. ولم يشـعر أيا منهم بذلك الصـراع الشـرس الذي شـاهده العالمان تلك الليلة، فقد كانت أسـوء ما يكون وأكثر رعبا مما شـاهدوه من قبل أثناء عملهم في البحث والتنقيب عن الأثار في كل دول العالم. وانتصـف النهار ومازال العالمان كلا منهما مسـتغرق في نوم عميق بداخل حجرته .... حتى علت مكبرات المسـاجد لتعلن عن أذان الظهر ... الذي ملأ سمع الدكتور عوني فأخذ يتقلب في فراشـه ثم قام ليغتسل ويغير ملابسـه. ومازال متكاسـلا كمن لم يذق طعم النوم منذ سـنوات، فتعالى إلى سمعه صوت صديقه بالأسفل يتجاذب أطراف الحديث مع الأسـرة وارتفعت الضـحكات الخفيفة. فعلم أنهم لم تصـل لأسـماعهم الأحداث الجارية ليلة أمس لذلك الصـراع الرهيب، فحمد الله مره أخرى. وكانت الخادمة قد أعدت المائدة لإفطار للعالمان، فاخذ يتجاذبان أطراف الحديث وحدهما أثناء الطعام بعيدا عن سـمع وعيون العائلة الجالسـة هناك دون أن يشـعر بهمسـهما أحد، فقد أشـفق عليهما مما شاهداه ذلك اليومين.

****

المعرفة قد تقود الأنسان إلى طرق لم يكن يتخيلها في يوم من الأيام
فأما تقودك إلى البناء وأما تقودك إلى الدمار

ولكن هناك قاعده لكل شيء حتى وان كان العلم

فتعلم أولا عما تبحث؟ ولماذا تبحث عنه؟ فهل تبحث للعلم؟ أم مجرد فضول؟ واحترس ثم احترس أن يقودك فضولك فقط فقد يكون في ذلك دمارك؟

فان أردت الغوص في بحار المعرفة فعليك أولآ أن تتعلم وممن تتعلم فما كان الجهل يوما حماية لأحد وما كان الفضول علما لأحد –

****

اجتمع العالمان بداخل حجرة المكتبة تمتد أمامهما عشرات الوثائق كما انتشرت على الكراسي بعض الكتب وكثير من الأوراق والمخطوطات التي راح يحضرها الدكتور عوني من إحدى دواليب الغرفة بعناية شديدة يساعده في ذلك صديقه ....

ثم جلس وبدأ بفتح بعض الكتب على صفحات تم وضع بعض العلامات عليها بقلم اصفر فسفوري تغطى الأسطر بلون شفاف دون أن يطمس الكلمات. ثم وضع الكتاب وقال: لصديقه في نبرة صوت يعلوها الأسى ويعلوها الندم. هل أخطأت عندما أخفيت ذلك السر عن الأسرة يا ميلاد؟ أم كان يجب أن يعلموا بذلك منذ زمن طويل؟ لكي يستعدوا له بالعلم بدلا من المعاناة التي أنا بها منذ سنوات ... أكان من واجبى أن يعلم جاجان ثم أسلحه بالمعرفة والعلم لمواجهه ذلك؟ لقد أخطأت وأنا في اشد ندمى الآن ...

ويجيبه ميلاد ويشعر بما يشعر به صديقه .... نعم يا عزمي، كثير ما نخطئ ونحن نحمي أبنائنا أو ذلك ما يخيل لنا في إخفاء سرا ما، وأبعادهم عن معرفه شيء ما، وعدم إجابه أسئلتهم سواء من باب الجهل منا في معرفة الإجابة عليهم، أو خوفنا من تكون عيبآ كما تعلمنا، ولكن لا يوجد ممنوع في العلم ...والأهم ممن ستأخذ العلم. كثيرا ما كنا

نخاف الغوص في بحور العلم والمعرفة، وألان أصـــبح العلم في يد الجميع، وما كنا نخشاه على أبنائنا أصبح بكبسه زر يظهر أمامك أينما كنت من خلال شاشه سواء لموبايل أو جهاز كمبيوتر. فقد أصبح العالم كله يقيم معك في حجرتك الصغيرة، وهذا أحطر ما في الأمر، ألان بت تملك العلم ولكنك لا تعلم جيداً من يقدمه لك؟ أو من بجوارك على شـاشـتك؟ فليك أن تعرفة. وبدون علم لن تعرف من يكون؟ أو مع من تتحدث؟ أو من تتلقى منه المعلومات ألمتاحة بدون مقابل، وهل صديق أم عدو؟ طيب أم شـــرير – لن تعلم ذلك إلا من خلال المعرفة والعلم ألصحيح من مصدرة.

فقال عزمي: ولذلك نخشـــى على أولادنا الغوص في بحور المعرفة. معتقدين بذلك أننا نحميهم وأن ذلك هو الطريق الصحيح!

ولم نربى جيل لغير أيامنا. حتى وان حاول منهم الغوص غرق في بعض الأحيان في حبال الشـر أو حبال الجهل. فأصـبحنا نعانى، فاذا كنت كشفت ذلك السر إلى أسرتي وتعلمنا في تلك السنوات كيف نقاوم ذلك الشر إذا ما جاء، لكنت أقوى بهم، ولكن الأن وحدي أحاول حماية الجميع، فهل سـأصـمد؟ هل أتمكن وحدي من المقاومة؟ فلم أكن اعلم إنها ستكون بذلك الحجم ؟!!

اعنى يا صديقي ...سكت ميلاد لحظات ثم قال لصديقه. هناك اقتراح آخر ولا اعرف أن كنت ســـتوافق عليه أم لا ... فقال: ما هو؟ فقال ميلاد: أن تعلن للعائلة عن الســـر. يجب أن يتحمل الجميع ما يمر به المنزل الأن. يجب أن يشـــارك الكل المســـئولية وان كان بعضـــهم لن يتحمل ذلك وبعضهم سيعاني ولكن أيضا سيكون هناك من سيساندك ويعينك.

ولكن المعرفة تحتاج إلى العلم، وهم لم يتعلموا كيفية مقاومة ذلك الشـــيء_ ذلك الهارب من زمن ســـحيق ولا يمتلكون مهارته ولا قوته– فكيف لهم أن يتعاملون معه؟ وكيف يدافعون عن أنفسهم؟

أخشى على أسرتي يا ميلاد. أخشى على جاجان أكبر شباب الأسرة وعماد أبيه ... ماذا افعل؟

- يجب يا عوني أن يعلم الجميع بالسر. فان حدث شيء لي أو لك أو حدث شـــيء لكلانا تكون قد أعلمت الجميع، وقد تركت لهم أبحاثك ستكون مرجعا لهم، وبذلك لن يضيع أحد. سيقاوم من بقي أو سيقاوم الجميع إلى أن تنقشع تلك الغمه.

شرد قليلا مفكرا في كلام صديقه وسأل نفسه حقا لو حدث لنا شيء يكون قد ترك الجميع على علم ليســـتطيعوا المقاومة ؟؟ مقاومه ذلك الهارب من الزمن السحيق.

نعم لابد أن ينكشف السر ..... لابد أن تعلم ألاسره .....ما أن نطق تلك الجملة حتى انصفقت أبواب الغرف والشبابيك من تلقاء نفسها في وقت واحد وفى عنف شديد، ثم انقطع الضوء عن المكان ليغمر المكان نورا احمر ثم يذهب وتعود إضاءة البيت كما كانت.

****

الفصل الخامس

فتح الدكتور عزمي نافذة حجرته فرأى الأشجار والزهور المنتشرة بالحديقة قد اكتست بخيوط الشمس الذهبية فزادتها بهاء وجمالآ، كما انطلقت الطيور من أعشاها منشدة خلفها تلك السمفونية الصباحية البديعة من تغريد والذي كانت سبب من أسباب سعادته كل صباح، ولكن مع الأحداث الجارية منذ حضور أسرته هنا ككل عام لقضاء بعض اجازتهم ألسنوية....

هذا العام فقد كل شيء رونقه لم يعد يرى الأشياء على حقيقتها أو بساطتها. ولم يعد لديه وقت للتمتع بالجمال ...ثم انتبه إلى أن أشعة الشمس تشتد سطوعا، فأسرع في ارتداء ملابسه وهو في غاية الإرهاق. فلم ينم سوى وقت قصير بعد الفجر وكذلك صديقه. الذي اتفق معه على الاجتماع بالأسرة لا فشاء السر، وانطلق إلى حيث مجلس أسرته حول المائدة الصغيرة بجوار حمام السباحة فقد ظل الجميع بداخل البيت يومين كاملين لم يستطع أي منهما التحرك للخارج بسب ما يدور حولهما من أحداث جهل جميعا عن تفسيرها إلا فريدة التي كانت على يقين بأن المنزل به شيء من السحر أو الجن ولابد من إحضار شيخ لقراءة القرآن.

فقد كانت اشد الجميع رعبآ على أبنائها وأبناء أخيها وأخيها الذي مازالت تحثه للذهاب معها للقاهرة والإقامة معها هناك أو الإقامة في شقه الأسرة القديمة. فمازالت كما هي بكامل أثاثها ولن يحتاج ألي شيء آخر وتوجهت بالحديث لصديق الأسرة دكتور ميلاد كي يساعدها على إقناعه ... فأخذ ينظر لصديقه نظرات هم فقط يعلموا ما بها...ثم هدأ عوني من روع أخته واخذ يربت على يديها قائلا: أن شاء الله. كل شيء سيكون بخير، ثم ابتسم

وقال محدثا ابن أخيه ... أتريد أن تعرف ياجاجان معنى اسـمك ... فكثيرا قد سألتني عن معنى هذا الاسم ولماذا اخترته لك ... فانتبه الجميع وتشـبثت العيون بما سـيقول فكثيرا ما كان يريدون معرفة معنى اسم جاجان، ولماذا اختار عمة هذا الاسم الغريب. ابتسمت فريدة وقالت لأخيها نعم وبسرعة أخيرا ستحكى لنا سبب اختيارك لهذا الاسم الغريب ؟!. ثم نظر اليه الفتى متفاخرا بنفسه ومازحا فقال: وهل كنت ســـأنتظر أكثر يا عمى لقد بحثت في الأنترنت وعرفت معنى الاسم. وأضـاف لا يوجد سر هذة الأيام أي معلومة تستطع أن تجدها في دقيقه ... ...ابتسم ميلاد وقال: وماذا وجدت ما هو معنى جاجان؟ ...

اعتدل ألفتي قليلا في جلسته ومازال يملأه الفخر تشاركه في ذلك ساره ورضـوى. انهم يمثلون جيل المستحيل فقال: وجدت للاسم أكثر من معنى أحـدهمـا يقول البعيـد عن الأرض القريـب من السماء، والأخر يقول هو اسم هندي ومعنى أخر يقول: هي اسم نبات ينبت في سـفح الجبل. نظر أليه عمه وسـأله – واي الآراء أخذت؟ تلعثم الفتى وأخذته الحيرة وأيضـــا فريق مشـــجعيه من الشباب رضوى وساره فنظر بعضهم لبعض– فأعاد عليه السؤال مره أخرى فأجاب: لا أعلم. كنت أريد معرفة معنى الاسـم فقط ولم أهتم اى معلومة هي ألصـحيحة. فقال ميلاد: يا بنى المعرفة لابد لها من دليل، ومن أين تتلقى معلوماتك ...

لقد بحثت فهل عرفت أي الإجابة هي الصـــحيحة؟ لقد أصـــبح فضـاء عالم الأنترنت مثل المولات التجارية كلا ينشـر بضـاعته وقليل من المشـترين من يبحث عن مصـدر هذه البضـاعة فتراه يقلب فيها ليعرف من أين منشـــأها وهل هي جيدة كما تبدو من طريقة عرضـها البراق، أم أنها بضـاعة زائفة لا تسـتحق الشـراء

وان كان الجميع يحب ألمشـــاهدة. وهناك من ينخدع بطريقة العرض ويقوم بالشراء ثم تكون الكارثة.

انطلق الجميع في عالم الأنترنت كلا يدلى بما يعرف أو لا يعرف فأصـــبح الجميع فقهاء، وعلماء، وأطباء، وأنت لا تعرف مع من تتعامل ومن يكون مصـــدر المعلومة ولا تعلم أهي صـــحيحه أم لا ... وينطبق ذلك حتى على وصـــفات الطعام؛ يأبني كل مباح مســتباح .... فاذا كان هناك شـــيء بدون ثمن فاعلم أنك الثمن ...

لذلك احترس إذا قدم اليك شـــيء مجاني وخصـــوصـــا العلم فهناك من يضع السم في العسل فليس كل عالمك أصدقاء! ولن تعرف بيسر مع من تتعامل كما قلت ســابقآ، فداخل المعلومات الصـــحيحة التي يعرفها الجميع يتم وضـــع الســم. ســيكون معلومة وســط هذه المعلومات التي تعرف أنها صـــحيحة فلن ترتاب أن هناك خطأ، وهنا قد تدمر هذه المعلومة الخطأ والمقصـــودة حياتك، وقد تغير أفكارك، وانتمائك، وقد تصبح شخص غريب حتى على نفسك. وهذا ما يريده صاحب تلك المعلومة.

هناك ألكثير من المعلومات المضـــللة عن عمد أو عن جهل لكثير من المعلومات التي تطرح يوميا على ملايين المواقع والصفحات الشخصية. فقد يكون صـــاحب محل عطارة ويقوم بكتابة وصـــفات طبية. فيقول ألبعض أنها أعشاب ولن تضر ولن تهتم بالأمر كثيرا، ولكن الطبيب او المثقف سيعرف أنها حقآ أعشاب، وقد يكون ضـررها أكبر من نفعها، وأقل أضـــرارها عدم التخزين الجيد حيث لا يوجد تواريخ صـــلاحية للأعشـــاب أو متابعه هيئات عذائيه ألا في نطاق معين. فمثلا ماذا يحدث لو أصاب تلك الأعشاب السوس؟ والذي يودي تناول الأشياء المصاب به إلى أمراض خطيره جدا ... أيضا بعضها يؤثر على المعدة

الحساسة، وأيضا تناولها مع بعض الأدوية قد يحدث تفاعلات ... وهذا أبسط الأمثلة ...

وهناك الأخطر من ذلك ... عرفت أن كل شـــيء مباح مســـتباح ... وسـيكون المسـتباح للغير نشـر الفكر ألذى يؤثر فيه على الأخرين كما يشـــاء بجرعات صـــغيرة، ثم تحدث الكارثة. ونظر عوني إلى وجوه الشـباب الذي أصـابتهم الحيرة فقال: وان كان الكلام فيه الكثير والكثير من الحقيقة ولكن أيضـا هناك أماكن وصـفحات مؤثره وموثقة معروفة، ابحث فيها فان لم تجد ما تريد ... هناك بريد إلكتروني لكثير من المؤسـسـات والعلماء أو الكتاب أو الجامعات هناك الكثير من الأماكن التي يجب أن تكون مصدر بحثك أولا.

ثم أبتســـم وقال أتريد الأن أن تعرف معنى اســـمك؟ أم بحثت وعرفت ..... ابتسم قليلا وقد تراجع عن غروره. فقال في تواضـع نعم: أريد أن اعرف المعنى الصـحيح. فقال له: معنى جاجان البعيد عن الأرض. ولا تجعل الجهل يقودك ولا تركب جواد فضـــولك إلا وأنت ممســـك جيدا باللجام واللجام هنا هو "العلم "... ثم اســـتطرد ســـريعا قبل أن يبادره أحدهما بسؤال أخر فقال:

هل تؤمنون بالأســاطير؟ ... هنا ضــحكت فريدة وقالت لميلاد: يبدو أن صديقك سيحكى لنا عن غرمياته السابقة .... ضحك الجميع وابتسم أخيها فأكملت موجهة حديثها لأبنائها وأبناء أخيها، كان عشــقه الأول والأخير عملـه ولم نعلم أي شـــيء عما يقوم بـه ســـوى من الجرائد والمجلات، فهو من أشـهر العلماء بالعالم وعمكم ميلاد أيضـآ فكثيرا ما كان يطلبا بالاسـم من دول أخرى لعمل أبحاث. فعلم الأثار كما تعلمون هو "علم يختص بدراســة البقايا المادية التي خلفها الأنســان ودراســة مخلّفات الحضـارة الإنسانية الماضية لحياة الشعوب القديمة. وتشمل تلك المخلفـات أشـــيـاء مثـل :المبـاني والعمـائر، والقطع الفنيـة،

والأدوات والفخار والعظام .وقد تكون بعض الاكتشـــافات مثيرة. إن البحث الأثري هو الســبيل الوحيد لكشـف حياة المجتمعات التي وُجدت قبل اختراع الكتابة منذ خمســة آلاف عام تقريبًا. كما أن البحث الآثرى نفسـه يشكِّل رافدًا مهمًا في إغناء معلوماتنا عن المجتمعات القديمة التي تركت سجلات مكتوبة "

وهنا أطلق العالمان ضـــحكه مدويه أعادت على المكان الموحش بعض البهجة، قبل ألقاء ذلك الســر الخطير. التقط منها الدكتور ميلاد الحوار وأكمل حديث صـديقه فقال: ولكن الأثار تختلف عن الأسـاطير، فالآثار جزء من حياة شــخص موجود ثم قام بتوثيق حياته كقدماء المصــريين والفراعنة وغيرهم في كل بلاد الدنيا أما الأســطورة، فهي شــيء أخر قصــص وحكايات متداولة منذ القدم ويتم توارثها بين الأجيال وقد تكون حقيقة وقد لا تكون كذلك ...

وقد شــغلت الأســطورة المفكرين من نواحي عدة فهي بوصــفها نمطا قصصيا شغلتهم بما تحكيه وبالسؤال عمن يحيكها، ولمن؟ ولماذا؟ وهي بوصـفها صـور وخيالات شـغلتهم بالسـؤال عن مغزى هذه الصـور والخيالات، ومدى علاقتها بالواقع الحسـي ، ثم هي بكونها جزء لا يتجزأ من النشاط الفكري والروحي للإنسان القديم بدليل انه حرص على نقشها على آثاره الدينية ،كما شـغلتهم بالسـؤال عن مدى ارتباطها بالحضـارات التي عاشت فيها ،وفيما إذا كان الارتباط محدودا بزمان ما، أو مكان ما ؛ أم إن الأسطورة تكشف في جوهرها بصرف النظر عن تباين أشكالها ، عن بناء الفكر البشري في أي زمان ومكان ونستمد معرفتنا بالأسطورة مـن الأعـمـال الأدبـيـة الـكـبـيـرة مـثـل الـمـلاحـم، والشـــعـر الغنائي، والمسـرحيات، والقصـص الرومانسـية، ومن النصـوص النثرية الأخرى. والكثير من البحوث والكتب والمقالات التي حاولت تفســيره وشـــمول أركـانـه، فكثير من البـاحثين يُعَرفونـه على أنـه مجموعـة من

التراكمات الثقافية التي تعود إلى الكثير من القبائل والشـــعوب التي عاشت ولاتزال تعيش حتى اليوم، وقد يكون لها أيضا بعد فلسفي وحكمة ونصيحة مستمدة منها. قد تحتوي على علم حقيقي في ثناياها. وهنالك عدد كبير من الأســـاطير تتحدث عن الظواهر الطبيعية العظيمة التي تحدث على سطح الأرض. وان كثيرا من الشخصيات التي كانت تدور حولها الأساطير هي شخصيات تاريخية واقعية من ملوك أو حكام أو أشخاص من الشعب كان لهم دور في الحركة المجتمعية والحضارية لذلك الزمان، وكذلك المدن التي دارت في فضائها الأساطير، فقد أثبتت البحوث الأثرية وجودها وقيام حضارات كبيرة فيها. مثال أسطورة عروس البحر كنا إلى قريب نعتقد أنها خيال إلا أن وجدت بالقرب من الشواطئ الأمريكية والتي تناول الناس مقاطع فيديو لها ... وتظل الأســـطورة أسطورة إلى أن يتم الكشف عنها ....

وأكمل الدكتور عوني حديث صديقه ليقول نعم هناك الكثير والكثير من علوم التاريخ لم يكتشـــفها الأنســـان بعد وكثيرا ما وجدنا من الغرائب والعجائب أثناء عملنا على مدار خمسون عاما في كل بلاد العالم التي كثيرا ما أرسلت ألينا دعوات للاشتراك في بعض الأبحاث. فالحضارات هي الإرث الباقي وبصمة الماضي للبشرية ثم صمت قليلا واخذ يرتشف كوبا من الماء كان أمامه ونظر إلى صديقه. كان يريد أن يلقى بما هو أت ... فكانت الكلمات تتعثر في فمه ولا تستطع أن تخرج .... فيعيد الكلام مره أخرى ناظرا إلى صديقه الذي بدا عليه التوتر هو الأخر وراح ينظر لأفراد الأسرة خشيه رد فعلهم، ثم أكمل قائلا ومتوجها بالحديث لابن أخيه. لذلك تقول الأسطورة انه يبحث عنك منذ قرون مضت وحتى أخفيك عنه كان يجب أن أطلق عليك اسم جاجان .ففي الاسم سر البعد عن الأرض فهو أيضا لا يستطيع أن يقترب من السماء لن يستطيع العثور عليك إلا اذا أنت أولآ: من قمت بالبحث عنه .وقد فعلت ذلك

وقمت بفتح السر حين فتحت الحجرة الممنوعة انتهكت حاجز الستر بينك وبينه وقد كان يريدك بشدة ، فانت خلاصة وأنت أميره المخلص وحتى لا يفقدك مرة أخرى قد طوى وثيقه العفو الملكي حول معصمك لقد وجدك ولن يترك أيها الأمير .....صرخ أفراد الأسرة من هول الكلمات التي القيت على أسماعهم، وكان جاجان أكثرهم رعبا ،فأخذ يسأل كما ألقى الجميع بكثير من الأسئلة عما قاله ، فهم لا يفهمون وان مر كثيرآ من الأحداث بهم فتساءل بعضهم هل الأحداث الجارية التي حدثت لنا حقيقه وليست كوابيس ؟؟ هل ما حدث لجاجان أمامنا حقا وما القصة بالتفصيل؟ لقد أدخلتنا في علم مرعب أكثر من الكوابيس التي مرت بنا .... فصمت بعض الوقت والجميع في انتظار تفاصيل القصة .... قصه المخطوطة –وكيف تم العثور عليها؟ ومن هم أبطالها؟ وتعالت الأصوات الخائفة مرة أخرى بالأسئلة فامتزجت كلمات الجميع دون فهم لما يقولون، وهنا رفع الدكتور عوني يديه لأعلى وقال: صبرا سأحكى لكم كل شيء بالتفصيل .... سأحكى لكم عن السر

****

كان ذلك منذ سنوات عديدة أكثر من خمسة وثلاثون عاما حيث كنا في إحدى البعثات الاستكشافية بأحد صحاري قارة أفريقيا كنا هناك مع عديد من علماء الأثار، كان المكان من قبل مثل أي صحراء بالعالم منعزلة عن البشر ثم شيء فشيء تم تمهيد بعض الطرق، فتم شق طريق سريع كما تفعل الحضارة في كثير من البلاد كانت تلك الصحراء بها بعض الجبال الغريبة التي لا يكاد مسافر على الطريق إلا ونظرا إليها كثيرآ. فقد كان هناك جبل يميل إلى الاحمرار المنشب باللون البرتقالي وقد اكتست قمة الجبل باللون الأحمر فكان مثل قطرات الدماء الكثيرة التي تتخللها بعض النقط البسيطة من اللون الذهبي أما سفح الجبل فكان مثل الثلوج البيضاء.

وهنا يتحير المسـافر على ألطريق، ويسـأل أكان في ذلك المكان من قبل إثر لبراكين وهذا أثرا للحمم البركانية؟ وما هذا اللون الأبيض؟ وهل يوجد ثلوج بالصـــحراء أم ما؟ أيضـــا لم يكن الجبل مثل باقي الجبال بل كانت هناك كثير من الثقوب السوداء، الذي أخذت تنتشر بالجبل بكل مكان، ولم يكن لون ســـواد تلك الثقوب مثل ســـواد أي شـــيء بل كانت ذات شـكل غريب مخيف حيث ارتسـمت علامات وأشكال داخل السواد. فاتخذت شكل الظلال المخيف كانت تبدو مثل الجماجم أو كائنات محترقة من عوالم غريبة ذات شـكل بشـع وروح متعطشـة للموت والفناء حتى أن كثيرا منها وجد منتشـر على رمال الصـــحراء الملتهبة حول ذلك الجبل الغريب، وكانت هناك أيضـــا بعض الثقوب قريبة من العلامات الســـوداء ولكن تم ملئها بالطمى الذي جف أما الأكثر رعباً فهو ذلك الكهف ألممتد بسفح الجبل. كثيرا ما رأينا العجائب أثناء بحوثنا الاسـتكشـافية ... ولكن لم نشـعر بما شعرنا به جميعا في تلك الرحلة الغريبة التي أثارت في نفوسنا شـيء من الغموض والرعب، ولم يعلم أي منا ما نحن مقبلين عليه في تلك المحنة، ومن هنا ســـتكون البداية، لم تكن تلك المهمة عادية مثل الرحلات الاستكشافية السابقة، ولكن كان بها شـيء غامض لم نعلم ما هو؟ ولكن انتظرنا لنعرف وماذا يكون؟ ومنذ ذلك الوقت والناس هنـاك يخـافون الاقتراب من تجويف ذلـك الجبـل بتلـك المنطقـة؛ إذ يعتقدون أن الجن تسـكنه، ولأجل ذلك أطلقوا عليه "جبل الهلاك" فقد كانوا يرون أشـــباحاً تتحرك من بعيد داخل الكهف، وكانوا يتناقلون روايات عن تلك الأشـــباح، وهو ما كان يمنع من اكتشـــاف ذلك المكان.

****

لم تكن الصحراء بالخارج أو الظلال المختلفة الألوان على ذلك الجبل هي الشـــيء الغريب الذي صـــادفنا فقط هذا اليوم، ولكن كان هناك الأغرب والأبشـــع من ذلك، داخل ذلك الكهف الغريب بالجبل الذي سمى" بجبل الهلاك" فقد كان صورة على هيئه مخلوق أبشع ما يكون فاذا ما اقترب أحدا من المكان تتحول الصـورة وكأنها تنظر إليك ... ولم يعر أحد الأمر اهتماما لذلك الجبل او الكهف. إلا منذ ذلك اليوم حيث كانت رحلة لمسـافرين أصـاب أتوبيسـهم الذي يسـتقلونه عطل مفاجئ بالقرب من ذلك المكان حيث جبل الهلاك بشـــكله المثير للانتباه، فنزل المسـافرين للاسـتراحة قليلا حتى يتم إصـلاح العطل، وفى اليوم التـالي تم إيجـاد الأتوبيس، ولكن قـد اختفى جميع المســافرين. ولا أحد يعرف إلى الآن أين ذهبوا ولم يتم العثور على اى شـــيء يخصـــهم، وبعد أيام وجدت متعلقاتهم الشـــخصـــية متناثرة بـالقرب من الجبـل وتكررت حوادث الاختفـاء في هـذا المكـان ... وذهبت كثيرا من الحملات الأمنية التي اختفت أيضـــا، فتم أغلاق المكان من قبل السـلطات وأصـبح تحت دراسـة علماء الأثار والأمن القومي.

ومنذ ذلك الحين بدأ المســتكشــفون وعلماء الآثار يولون هذا المكان قدراً كبيراً من الاهتمام، للتعرف على المزيد من أســراره المكنونة منذ عصـــور قديمة. ولكن كثيرا ما كان ينتهي الأمر بفاجعة من موت أحدهم أو اختفاء الجميع.

ولكن عنما يكون الجمال مرعبا تحتار فيما إذا كان الشـــكل جميلا أم مخيفا، وهذا ما يتمتع به ذلك الكهف حيث يتمتع بألوان مذهلة وأعمدة صخرية فريدة تمنحه شكل جذاب ومثير للرعب في نفس الوقت.اقتربنا من ذلـك الكهف المظلم الكبير والـذى يبـدو أن قوى الشـــر قـد اجتمعت فيه كان الســكون يخيم على المكان و بقايا الهياكل العظمية

المتناثرة على أرضـــه، التي تبين أنها عائدة لأفاعي ولزواحف أخرى، كان ذلك أول ما اكتشـــفنا داخل هذا الكهف المثير .واعتبرنا الكهف مســـتودع كنوز بعد ذلك ، فمن بين ما اكتشـــف داخله مجموعة من اللآلئ النادرة الغريبة الشـــكل ، التي تكونت في التجاويف المائية الجافة؛ بفعل التفاعلات الكيميائية الحاصـــلة من جراء تكثف ذرات كربونات الكالسيوم على حبيبات الرمل والحصى . واللافت في اللآلئ هو ضخامة حجمها، وشدة التصاقها بجدران الكهف وأرضياته وكأنها جزء من المكان، ويكاد يســتحيل اســتخراجها من مكانها. فبقيت كما هي وقرارنا بعدم المســاس بتلك اللآلئ، وبإبقائها في مكانها كشـــاهد أثري تاريخي جيولوجي حي.ومن الكنوز الأخرى التي اكتشـــفت في الكهف هي سقفه، إذ تظهر أشكال ورسومات غريبه الشكل ومرعبة لم نعلم كيف تم رســمها في هذا الارتفاع، أما مســاحة أرضــية الكهف نفسها فتراها مفروشة بالأتربة المتراكمة عبر العصور التي تبدو أشبه بالجزر اليابسة وسط لوحة من المجاري المائية التي لم نرى مصدرها أيضاً. كان يضم الكهف جزأين، أحدهما عبارة عن ممر طويل يؤدي بقايا شرفة مجصصه بالطمى يقال إنها شرفة ملكية وهي عبارة عن شـــرفة طبيعية بالكهف تم طمســـها بقطع من الطمى مثل كثير من فتحات الجبل والكهف التي تعكس خيط رفيع جدا من الضوء بشكل جميل أما الجزء الثاني، فهو كان مثل غرف الاســـتقبال وقد كان بها أثر حياه للرســـوم التي وجدت على جدرانها. حتى قطرات المياه المتســاقطة من بعض فجوات الكهف كنا نســمعها كأنها فيضــان أو شلال مياه ينطلق من أعلى لأسفل منحدرا ولم نعلم من أين مصدرها؟ كان المكان ذو جمال مخيف كثيرا كنا نســـير في أشـــياء لا نعرفها أشــياء لزجه ذات رائحة عفنة، وكثير ما كنا نســير في الطمى، فكنا نتعجب أمن قطرات الماء القليلة جدا يتحول المكان لكل ذلك الطمى؟ ولكن مازلنا نســـتكشـــف المكان. كان المكان غريب حقا ولكن في

عملنا ذلك قد اعتدنا على الكثير من الغرائب والعجائب. كنا نمشـــي وأفراد البعثة في صـــف واحد كلا لديه مهمة محددة موكلة اليه؛ لكي نخرج بأكبر قدر من المعلومات، وكنت امشي في منتصف المجموعة وخلفي ميلاد، مضـت أكثر من سـاعة دون أي شـيء مثير للانتباه .... ثم ســمعنا جميعا دوى بالمكان جعلنا نرتجف توقعنا أن يكون انهيار بالجبل وسيتم انهيار الكهف علينا. وساد الصمت والفزع بيننا لحظة. ولكن لم نجد حتى ذرة من الأتربة توحى بما كنا نفكر فيه فوصلنا التحرك من جديد مرة أخرى.... وكانت المفاجأة ... لي فقط ... لي أنا دون الجميع ....

شعرت بيد تمسك بعنقي من الخلف، وتجذبني كانت تتشبث بي لتأخذني لطريق أخر غير الذي كنا نسير به، فهناك أكثر من طريق بذلك الكهف اللعين –كنت أعتقد أن هناك شـيء ما، وقد جذبني ميلاد لذلك فحاولت أن أستدير لأ اعرف ماذا هناك، فاذا بيد أخرى تطبق على فمي حتى لا أصـــرخ او أتحرك. كان يجذبني بشدة لأ ستدير معه وقد نجح في ذلك، فجعلني على طريق أخر من طرق الكهف، لأجد أفراد البعثة يستديرون بدورهم ويتبعوني. ظناً منهم أنى وجدت شيئاً هام، ولكن لم أســتطع الإجابة عليهم. ثم قذفتي اليد على الطريق واختفت.

علمت بعد ذلك أن تلك اليد لم تكن لميلاد أو أي أحد غيره من أفراد البعثة. وواصلت السير وأنا مذهولا بعض الشيء، وما زلنا نمشـي في برك من الطمى سـواء الجاف أو الطمى المبلل – وإذا بفتحة مستديرة تشع ضوء احمر يتخللها ضوء برتقالي اقتربا ثم امتزجا معا. فوقنا تماماً فأخذنا نتساءل، من أين يأتي ذلك الضـــوء الغريب؟ ثم تســـاءلنا مره أخرى هل ندخل دائرة

الضـوء ؟؟ وأخذنا نبحث كثيرا عن مصـدره، ولكن نتيجة بحثنا جميعا لا شيء، ولم نعرف من أين ؟!!

لم يسـتمر ذلك كثير فاذا بصـوت داخل أذني لم يسـمعه أحد غيرى. قال الصـــوت: وكأنه قادم من أعماق التاريخ كنت انتظرك أيها الغريب. أميرك ســـيحررني. الأمير من ســـيفك لعنتي، لقد اقترب، فأخذت التفت حولي وقلت هل سـمع أحدكم شـــيء؟ فكانت إجابة الجميع بالنفي. فعلمت انه أنا فقط من سمع الصوت، ثم حاولنا أن نبتعد عن دائرة الضـوء ولكن كان هناك من يحاول دفعنا للدخول فيها ...

تساءلنا ايكون ذلك المكان الذي احتفى فيه الجميع من قبل؟ ثم قمنا بوضـع علامات وكتبنا بعض الملاحظات ووضعناها في أماكن متفرقه حتى إذا اختفينا كالســـابقين يعلم الأخرين ماذا وجدنا هنا وماذا حل بنا أيضـآ.... وبعد ذلك تركنا الملاحظات خلفنا وخطونا أول خطوات في دائرة الضـوء. وفور دخول أخر فرد بالبعثة إلى دائرة الضـوء اختفت فجأة واختفى أثرها ونظرنا لنجد المكان مثل باقي ممرات الكهف التي ســـرنا بها من قبل ... وقد رأى ذلك كل أفراد البعثة، وهالنا ما رأينا، ثم أخذنا نمشي قليلا. وكانت بدأيه المفاجآت لنا جميعآ.

كثيرا ما دخلنا الكهوف ولكن ذلك الكهف كان مريعا. وجاءت اللحظـة الـذي انهـار فيهـا الجميع .... وهنـا بـدأت القصـــــة. تصـــلبنا جميعا بعض الشـــيء. فقد كانت هناك الكثير من النقوش والعلامات والطلاسـم التي راحت تملأ المكان والجدران كانت الطلاسـم شـيء مخيف كاد الرعب أن يصـبنا جميعا، فقد كان المكان يبدو كأنه كهف ســـاحر من اتباع الســـحر الأسـود، كما كانت تلك اللغة التي رأيناها لم نسـتطيع فكها أو

قراءتها فكانت عبارة عن حروف وعلامات. غريبه. وإذا بالصوت يقول مرة أخرى وفقط أنا من يسمعه دون الجميع. تذكر أنت من جئت إلىَ. كان المكان أشبه بغرفه قبور الأنسان ألقديم فهناك مكان كبير واسع خاليا إلا من صندوق صغير حوله كثيرآ من الطمى الجاف وسط الغرفة التي كانت مجصصه بأكملها من الطمى، وهناك عشرات من النقوش والطلاسم والحروف يوجد من بين نقوشها نقوس مثل الحروف الهيروغليفية وان بدت كذلك! زادتنا تلك الأشياء دهشة كنا جميعا على علم أن هناك قوم في بعض الأزمنة كانوا يتعاطون السحر، وقد يكون أيضا أقوى أنواع السحر، فأخذنا ندون الرموز والطلاسم الموجودة بالمكان؛ لنقوم على دراستها بعد ذلك فقد كان المكان بالنسبة لنا كشف جديد لم نكتشف مثله من قبل، وتساءلنا هل هذا المكان كان من أماكن الدفن داخل الكهوف في ذلك العصر؟ وهذا ما كنا نعتقد. ثم اكتفينا بهذا القدر باليوم الأول من البحث ووضعنا علامات بالمكان للرجوع إليه غدا لاستكشاف المزيد. في ذلك المكان الغريب، حيث لم نجد سوى الطلاسم الجدارية وصندوق صغير حوله الكثير من الطمى!

واقترب أحد أعضاء البعثة لآخذ الصندوق معنا، ولكن أصابنا الهول مما شاهدنا ... مد الرجل يده في هدوء فقد كان الصندوق صغيرآ جدا يستطيع اى طفل حمله ... ولكن هيهات يحاول الرجل نزع الصندوق من الأرض ... حاول وحاول دون استطاعته سحبه من مكانة، ونحن قد اتسعت عيوننا من ذلك، وتساءلنا أيكون الصندوق مثبت بالأرض أو هو قطعه من الأرض ؟!! ثم حاول الجميع نزع الصندوق

من أرض الغرفة ولم يستطع أحد ذلك. استعملنا كل ما معنا من العدد ولكن فشلنا أيضا. حتى مضت ساعة كاملة من الوقت فأصابنا الإرهاق والتعب وتصبب العرق فوق الجباه. في محاوله نزع الصـــندوق من الأرض .... حتى اقترح أحدهم فكره وهي فتح الصـــندوق في موضـــعه فكان محاط بطبقه من الطمى وسيكون ذلك سهلآ كي نرى ما به هنا في تلك الغرفة، فوافقنا مضطرين لذلك. وكان أسوء وأبشع اقتراح جلسنا جميعا نعانى منة وكنا في حالة أسـى أيام كثيره قبل أن نعود مره أخرى لباقي الكشف الأثري .... صمت الدكتور عوني قليلا ليرتشـــف كوبا كبيرآ من الماء كان أمامه. وكان يبتلع معه كثيرا من الذكريات الأليمة.... ويكمل الدكتور ميلاد باقي الذكريات فيقول: حين قام الرجل بمحاوله أزاله الطمى الجاف حول الصـــندوق لم نع ما حدث من هول الصـــدمة. فاذا بالرجل وكأن يدا خفية قد التقفته فألقيت به بعيدآ في أحد أركان الغرفة ثم جذبته للخلف ثم تم ركله ركلة قوية... تألم الرجل بشدة من شدتها وهول المفاجأة، ثم حاول أن يعيد الأمر مرة وحدث كما حدث المرة الســابقة وشــاهد جميع أعضــاء البعثة الاســتكشــافية ذلك فكان يبدو الأمر كمصارع دخل حلبة مصارعة وهو لا يعي منها شيء. أما في المحاولة الأخيرة فقد كان الأمر أكثر بشاعة فقد انطفأت كل الأضـــواء الكاشـــفة التي نحملها معنا مرة واحده ليعم المكان الظلام الدامس ويشم الجميع رائحة عطنه كادت انفنا أن تستغيث منها، ثم انطلقت صرخة مدوية في الظلام فلم نعرف لمن تكون ثم عادت الأضـــواء فجأة لنجد أن الرجل الذي حاول فتح الصـــندوق قد كبلت قدميه إلى يديه في

صورة غريبة بدون قيود، وتم قصت أصابعه لم نعرف كيف؟ ولم نشاهد إلا الدماء قد اندفعت من أطرافه.

أما الرجل فقد كان ينظر في رعب لشـــيء ما وفقد النطق بعدها تماما، ولم نعلم ما كان يصارع في ذلك المكان، كانت الصدمة قد أصابت الجميع حين وجدنا أحد أفراد البعثة اخذ يصـرخ في جنون، وأصـابت يديه الخدوش دون أن يعلم من قام بها، ثم ظهر لنا ظل بدا بعيدا عملاقا على إثر ضـــوء المصـابيح الكاشـفة ... فبدا المكان أكثر رعباً من ذي قبل ثم خرج من الظل ظلال عديدة أحاطت المكان كأنها جنود حراسة، وضاق بنا وبهم المكان فتراجعنا للخلف،

وقد اتخذنا قرارنا بان نكتفي اليوم لحين البحث عن تفســـير لتلك الطلاسـم الغريبة. ولم ينتهي الإمر بعد فقد هناك شـيئاً خلفنـا كـان يـدفعني بقوة إلى أن أقوم أنـا بتحريـك ذلـك الصـندوق الصـغير من موضـعه...ففعلت ذلك وسـط دهشـة الجميع وخوفهم من تكرار مـا حـدث لزميلنـا الملقى على الأرض ولكن ما أدهشـــنا جميعا أن الصـــندوق تحرك بكل يســـر من موضـــعه فأخذناه معنا دون أن يعلق أحدنا على الأمر. وواصـلنا السـير واسـتكفينا مما شـاهدنا اليوم فهممنا بـالرحيل أمـا الظـل فمـازال يتبعنـا إلى أن خرجنـا من بـاب الكهف .... ثم اختفى.

****

مازالت أفراد ألاسره يستمعون للقصة التي لم تنهى بعد في خوف ورعب شـــديد، وإذا بســـارة تبكي وتفر هاربة لباب الحديقة محاولة الخروج من المكان وتعالى صـوت بكائها ألممزوج بالخوف فحاولت الهروب والعودة

ألي القاهرة، وذهب خلفها أخوها وخطيبته وعمتها يحولون تهدئتها قليل وفجأة ساد حولهم الصمت من ألدهشة والهلع حتى أن الهاربة توقفت عن بكائها.

مما جعل الدكتور ميلاد وعزمي يذهبان لاستطلاع الأمر. فالجميع ِالحوائط بلا أبواب ولا بوابة، وأصبحوا سجناء المكان. نادى عوني على الجنايني لسؤاله عما حدث وأين مدخل البيت؟ وأين الأبواب بالحديقة؟ وهل عبث أحد سكان القرية معه وقام بسد الأبواب؟ وان كان الأمر لا يبدو كذلك ابدأ ولكن سؤال القاه وتمنى أن يكون حقيقي. ثم عاد الجميع إلى جلستهم السابقة وانتظروا الجنايني أن يتفقد الإمر وهدأت ساره قليلآ فقد ظن الجميع أن ما حدث ربما يكون عبث أحد سكان القرية مع صديقهم الجنايني وينتهي الأمر بعد ذلك ويعود كل شيء كما كان، ولكن كان الأمر أكبر من ذلك. ولم يخطر بفكرهم قط.

وعاد الدكتور عوني بهم لرحله الكهف مرة أخرى فقال: اجتمع أعضاء لجنة البعثة الاستكشافية في أحد البيوت المتواضعة بقرية من القرى التي تبتعد قليلآ عن جبل الهلاك، فكان بعض السكان في ذلك المكان الفقير يمتهنون رعى الإبل والغنم أو صناعه الفخار والحلى من خامات الطبيعة المحيطة بهم مثل كثير من قرى العالم في ذلك الوقت. وكان يقوم على خدمتنا في ذلك البيت فتى في العشرينات من العمر اسمر الوجه ذات ملامح أفريقية جميلة، وكثيرا ما كنا نداعبه فتظهر أسنانه البيضاء لتضيء ذلك الوجه الأسمر الجميل. وسارت ألفه بيننا وبين الشاب وأن كان كثيرا من كلامنا لا يستطيع أن يفهمه ونحن أيضا كذلك ما كنا نفهم ماذا يريد إلا في وجود باقي بعثتنا من رجال قومه. فكانوا يقوموا بالترجمة لنا أو له وكثيرا استمتعنا بالحديث لذلك الشاب بمساعدتهم!

وأصبح يرفض أن يخرج أحدنا للتجول بمفردة ويصر أن يكون برفقته، ليكون دليله في مشـــاهدة معالم المكان دون أن نفقد طريق عودتنا إلى البيت بعد ذلك. وكنا نتعجب لهذا الأمر حيث معالم القرية محدودة وتستطيع أن تراها بأكملها خلال ساعة، ولا يمكن أن تضل طريقك في مكان صـغير كهذا! وكنا نظنه يريد عملا أضـافياً من أجل زيادة راتبة في ذلك ألوقت حتى ظهرت الحقيقة بعد ذلك فالفتى لم يكن ســـوى جاســـوس علينا! وأتصـــل ليلنا بصـــباحنا، ونحن منهكين على تلك الطلاســم والحروف لمعرفة ســرها ومعرفة ســر الكهف الذي ضـــاع بســـببه كثيرا من الناس، وأخيرا ما حدث لزميلنا هناك المرافق بالبعثة الاستكشافية بذلك الكهف المربع، وفور عودتنا به إلى قبيلته لم يمضي عليه اليوم إلا مات أثر الصـــدمة. وأخيرا حاولنا فك طلاســـم بعض الحروف حيث كان الأمر في غاية الصـعوبة عكس اليوم الذي أصـبح فيه الأنترنت اليوم قد يسر كثيراً للباحثين. فتستطع في دقائق أن تبحر في أكبر مكتبات العالم. اجتمعت لدينا بعض الحروف وقمنا بتركيبها معا ليتجمع لدينا كلمة:

ا ... ل.... س...ج ..ن , ا ...ل....م...ل...ك....ى

نعم، أصـــبح لدينا ألان معرفة جزء صـــغير من الطلاســـم ... وكانت الكلمة هي "السـجن الملكي". وأكمل الحديث دكتور ميلاد لباقي القصـة فقد رأى صـــديقه يجفف حباب عرق على جبهته. فقال: في ذلك أليوم كان الفتى الأفريقي يقدم لنا بعض المشـروبات أثناء العمل .... ونطق الدكتور عزمي بكلمة الســجن الملكي وهلل الجميع لذلك الكشــف، فقد عرفنا أن ذلك الكهف كان ســـجناً ملكياً من قبل، ولكن من الملك صـاحب السـجن؟ ومن المسـجون؟ ومن الحرس وأين هم؟ حاولنا أن نقوم بالبحث في باقي الطلاسم الكثيرة عسى أن نعرف شيئاً أخر يقودنا لســـر الكهف ... وعندما ســـمع الفتى الأفريقي كلمه الســـجن الملكي

سـقطت من يده صـنية المشـروبات، ثم أخذت يديه المرتعشـة تلم بقايا الأشياء المتناثرة بالأرض ونظرات الفزع كانت تملأ وجهه ثم أنطلق من أمامهم. واخذ يتمتم بعض العبارات قد وعيها وعرفها تماما أعضـــاء البعثة الأفريقية الذي كانوا معنا ... وســـاد الصـــمت وتبادلوا النظرات الغريبة فيما بينهم.... ثم عم الصمت بيننا جميعا إلى أن نطق أحدهما قائلآ: يبدو أن الفتى يعلم شـيء عن ذلك الكهف، وأخذنا نتناقش بعض الوقت مـا هو الـذي يعرفـه الفتى عن هذا الكهف وأيضـــآ هل يمكن الاستعانة به؟ أو ضمه للعمل معنا بالكهف إذا ما كانت لدية معلومات مفيدة بذلك الشأن؟

وذهب أحد الزملاء للمطبخ لإستدعاء الفتى ألذى اخذ الأكواب المتناثرة منذ قليل عائده بها إلى المطبخ فلم يجده!

فأخذنا نبحث في كل أركان المنزل ولكن الفتى اختفى تماما. أصبح في الأمر شـــيء قالها عزمي وأخذ بعض أعضـــاء الفرقة للذهاب لكوخ الفتى لمعرفه سبب فراره. وأيضا لمعرفة هل يعلم أي معلومات عن ذلك الكهف؟ يكمل عوني الحديث ويقول أخذنا نسير على أقدامنا مسافة لا تقل عن ساعة وعشرة دقائق وسط أكواخ مصنوعة من الطمى ،والقش يلهو بجوارها كثيرآ من الأطفال كما يجلس بجوار أبواب أكواخها بعض المســـنين الذين تقدمت أعمارهم، فاتخذوا من صـــناعة الخوص حرفة بســـيطة لشـــغل أوقاتهم وأرزاقهم .كان بيت الفتى عباره عن كوخ من الطمى والقش مثل باقي بيوت القبيلة ، وحين وصـــلنا إلى باب الكوخ أحاط بنا أبناء القبيلة ،وحاولوا منعنا من الدخول لمقابلة الفتى ،أو أحد أفراد أســـرتـه، واخـذو ينظرون إلينـا والخوف يملأ عيونهم... ونظرت لزملائي اللـذين اخـذو يتبـادون الحـديـث معهم بعض الوقـت، فحـديثهم كان أحيانآ عاديا وأحيانا تعلوا فيه الأصـوات وبعضـهم بلوح بيده كمن

يتوعد ثم أنصـرف الجميع بعد ذلك، وذهب كلا منهم إلى كوخه و ظل واقفا أمامه في انتظار رحيلنا عن القرية ... و ماذا سنفعل مع الفتى؟

وأخذنا نســأل فيما بيننا أيكون الفتى قد خاف من العقاب عندما هشــم الأكواب ألزجاجية منذ قليل؟ ولذلك فر هاربآ؟ ولذلك السبب أهل القرية يعتقدون أننـا جئنـا لمعـاقبتـه، ولكن كـان الأمر أكبر وأفظع من ذلـك ألذى كنا نفكر به. ولم يخطر بفكر أحدنا أننا وســـط مفتاح الســـر الرهيب.

ففي تلك القرية يكمن السر ,,,,,, سر الكهف .... وسر الأسطورة ...!

بداخل الكوخ اســـتقبلنا رجل عجوز كان ذو هيبة وقوة ظاهرة رغم عمرة المتقدم وعقل راجح يبدو من طريقة اســـتقباله لنا، ثم علمنا بعد ذلك أنه كبير القبيلة كما علمنا أيضـــآ أن تلك القرية الصـــغيرة ما هي ألا قبيلة واحده ننتمي إلى نســـــب واحد يرجع ألي جدهم الأكبر وأقام في هذا المكان منذ مئات الســـنين يتوارث المكان الأبناء عن الآباء، وكان ذلك أجابه لما فعلة أهل القرية معنا منذ قليل فهم أقارب يخشـى بعضـهم على بعض. واســـتقبلنا العجوز بحفاوة يملؤها الحيطة والترقب فبدا حديثه عن حبة ألشـــديد لحفيده وأيضـــا ذكر بعض المواقف التي كانت تدور بيننا وبينه في البيت، والتي كان يقصها على جده فكان يبتهج ويسعد بها ... ونحن نستمع إليه ... في انتظار باقي حديثه لماذا هرب الفتى ؟!!

وتوقف العجوز عند ذلك واكتفى بما قصـة من بعض المواقف العابرة ولم يســتطرق إلى أهم جزء كننا ننتظره والذي جاء بنا إلى هنا، ثم طلب لنا مشروب الضيافة. كنا قد أعددنا فيما بيننا سابقآ ماذا سنقول لأهل الفتى وســـنطلب منهم أن يعمل معنا في بعثتنا بالكهف بدل خدمته لنا في البيت. وأن أريد الوظيفتين معآ سـنقبل بذلك. ثم سـاد الصـمت فتبادلت

النظرات إلى زملائي من أهل البلد بأن يقوموا بالحديث للرجل وســـؤاله أين حفيده؟ ولماذا هرب؟ كي نعرف ما وراء ذلك ؟؟

ولم يكمل زميلي الأفريقي السؤال إلا وبادره الرجل قائلا:

أعلم لغتكم أيها ألباحث ولا تسألني كيف؟ فهنا يمكننا أن نعلم كل شيء !! حفيدي الأن لديكم؛ في بيتكم، وهو لم يهرب كما تتوقعون ذلك. أليس هذا ما يدور بينكم؟ هو لم يهرب ولكن جاء يسألني، فقد انكشف السر بكم وأصبح الجميع في خطر. وسأحكى لكم قصة ما تبحثون عنه. قال ذلك وقد أصــابتنا الدهشــة جميعا حتى الرجال الأفارقة الذين كانوا معنا بالبعثة تعالت وجوههم الدهشة ثم أكمل العجوز وقال:

هنا في تلك القبيلة الصــغيرة التي لا تتعدى 400 شــخص، نحن هنا حراس السر فقط نتناقله إلى أولادنا وأحفادنا فقط لا يعلمه أحد ولم يعلمه أحدا من قبل ... فهنا عشنا منذ مئات السنين وقد يكون أكثر. لم نترك قط تلك البقعة من الأرض نتوارثها كما نتوارث سرنا أيضا. نعلم أننا قد نكون في معزل عن العالم أجمع ولكن تم اختيارنا لذلك. حقآ أننا لم نختر الأمر ولكن أجبر قومنا على القيام بذلك منذ حملة جدنا الأكبر وتوارثه الأبناء عن الآباء... ولم يعلم أحد الســـر كما قلت لكم غيرنا، ومضى على ذلك الأمر مئات ألسنين لم يتغير شيئآ. ألا منذ ذلك ألوقت حين شقت الحكومة ذلك الطريق ألقريب للمسافرين واختفى هناك بعض الناس، فعلمنا أن الوقت قد حان ولم يعد في مقدرنا حماية الســـر، او حماية المكان، وكنا نستعد لذلك من قبل.

كان الرجل العجوز يتكلم ونحن نستمع وكأن على رؤوسنا الطير فكنا نســتمع بكل دهشــه وحيره وخوف. ثم أكمل كبير القبيلة وقال: نعلم ما حدث لكم وأنكم قد دخلتم الكهف وما تعرض له صـــــديقكم وما ستتعرضون أنتم أيضآ له، فلم تروا شيئآ بعد !!

قال ذلك وقد أشـتد بنا الخوف والفضـول أيضـا فكنا نسـتمع بكثير من الإهتمام. فقلت لـه تتكلم عن الكهف وكأنك تعرفه فلماذا لم تســـاعد ألمسئولين في الكشف عن ألحقيقة حين اختفى بعض الناس؟

رد قائلآ وقد ملأ وجهه الحزن وأطلق زفره ألم، غير مسـموح لنا بذلك من قبل الأمير.

فقلنا: أي أمير؟

قال: أمير الجيوش؟

قلنا: ومن أمير الجيوش هذا؟ ايكون هنا أمير للناس ولا تعلم بأمره ؟!

قال: بل أمير السـر. سـر الكهف –قلنا وقد اشـتدت حيرتنا يمكنك أن تقص علينا القصة كامله ...

قال: إذآ هيا بنا.... ســـأريكم بعض الأشـــياء ... بعض العلامات والطلاسم ...ثم سأقص عليكم كل شـيء وسأجيب لكم كل سؤال، ولكن سيكون هناك شرطآ هام! ستكونون أنتم بعد ذلك حراس السر؛ فقد قمتم بالبحث عنة وعلى أيديكم تم إفشـــاء الســـر. وســـتتحملون ذلك وحدكم والاختيار ليس لي أو لكم. فمن يبحث عنه فقط يجده .... وقد بحثتم عنه، وقد وجدكم .... أقول لكم الحق ... كما أشـقاني وقومي حمل ذلك السر وكم تمنيت أن يحين الوقت كي نتخلص من حمله. ويحمله غيرنا.

وهاهو قد حان الوقت، فهل أنتم مســـتعدون، أيها الحراس الجدد، ثم نظر ألي مبتسـمآ ابتسـامة غامضـة لم أعرف ماذا يعنى بها؟ ولكنى علمت بعد ذلك سر ابتسامته الغامضـة !، ثم أخذنا إلى خلف كوخه حيث كوخا أصـــغر ملحق بالمكان يبتعد قليلا. بناية كلها بالطمى بدون قش فقط من الطمى ألذى جف وبدأ يتشقق قليلآ ....

يعلوه من الخارج خيوط العنكبوت والأتربة الكثيرة، ثم قام بفتح الباب الصـــغيرة، ودخلنا خلفه كان الكوخ غير باقي أكواخ القرية قد يكون مثلهم في الشكل فقط ولكن بالدخل لا... فقد كان مصنوعا بالكامل من الطمى من الخارج والداخل ليس به مدخل صـــغير لشـــعاع من ضوء، فغرقنا في ذلك الظلام الدامس ثم أضاء لنا العجوز فتيل إنارة بدائي الصـنع ثم اخذ يتحســس صـندوق صـغير كانت عليه نفس الطلاسم التي رأيناها بالكهف. وأيضا من نقوش الصندوق الذي معنا من قبل. وقام بوضـــع الصـــندوق أمامنا وراح يتمتم ببعض الكلمات ألغريبة عرفنا فيما بعد أنه ينهى العهد لينقله لأخر، وقد كان يلتمس الموافقة. ولم نعرف من كان يحدث او من يكون ذلك الشخص؟؟ كنا كمن في غيبوبة أثر المفاجآت المتتالية التي مرت بنا منذ ســـاعات قليلة ... وأنهى العجوز كلماته ألغريبة التي لم اعرفها ولكن صـديقي الأفريقي كان يصـــغى اليها بإهتمام بالغ... ثم قال الرجل: الأن الصـندوق فقط من يختار حافظ السـر الجديد فقط هو من سـيختار أحدكم .... فنظرت له وقلت وكيف سـيختار الصـندوق وكنا أربعه أشخاص من أفراد البعثة في تلك الحجرة غير كبير القبيلة. ثم علمت بعد ذلك لماذا نظر ألي الرجل من قبل وأبتسم !!

فقال: فقط من يستطيع حمل الصندوق من موضعه. فابتسمت وقلت هو صـندوق أكبر من كف اليد قليلا كيف سـيصـعب على أي منا حمله، فنظر ضاحكآ.

وقال: كما كان يصـعب عليكم نزع تلك الصـندوق الصـغير بالكهف وأيضا ...الصندوق من يختار صاحبه وليعلم الجميع أيضآ أن هناك صـندوقين الأول ترونه هنا والآخر معكم. ذلك الصـندوق ألذى كان بالكهف سابقآ، ولكن لكل منهما حكاية مختلفة فالصندوق الذي عثر عليه أجدادي من القدم قد وجدوه بالقرب من احدى فتحات جبل

الهلاك وكان حولها طمي سميك. كان الطمي مأخوذ من تربه قوية لم تقدر عواصف الصحراء على تحطيمها، أما الكهف فقد دخل اليه الكثير ولكن لم يعرف أحداً منهم ذلك المكان الذي وصلتم اليه، ولا أقترب أحد منه أبداً. ثم علمنا بعد ذلك أن جدي الأكبر لم يبحث عن الصندوق، ولكن هو من نادى علية حتى وجدة كان ينادى على صاحبه كي يقوم بحمايته، وأيضاً لشيء أخر. هو من يقودك للاقتراب أو الابتعاد عن طريقة فترى من كان صاحب النداء الأن منذ سنوات؟ ستعلمون كل شيء في وقته. وبخصوص الصندوق الأول فكان به شيء هام أما الصندوق الذي معكم ألان فبه شيء أخر ولكن شيء خطير جداً واهم من هذا الصندوق، وتذكروا أن الصندوق أو صاحب الصندوق هو من يختار من يحمل سره. كان كثيراً من كلام كبير القبيلة مبهم وكثير الألغاز لم نع منه الكثير غير أن الصندوقين بكلا منهما سر مختلف عن الأخر، وقد أصابتنا الدهشة جميعا مما سمعنا، ولكن لم ينطق أحدنا بكلمة أخرى حتى نرى ما يكون بنهاية هذة القصة الغريبة. ثم أكمل كبير القبيلة فقال: وألان يحاول كلا منكم لمرة واحدة فقط حمل الصندوق من موضعه دون العبث به ثم أبتسم بدهاء وقال: كما فعلتم من قبل داخل السجن الملكي بالكهف.

وها هو أمامكم. تقدم أحد أعضاء البعثة نحو الصندوق محاولاً حمله من مكانه ولكن جاءت محاولته بالفشل وتتابع باقي الرجال ألذين فشلوا أيضاً في ذلك وكأن الصندوق الصغير قد التحم بالمكان تماما مثلما كان الصندوق الأخر ملتحما بأرض الكهف هناك. وجاء دوري لفعل ذلك وكانت عيون العجوز تبتسم كما فعل من قبل ولم أعي سبباً لذلك، كان يعلم أنى من سيقوم بحمل الصندوق، ولكنة دع الأمر يمر بيننا جميعاً جميعا ... ولم اعرف لماذا فعل ذلك؟

...وأقتربت بحذر من الصـــندوق ومدد يدي في رهبة وفجأة التصـــق بيدي فور لمســـه وعلت الوجوه الدهشـــة أما العجوز فقد ذكرني من جديد بأنني من حملت الســـــر الآن ... وقد أنهي هو وقبليته العهد بذلك.

كما قال: بأنني من استطاع حمل الصندوق الآخر من قبل ثم تركننا قليلا وخرج من الكوخ الصـــــغير وأشـــــار لأبناء قبيلته الذين مازالوا وأفقين في انتظار رحيل الغرباء، ومن إشارة من يده تعالت الصيحات وعلت دقات الطبول، فكانوا على علم بما يحدث، ولكن كانوا في شك من انتقال الســـــر لغيرهم، والانتهاء من ذلك الأمر. وخرجنا نحمل الصـندوق الأخر الذي وضـعه العجوز داخل صـندوق خشـبي مطلي وعلت الفرحة وجهه فور الانتهاء من حمل الســـــر وقبيلته ســـــنوات وســـــنوات وســـــط دقات الطبول والزغاريد وأجواء الاحتفال بذلك، ثم ذهبنا مرة أخرى إلى كوخ كبير القبيلة الذي أعد لنا وليمة فاخره من الطعام احتفالا بذلك، ولم نكن نعلم ما هو ذلك السر حتى ألان؟

وما هو ألذى حملته دون غيرى ولماذا؟ ثم قال الآن يمكنني أن أروى لكم سر لكم الأسطورة. وأشار إلى وقال: وسأقول لك كيف تحفظها كما. تناقل الأجداد كثير من الأساطير والحكايات الغريبة .... وكثير ما كنا ننسى بعضها وكثير ما كانت لا تنسى وتتوارثها الأجيال تبدوا لنا كحكايات ومواعظ نســـــمعها ثم يذهب كلآ إلى طريقه، ألا تلك الأسطورة العجيبة.

فقد روى لنا الأجداد أن بالقرب من هذا الأرض التي نعيش عليها وقبيلتي كانت هناك مملكة من أقوى وأعظم ممالك الأرض كانت متقدمة في كل شيء وتفوق الممالك في الحضارة والعلم، كما انتشر فيها الحكمة والرخاء تحكمهم ملكة من اقوى ملوك الأرض وأكثرهم دهاء، كما كانت تمتلك أقوى أنواع الســـــحر، حيث كان الملوك في

ذلك ألوقت يتعاطون السحر ويعملون به، وأيضآ كان ممنوع لعامة الرعاية استعمال السحر. ولم تكن تستعمل سحرها أبدا في إيذاء قومها بل كانت تستخدمه لحماية المملكة. لم تكن ملكة شديد القوة فقط بل كانت أمراءه شديده السحر والجمال كلما تقدمت بالعمر زادت قوتها وسطوها وزاد سحر حسنها أيضا. فكان يهابها ملوك الأرض كما أمتلك شعبها أنواع الزراعة والصناعة المختلفة حتى فاضت لديها المحاصيل والصناعة فأصبحت تعطى الممالك الفقيرة.

ولكن كان هناك شيء خطير بتلك المملكة فقد عرفت الملكة معدن من المعادن ليس له مثيل من معادن الأرض فلم يمتلكه أحدا غيرها يقال انه جاء من الفضاء وسقط في أرضها، وأخرين يقولون هي من صنعته بسحرها والأقوال كثيره بهذا الشأن، ولكن أجتمع الراي على شدة ذكاء وفطنة تلك الملكة، فاستطاعت في وقت قصير أن تعرف سطوه المعدن ألذى فاقت قوتة كل معادن الأرض فقامت بصناعة سور من المعدن يحيط بمملكتها فلم يستطع أحد اختراقه بأقوى أنواع الأسلحة المستخدمة في ذلك الوقت، كما استعملته في صناعه السلاح فكان لديها سلاح لا يقهر أبدآ. وصنعت الدروع لحماية جنودها فكانت المعارك محسومة لمن الانتصار؛ انتصارا ساحقا، وتعود بكل جيوشها، وجنودها، وأسلحتها. فلم يجرأ أحد الملوك على معاركها أو الاقتراب من ملكها خشية رد فعلها ألغاشم. فعاشت سنوات طويلة بدون حروب وعملت على تنميه ملكها وشعبها. فقامت بإنشاء قلعة خاصة تحت الأرض لحفظ المعدن النفيس حتى لا يجرؤ أحد على السطو عليه في يوم من الأيام.

كما كان للملكة ولدين شابين من أشجع فتيان المملكة، كانا متقاربين كثيرا بالعمر لا يفرق بينهم سوى سنوات قليلة فكانا الشابين مثل التوأمين، كانا فارعين الطول مثل قومهما. يتمتعان ببنية جسدية

هائلة مفتولي العضلات يجيدان كل أنواع الرياضة وكل أنواع وسائل الدفاع عن النفس، كانوا من أجمل الأمراء الشباب. إذا وقف أحدهما أمامك فكأنك تنظر لملك ليس لأمير حديث ألســـن، وكأنهم وجدوا ليكونوا ملوك فقط. وكانت القوانين المتبعة في المملكة وأيضا الممالك الأخرى أن يقتسم الحكم بين الأسرة الحاكمة بالتساوي في الالتزامات والمهام، او يقوم كبيرهم بالحكم إلى أن يبلغ أكبر الأمراء عمرا سواء كان ذكرا أو أنثى فيقتســـم معه ألحكم حتى يبلغ جميع الأمراء مبلغ الحكم فيتم توزيع الحكم فيما بينهم جميعا بالتســـاوي. فكانت تحكم الملكة منفردة إلى أن بلغوا أبنائها مبلغ الرجال. وفي حفل ملكي مهيب اجتمعت فيه كل طوائف المملكة وخواص شـــعبها من كبار ألمسئولين وكبار القوم وعامة الشعب، فاصطفت كل الجيوش فكان منظرا مهيب حيث جلست الملكة على كرسي العرش الحربي والذي كانت تتخذه لمقابلة الجند في ســاحتهم كما كان لها أيضــا كرســي العرش الملكي بقصــر ألحكم. لمتابعة شئون البلاد، واتخذ كلآ من الأبنين مكانا بجوارها عن اليمين وعن اليســـار وكانت هي في المنتصف تترأس الاحتفال الملكي لتسليم ومناصفة ألحكم بينها وبين الأميران كما هو متبع. كما كان بالقرب منها في ســـاحة العرش الكاهن الحكيم وكانت مهام عمله" مســتشـــار الملكة وحافظ الســـر الملكي ومعلمها " اتخذ مكانه بجوارها فوقف يرتدى ملابس فاخرة يحمل مظهرة الهيبة والسطوة والحكمة ذو شعر طويلا أشيب يكاد يصـــل إلى منتصـــف ظهرة به بعض الخصـــلات الذهبية اللون تطايرت وراءه، وكان بيده صولجانآ عظيمآ من البرونز اللامع نقشت عليه الطلاسم والحروف التي نقشت مثلها على تاج الملكة.

وأبدت مراسم التتويج فتقدم كبير الجيوش يحمل سيفآ عظيمآ في غمده، وبيده وثيقة قام بقراءتها أمام الملكة والحشـــد المجتمع، وهي

القسم بحماية المملكة، وحفظ قلعة المعدن النفيس العظيم، والاهتمام بتدريب الجنود وصناعه السلاح والولاء لحماية المملكة في الخارج والداخل. وبعد القسم أشارت الملكة للأمير الأكبر ألجالس بالجانب الأيمن فوقف ووقفت أيضا فألبسته التاج الخاص "بأمير الجيوش"، كما أستلم الوثائق والعهود من كبير قادة الجيوش بمهامه ألخاصة وسط هتاف الحضور والتي تلاها كبير الجيوش منذ قليل ...

ثم تقدم كبير خدمة الشعوب بوثيقه أعلن فيها بعد القسم الملكي مهام عمله من تنميه الشعب، وتنميه رخاء المملكة من صناعة، وبناء، وزراعه، وتعليم، وفن، فقام الأمير الأصغر الجالس على أيسر الملكة فألبسته التاج ألخاص "بأمير الشعوب" كما أستلم الوثائق والعهود من كبير ألمسئولين لإدارة الشعوب بمهامه ألخاصة.

وسط هتاف الحضور. فبدا الأميران بشعرهما الأسود الطويل والذي تتخلله بعض الشعيرات الذهبية أجمل ما يكونا بعد ارتدائهما التاج الملكي الخاص بكل منهما. وظلت الملكة الحاكم الأكبر، ولم يكن فقط ما يتمتع به أبناء الملكة هو المظهر العظيم وتعليمهم الملكي لكل العلوم، بل كانا يمتلكان سلاح أخر وهو سلاح السحر. فقد ورثا الأميران القوى السحرية عن أمهما ولكن كانت هناك مواثيق وعهود بين الملكة وأبنائها بشأن استعمال السحر، وهو عدم استخدمه ألا في الدفاع عن الحق، والدفاع عن المملكة، وكتب الكاهن الحكيم تلك العهود والمواثيق بينهم، كما كانت هناك عقوبات إذا تم مخالفه الأمر. وقد وقعا الأميران على الوثيقة وتم حفظها بالمكتبة الملكية تحت حراسة الكاهن الأكبر الذي يمتلك أيضا قوه سحريه عظيمه لا تقل عن قوتهما السحرية. فكان يستخدمها لحفظ العهود وأسرار الملكة وحماية المملكة. وكان الأربعة "الملكة وأبنائها والكاهن الأكبر" يحملون نفس القوى السحرية ويحملون نفس الطلاسم والرمز على

تيجان ألملكية وصولجان الكاهن كما تحكموا بقوى السحر في حماية الاتجاهات الأربع: الشرق والغرب والشمال والجنوب للمملكة لصد أي هجمات شريرة عليها. ولم يملك أحدآ غيرهم ذلك القوى ألسحرية في المملكة كلها، وانتهى حفل التتويج وانطلق الجميع كلا إلى عمله ...

ومرت السنوات سارت أمور ألحكم بالمملكة كما أرادتها الملكة، وكما كانت تقوم بها من قبل فكانت أمور ألحكم مستقرة، حتى بعد توزيع المهام بينها وبين أبنائها، وكثيرآ كانت تستعمل الملكة قواها ألسحرية سرآ دون علم أحدآ من أبنائها أو أحدآ أخر. ولم يعلم ذلك غير أمين السر" الكاهن الأكبر". حيث كانت الملكة تحب أن تتفقد رعاياها وتتفقد أمور أبنائها دون علمهما بذلك. فكانت تتخفى في صوره طائر من طيور البوم ألبيضاء ليلا لتجلس على أي فرع من فروع الأشجار وتراقب أحوال البلاد والرعية ... كان يشاركها في ذلك الكاهن وأمين السر فكثيرا ما كان يتخفى هو الأخر في صورة صقر يقوم بالتحلق في سماء المملكة ليرى أحوال البلاد أو أي أمر آخر تأمره به الملكة، وكانا فقط هما من يعرفا ذلك دون غيرهما!! واستمرت الأيام والليالي على ذلك إلا أن حدث في يوم من الأيام شيء غريب.

فقد كان هناك مزارع جالسآ بجوار حقله وعلا وجهه الحزن الشديد آثر ما حدث لزراعته وفقده لمحصوله بطريقة غريبة ولم يعرف كيف حدث ذلك الأمر؟ وكان المزارع سيبيع محصوله ويقوم بزواج ابنه كعادة أهل البلاد في ذلك حيث يزوجون أبنائهم بعد موسم الحصاد وامتلاء البيوت بالخيرات، وقد أخذت المملكة تتابع ما سيفعل الرجل وهي متخذة هيئة طائر البوم الأبيض المقدس. فاذا بالرجل يلغى

عرس ابنه ويعم الحزن على بيت ألفلاح وأسرته، واحزن الأمر الملكة فقامت بأرســـال هديه كبيرة للفلاح فقام بزواج ابنه وشـــكر الملكة ثم أمرت الملكة باستدعاء أبنائها وقصت حكاية الفلاح وكانت على علم بمن قام بهذا الأمر ألغريب فلم يخفى عليها أن ملك الشعوب هو من قام باستعمال قواه ألسحرية في إيذاء هذا الرجل فقط من باب المداعبة وتســـلية وقتة، ووجهت الملكة أبنها ألصـــغير بهذا الأمر فلم ينكر ذلك وقال : أنه فقط من باب ألمداعبة وكان ســـــيعوض ألفلاح ، فقامت المملكة بتأنيبه اشد التأنيب أمام أخيه وأمام الكاهن ولم تكتف بذلك بل قامت بصوره مفاضلة بينه وبين أخيه، وهددت بسحب التاج منـــــــــه، و ألذى يعي سحب أمور ألحكم . وانتهى مجلس التأديب وذهب الجميع كلا إلى عمله. **ولكن هل يكفي العدل دون حب؟**

****

كنت أظن أن الزمن سوف ينتهي بنهاية موتى وان القلب قد يتوقف بتوقف خيبتي وإعدام طفولتي واغتيال شـــبابي، لكن لا أحد يعرف ماذا حل بي من هو قاتلي؟ أدركت الأن أن الألم أكبر حين تظلم الروح وأن الحياة لا تنتهي بفناء الجســـد فقد تعود لتنتقم وربما تستغربون، فصوتي يأتيكم من الماضي السحيق من أنا؟ لن أجيب فضـــولكم. تعالوا معي لأريكم عما يكون هناك من الماضـــي. فإن كانت العدالة اهم ما في الحياة فالانتقام يقتل الحياة. أنا مصـــــاب ألان بالجنون. جنون الانتقام كما كلنا مصـــابون بذلك، ولكن لكل منا جنونه الخاص. قد يتوقف الجنون يوم ما،

فقط أذا ما ساد العدل مع ألحب.

الحب ليبقى ذلك أهم وأجمل ما في الحياة !! ومن هنا كان البداية.

بداية كل شيء.

****

ومازال العجوز الأفريقي يسـرد حكايته، ومازال الصـندوق معي ولم يتم فتحه بعد. فقد رفض ذلك بل وأصـــر إصـــراراً كبيراً عليه، عدم تحريك الصـــندوق أو فتحه حتى اكتمال حديثة عن الأســطورة، وإلا سيكون هناك عواقب شديدة لن يتحملها أحد منهم أو من أفراد قبيلته.

كان اليوم قارب على الانتصاف فأمر لنا كبير القبيلة بأعداد بعض المشـروبات. وجلسـنا بعض ألوقت لتناولها ألذى شـاركنا فيها وبعد ذلك عاد ليحكي لنا باقي الأســـطورة، دون أن نتطرق مره أخرى لموضـــوع فتح الصـــندوق حتى يقول ذلك. ثم أكمل حديثة قائلاً: لم يكن الأمر كما يبدو علية فقد أفرطت الملكة في رعاية ابنها الأكبر منذ طفولته فكانت تقوم بتوجيه النصـح والإرشـاد له بطريقه بسـيطة لينه عكس ما كان تقوم به مع الأمير الصـــغير، لم تدرك أن هناك يترقب ويقارن ويسـأل بينة وبين ذاته! فهو أيضـا هو في حاجه إلى الإهتمام والإرشـــاد بل والحب والحنان ألذى فقدة منذ طفولته الأولى، وانشـغل بما تنشـغل به الغلمان في مثل عمره لكن أدى ذلك الحرمان فقدان الإهتمام وحنان ألام إلى وحدته على نفســـه وابتعاده عن العلاقات الاجتماعية. فكان دائما وحيداً ســـواء في دروس العلم، او دروس الرياضة، ومضت الأيام سريعاً فكانت متعته الوحيدة أن يكون متفوقا أكثر من أخيه. فقط من أجل أن تثنى أمه علية كما تفعل مع أخيه، ولكن الملكة كانت تنظر ألي تفوق أبنائها على أنه وأجب مقدس عليهم القيام به، ولم تر في ذلك شـــيء يجب الثناء، ولم تسـتشـعر ألخطر، وأن هناك حائط تقوم ببنائه دون وعى بينها وبينه يرتفع مع الأيام والمواقف شـيء فشـيئاً فشـيئاً، فلم يسـمع منها يوما كلمة حانية أو يلمس منها مشـــاعر الحب ألذى تغدق به الأمهات على أبنائها. كانت تؤمن بشـــيء واحد أن تكون أقوى الملوك، ولم تشـعر أن قصـرها واهن يفتقد القوة. قوه وحدة الأبناء، وجدرانه بارده

تفتقد الحب. حب الأم وأرشـدها للأبناء، فكانت الملكة ولم تكن ألام، ومضت السنوات وشبا الطفلان فأصبحا شابين تملأهما القوة والذكاء.

وبعد حفل التتويج كانت إرادته القوية قد انهارت تماما؛ فور إقصاءه عن مشـــاركه أخيه للإشـــراف على قلعة المعدن النفيس، وكان هذا الأمر من اختصـــــاص الملكة فقط، وقد أوكلته إلى أخيه فقط، وهنا فاض يأسـه، وسـأل الكاهن الحكيم عما تقوم به الملكة من تميز بينة وبين أخية الأكبر منذ طفولتهما ولماذا؟ فلم يجد لسؤلة تفسيرآ لدى الكاهن ســوى انه قد يكون فارق الســن فيما بينهما وأنه فقط الأكبر سنا.

فلابد أن يحصـــل على المهام الأكثر في المملكة. واخذ الكاهن يهدئ من روعه بعض الشـــيء، ولكن لم تشـــف إجابته جراح قلبه الدامية، ولم يجد الفتى بعد ذلك متنفس لـه إلا في ممارســـه قواه السـحرية الممنوعة. فأخذ يسـتعملها قليلا في سـبيل المداعبة لبعض الأشـــخاص. فقام في أحد المرات بإتلاف حقل لأحد الفلاحين، وقام مرة أخرى بإخفاء أحد الحملان، وفى كل مرة كانت تعلم الملكة بأمره، ويتم اســـتدعائه لمجلس تأديب، وما كان يفعله إلا لألفت نظر امه اليه.

كان يضـنيه الشـوق أن تقوم بسـؤلة دون مجلس تأديب كما تفعل مع أخيـة إذا أخطـأ، كـان يتمنى لقاء ألام لا لقاء الملكـة. وأخيرا تم تهديده بســحب تاج الحكم وســحب مهام عملة. أما الكاهن الحكيم فكثيرا ما تدخل في الأمر بينهما ألذى يؤول بالفشـل كل مرة، فكانت تعتقد أن ذلك هو العدل والعدل فقط هو ما يحكم. فهل ما قامت به بين الأخوين هو ميزان العدل؟ وانطفأ شـــعاع للأمل بقلب الأمير وأنطفأ مصـباح الحب وأسـدلت سـتائر البغض والكراهية على جدران قلبه ألجريح.

فحين تظلم القلوب ويموت الحب يأتي الظلام ... الذي يصبح أكثر قوه إذا ما اجتمعت معه قوة السحر.

تملكه ظلام القلوب فتحولت خصلات شعره الذهبية إلى خصلات حمراء تتخلل شعره الأسود ومضت تقطر دماء أينما ذهب. وما كانت تلك الدماء إلا دماء قلبه المفطور ...

منذ ذلك الوقت تغير كل شيء وحدث كثير من الأمور بالبلاد، أصبح الناس لا يخرجون من بيوتهم ليلا، ويرتجفون خشيه تلك الأصوات التي راحت تطاردهم إذا ما حل الظلام. فكثيرا ما كانوا يجدون في الصباح أشلاء بعض المواشي تتناثر في دمائها تملأ الطرقات بين البيوت وكثيرآ ما كان يتم اختفاء أشيائهم الخاصة، حتى أطفالهم ما نجت من تلك الحوادث المفزعة وتم ألعبث معهم فكانت تتعالى صراخات الأطفال من أي مكان. كانت الرعية تجهل تماما ما يحدث داخل القصر الملكي وعلاقة الملكة بأبنائها وأيضآ علاقتهم بها، ولم يظن أحدآ ابدأ أن تلك ألحوادث تصدر من أحد حكام المملكة التي تحسدها الكثير من الممالك الأخرى.

أشتكى الرعية لكبار قومهم فذهب كبير التجار وكبير والصناع لأمير الجيوش يشكون اليه الاعتداء عليهم من قبل مجهولين هل هم أعداء من خارج المملكة، او من داخلها؟ وفزع أمير الجيوش لتلك الأحداث الغريبة وهو الذي يؤمن كل شبر بالمملكة !! وأمر عسسه بتحري الأمر في سرية تامة. وعلم بعد ذلك أن تلك ألحوادث لم يأت من الخارج، وما هو إلا اعتداء من داخل القصر! فقد كان الفاعل أخيه. أصاب أمير الجيوش الدوار من هول المفاجأة وأخذ يتساءل عن سبب تلك الأفعال الذي وضعت الأسرة الحاكمة في حرج شديد، وان كان الأمر سرآ لم يعلمه أحدآ حتى ألان ولابد أن يبقى كذلك....

اســـتدعى أمير الجيوش أخيه أمير الشـــعوب إلى جناحه ألخاص بداخل القصـــر الملكي وقام بإعطائه لفافة من ألورق كانت بيده بها تحريات الأمن بالمملكة بسبب شكوى كبير التجار وكبير الصناع من وجود اعتداء مجهول على الرعية، وتم معرفة المعتدى، وما يقوم به من أفعال ســـحريه لإرهاب المملكة، والتي ممنوع اســـتعمالها ويوجد ميثاق وعهد ملكي على ذلك، ولم يكن هناك في ذلك الاجتماع سوى الأخوين والكاهن حافظ الأسرار الملكية ومعلمهم أيضآ.

استلم أمير الشـعوب ألفافه من أخيه ونظر اليها وتعالت ضـحكاته الهســتيرية بصــورة غريبة ومرعبة، ثم قام بتمزيقها وألقى بها أرضـــا ونظر ألية نظرة تعلوها الشـــماتة والحقد ألدفين؛ فقد حاول أن يفقد الناس أمانهم ليتم أدانه أخية ليس أمام الرعية ولكن أمام الملكة ليرى هل سـيتم أدانته؟ هذا ما أرده وما أثره. كان يتمنى أن يرى أمه كيف ستتعامل مع أخية؟ هل ستدينه دون سؤال؟ هل تأنبه؟ أم ستسحب منـه التـاج الملكي ومهـام الحكم؟ فكثيرا قـامـت بتهـديـده وتـأنيبـه في أشـياء أقل أهمية من ذلك، أم سـتجلس معه لتعرف ألمشـكلة وتبحث حلها بعد ذلك؟ وأبتسم في دهاء ثم تركه وذهب مسرعآ تقطر الدماء ورائه من شـــعيرات راســـه ألحمراء، وتركهم في ذهول مما حدث فقد كانت أول مره يرى فيها أخية على هذا الهيئة.

قال أمير الجيوش للكاهن مازال مندهشـا مما رأى: أرى أن أخي قد تغير شكله وأصبح غريبا. فلماذا؟

لم يجب الكاهن على السـؤال ولكن نظرا شـاردا حزينا ناظرآ لقطرات الدماء المنتشـــرة على الأرض فقد علم ما حل بذلك ألفتي... ولماذا تغيرت خصـلاته الذهبية إلى خصـلات حمراء تقطر الدماء. وأستأذن الأمير وهم بالرحيل وقال قبل رحيله كلمات متقطعة مبهمة بصـــوت أشبه إلى الهمس (الأمير الصغير ... الظلام ... الظلام – قد دخل

القصـر) وتركه ورحل مسـرعا إلى سـاحة الحكم حيث تجلس الملكة فوق كرسي عرش البلاد .... البلاد الذي سادها الظلام.

****

الفصل السادس

لم يكن الدكتور عوني مشـــغولا بالنظر إلى عيون أســـرته التي أخذت تســتمع له في صــمت وانتباه، وعلا وجوهم الشــحوب والخوف ... بل راح يتلفت بنظره نحو الصـقر الجالس منذ الصـباح الباكر بجوار نافذة جاجان فأثار ذلك انتباه الأسرة وأخذت العيون تتابع الصقر الذي صار يعرفه الجميع. فلم يكن ذلك الطائر سوى الكاهن الحكيم الذي يستكشف الأمر عن قرب. لأخبار الملكة بكل الأحداث الجارية ...

فســـال جاجان عمه ومازالت عيونهم تراقبه. عمى: هل ذلك الطائر هو الكاهن ألحكيم الذي تحكى عنة بالأسـطورة؟ فهز برأســه وقال: نعم هو وقالت فريدة أما زالت تلك المملكة موجودة، وأيضـــا الملكة، والكاهن؟ فأجبها الدكتور ميلاد قائلآ: القصــة لم تنته بعد. مازال هناك الكثير من الأحداث لم تحكى بعد.

فنظر إليهم الصـقر من أعلى وكأنه يسـمع حديثهم ويعلم فيما ينظرون، ولكن مازال جالسآ صامدآ وكأنه يقوم بحراسه شيء ما.

كان الإرهاق بدا واضـــحا على الجميع .... فإقترح عوني الذهاب إلى الدخل لتناول شــيء من الطعام والاســتراحة بعض الوقت حتى يتم تغيير الجو الذي أصـبح مقبضـا لهم جميعا، فسـمع يوسـف ذلك وانطلق مســـرعآ نحو الداخل تبعته ســـارة، وتباطأت رضـــوى ذراع جاجان، وهب الجميع بالذهاب ورائهما – ولكن تلك الصـيحة المدوية أوقفت الجميع عن الحركة صـــيحة أطلقها الجنايني منادياً على الدكتور عوني ... يا دكتور – ياد كتور. فانتبهوا لذلك وإذا به مسرعآ يتكلم لهفة وحيرة ولم يكن يعلم ما يعلمه الجميع من الأحداث الجارية .... كان قد أرســـله الدكتور منذ وقت لمعرفه ما حدث من أمر اختفاء مداخل وأبواب البيت. واختفاء بوابة الفيلا أيضـــا فقال: وقد ملأ وجهه علامات الفزع لا يوجد أي باب البيت ولا يوجد معالم

لكسر حائط أو تغير في أي شيء حتى إنني لم أعرف مكان الأبواب إلا من بعض أواني الزهور وبعض الأشجار التي كانت بجانبها. هيا بنا لترى ذلك....

وانطلق الجميع حيث أشـار الجنايني، ليجدوا ما قاله حقآ وأن جميع الأبواب قد اختفت تماما وكأن البيت صـــنع بلا أبواب أو مداخل. وقال: لقد حاولت كسـر الحائط بالفأس ولكن لم أسـتطع تحريك أي حجر من حجارة السور ثم حاولت في كل مكان ولكنى فشلت أيضآ، قال: الدكتور وأصابته الحيرة وأخذ الجميع يهمهم في أحاديث جانبية، اذهب لإحضـار سـلم لتشـاهد خارج السـور أي أحد من أهل القرية وأساله أكان هناك شيء حول أسوار الفيلا أم لا؟ ثم أنزل إلى الخارج لنعرف ما الأمر فاندفع الرجل وهو يصـيح افسـحوا الطريق وأحضـر السلم ألذى يستعمله في قص وتهذيب الأشجار بجوار الحائط، وأخذ يصعد السلم

وأسـرع الرجل في الصـعود حتى وصـل اعلى درجاته فاذا به يصـيح في رعب كاد أن يسـقط معه من أعلى، واندفعت الأسـرة يسـاعدوه حتى لا يسقط وهبط مسرعا مرتجفا من الصدمة.

نظر الجنايني إلى ألاسره التي أحاطت به في توتر فأشـار بيده نحو الأسوار وقال: يوجد وحش بالخارج!

بجوار أسوار الفيلا عيون وحش عملاق وسط ظلاماً دامس ملأ بين السـماء والأرض أحاط بالمكان. واختفى من حوله كل شـيء فلا وجود للقرية، أو بشر، لا شيء سوى الظلام وذلك الوحش الذي يشبه الذئب تقطر الدماء من أنيابه الحديدية ويكاد اللهيب يخرج من عينيه ...

وجرى الرجل بأقصـى سـرعه نحو ألداخل بعيداً عن أسـوارها، فقد بدا الظلام حولها يرتفع شـيئاً فشـيئاً حتى أحاط المكان وأصـبح يراه

الجميع كما أصـــبح واضـــحا ذلك الوحش الناظر لهم من خلف الأشـجار، وأحاط وجهه بالمكان وسـط الظلام الدامس، فقفز الجميع رعبا إلى داخل البيت تنطلق منهم الصرخات حتى سقط يوسف الذي التقته جاجان سريعآ واخذ يجره إلى الداخل قبل أن يتعدل من مكانة. وقف أفراد ألاسـره بداخل الفيلا يلهثون ويلتقطون أنفاسـهم قليلآ، فقد أصـبح الأمر خطيرا، وفجأة سـمعوا صـوتا هز أركان الفيلا لم يعلم أحدآ من أين أتى ذلك ألصـــوت ألذى قال مدويآ: أنتم الأن ســجناء الظلام حتى ينظر الأمير.... ماذا سيفعل بكم؟

اندفع جاجان اتجاه الباب ليقوم بغلقه، ولكن عاد الصـــوت بضـــحكه ســاخرة ... هل تعتقد ما تقوم به سـيكون كافيا؟ ثم اختفى الصـوت ولم يعلموا من أين جاء ولا ألي أين اختفى؟

احتضنت فريدة يوسف الذي أخذ يصرخ رعبآ وخوفآ واخذ يخفى وجهه بين زراعي امه ألمرتعشـــين وألتي هي أكثر خوفآ من طفلها واشـــد هلعا منه. وقد توقف عقولهم عن التفكير بعض الوقت.

حل المسـاء سـريعآ ولا زالت ألاسـره في مكانها ولا زال الخوف والرهبة تتملكهم أما الدكتور عوني وصـــديقة فكانا يحاولان إيجاد حل لذلك فقد تحولت أسـوار الفيلا ألي سـجن وهم السـجناء بداخلة وتواروا على ألعالم الخارجي. فلم يعلم بوجودهم أحد خارج أسوار البيت ومازال الظلام يحيط بالفيلا، ولم يكن هناك أي جديد ســـوى اختفاء عيون الوحش من أعلى الأسوار، أما الحديقة فبقيت كما هي. كان يمكنهم رؤية السماء والأشجار والقمر والنجوم وأشـعة الشـمس... وكأن الفيلا قد أخذت إلى مكان أخر بعيدا عن البشر.

خرج الدكتور عوني للحديقة، ثم نادى ســريعا على صـــديقه الدكتور ميلاد و أشـــار له ألي أعلى فقد امتلأت أشـــجار الحديقة بطيور البوم

ونظر بعضـهم لبعض و أتسـعت عيونهم من ألدهشـة، ثم عاودوا النظر مرة أخرى ألي أعلى الأشـجار فقد أثار أنتابهم تلك البومه ألبيضـاء كبيرة ألحجم عن أقرانهـا من طيور ألبوم و اتخـذت نفس مكـانهـا كمـا حـدث باقي الأيام السـابقة بجوار نافذة حجره جاجان مكان الصـقر، الذى يتخذ نفس المكان نهار أليوم وتخلفه هي طوال الليل إلا هذا الليلة فقد امتلأت الأشـجار بعشـرات من طائر البوم . قال ميلاد موجها حديثه لصـديقه : إذا فقد حشـدت الملكة جنودها وحشـد الأمير جنوده وسـتشـتعل الحرب قريبا .

ولابد من إكمال حكاية السر للأسرة ثم نرتب شئوننا جميعآ كيف يمكننا مواجهة الأمر؟ وحتى لا تكون هناك خسائر!

قال عوني وإن لم يستطع بعضهم التحمل ماذا سيحدث حينذاك؟

فقال: سـتكون الخسـائر فادحه ثم علا صـوته نبرة من الحزن والألم وارجوا ألا يحدث ذلك، فقد كان على يقين من وقوع بعض الأحداث السـيئة، نظر عوني فوجد جاجان الحق بهما ألي الحديقة و أخذ يعتذر لعمة في ألم وحزن عما قام به، وأن بسـبب فضـوله قد وصـل بهم ألي ذلك المصير ألمرعب، وأصبح الآن يتذكر كل شيء، فربت ميلاد على كتف الفتى وقـال : نتمنى أن ينتهى الأمر بخير فلم يتبق سـوى شـهور قليلة فقط وكنت سـتعرف كل شـيء، ولكنك أسـرعت يأبني الخطى وحدك بدون دليل وركبت جواد فضـولك ألذى قادك ألي ألخطر ألذى ظللننا سـنوات عديده نحاول حمايتك منة ، وكان الأمر سينتهى عند بلوغك العشرين ، وهنا تذكر جاجان حديث عمه أثناء عودتهم من حفله تخرج الثانوية العامة عندما قال لم يتبقى الكثير، في ذلك الوقت تملكتهم الدهشـة جميعآ من تلك الجملة ألغريبـة ، ولكن الأن فقد علمت أن عمى كـان يتحدث عن حمل ثقيل أتعب كاهله وأخذ يعد الأيام والسـنوات فقد كان يريد الانتهاء

منة بدون خسـائر، سـامحني يا عمى لم أكن أعلم حجم ذلك السـر الرهيب ألذى تحمله وحدك ، وأخذ ألفتي يكرر اعتذاره وعلى وجهه علامات الندم ألشـديد قال ميلاد : أتعرف يا جاجان كل مائه عام يبحث الملك عن مخلصـــه ومحررة كل مائه عام منذ عقود طويله، ولكن فقط يختار من يقوم بالبحث عنه فاذا بحثت عنه يتم النداء ليقوم باختيارك فقط "أبحث تجده "وســتعلم كيف ذلك عندما نقص عليك باقي الأسـطورة ، ولكن أتعلم أيضـآ أذا بلغ من يختاره الأمير العشرين من العمر يعود الأمير وينتظر مائه عام أخرى أتعرف لماذا ؟ العشــرون؟ لأن ذلك العمر هو عمر الأمير الســجين العشــرون عندما أعطت الملكة أوامرها بسـجنه في الكهف الأحمر، او السـجن الملكي، وكانت أحد شـروط وثيقة العفو واسـتعادة الحرية له " أبحث يجدك أو ابحث تجده "لا ففقط سـيتحرك الأمير من ســجنه إذا ما بحث عنه أحد

وسـيكون ذلك هو الأمير المحرر كما يطلق عليه ثم سـتكون هناك بعض الشـروط أيضـا إذا تم ذلك، ومنذ أزمنه بعيده لم يسـتطيع أحد أن يبحث عنه ألا أنت. فقد حفظ كبير القبيلة الأفريقية السر وتوارث ذلك أجيال وأجيال بقبيلته ثم جئنا نحن كبعثة علمية للبحث في ألحوادث التي كانت قريبه من سجنه بالجبل فإنتقل السر إلينا وكذلك فعلت أنت عندما بحثت عن الحجرة ألممنوعة اقتربت منة كثيرآ ثم حدث ما حدث.

وكنت مبتغاة ألذى أنتظره طويلآ، ثم أحضـرته الينا، ثم سـكت لحظه ونظر إلى أسراب البوم التي ملأت فروع الأشجار بالحديقة، وقال: وهنا سيكون ميدان الحرب.

أتعبوني إلى المكتبة قالها عمة وهو يسرع في خطواته إلى الداخل وتبعه جاحان والدكتور ميلاد ثم أمر أخته الجالســة وباقي ألاسـره لم تتحرك من مجلسـها إلى الأن بان يذهبوا جميعآ غرف نومهم فهناك عمل جاد

ينتظرهم ولا مجال لا ضياع أي دقيقة من الوقت في الترقب وقد يطول ذلك الأمر بهم ليمتد حتى ساعات متأخرة من الليل ...

الجارية بعد ذلك معقبا على كلام الدكتور عوني وذهبوا ألي حجره المكتبة يتبعه صـــديقة وجاجان، كانت الوثائق والمخطوطات مازالت متناثرة في كل مكان ومنها المفتوح على المنضـــدة ومنها ألموضـــوع على بعض الكراســـي والأرف، فاقترب العالمان من الأوراق الوثائق المفتوحة على ألمنضـــدة ثم ألقى عوني نظره ســـريعة على معصـــم جاجان المغطى بالشـــريط ألطبى الضـــاغط لمحاوله إخفاء حروف المخطوط وإبقائها في الظلام فحجبها عن الضوء يعمل على أضعافها بعض ألوقت ومنع الأمير ألهارب من أستعلمها سريعآ. ثم نظر عوني متفحصـا الوثائق وقال في همس حسـنآ يجب ألا يرى أمير ألشـعوب جاجان يجب أن يتم عزلة !، ولكن كيف الوصـــول إلى ذلك؟ وإذا بصـوت رهيب كالصـوت الذي سـمعه جاجان في الحجرة السـرية من قبل. قال الصـوت: في صـدى صـوت أشبه لصـوت زوابع الصـحاري والجبال.

إستعمل عناصر الحياة. استعمل الأسود.

إستعمل عناصر الحياة. استعمل الأسود.

إستعمل عناصر الحياة. استعمل الأسود.

كرر الصـــوت الكلمات أكثر من مره ثم اختفى. فأختلج ثلاثتهم من ذلك الأمر فقد سمعوا الصوت جيدآ فقام جاجان مسرعآ كالبرق لإغلاق باب الحجرة ظنآ أن ذلك سيحميهم من تلك الأصـوات أو من صـاحب ألصـــوت ألمجهول، فلم يكن يعلم أن هناك قوه هائلة تســتطيع اختراق أي شـيء وكل شـيء حتى جدران الغرفة وليس بابها فقط. واقترب من بـاب الغرفـة فحـاول دفعـة بقوه وهو لا يعلم مـاذا أحل بـه لا يتحرك ثم أطبقت على يده يدآ قوية قامت بقبض معصمه فالتصق جسده بالحائط

وانطلقت منة صـــرخة مدويه مرعبة أنطلق عمه وصـــديقه على أثرها ليقموا بجذب ألفتي داخل الغرفة. فألقت به تلك اليد ألخفية في الهواء ليسـقط بعدها على الأرض في قسـوة وشـدة، ثم جاء صـوت مروع لم يرى أحدهم صـــاحبة فقال: لن تهرب منى بعد اليوم _ ولن تهرب منى ابدأ – والويل لمن سـيفعل ذلك وصـمت الصـوت مخلفآ ورائه قطرات من الدم. فعرف الجميع حينها من يكون صاحب الصوت.

لم تذال الصـــدمة والمفاجأة تتملكهم حتى أتت صـــدمة أخرى أثر تلك ألصـراخات ألأتيه من الطابق العلوي لغرف النوم وأسـرع الجميع ألي حيث الصـــرخة المدوية التي انطلقت من غرفة فريدة مره أخرى فكان المكان في حالـه فوضـــى وهرج فهناك آتيا من غرفته، أو أتيا من الطابق الأسـفل، كان المكان شـديد الضـوضـاء، وتزاحم الجميع حول باب غرفة فريدة فقام بعضـــهم بدفعه بقوه، ولكن لم يســـتطع أحدآ أن يدخلها.

فقد تحولت جدران الغرفة إلى وجوه مخيفة من عشـــرات الذئاب المفترســـة تخرج رؤوســـها من الحوائط مزمجره ومكشـــره عن أنيابها لحديديه وينطلق اللهب من عيونها الحمراء وقد ســـاد الظلام أســـفل وأعلى الغرفة ووقف هناك صـــاحب ذلك الوجه المرعب يســـحب تحته سـلاسـل قيوده المقيد بها منذ مئات السـنين، تقطر ورائه قطرات الدماء الآتية من خصـلاته شـعره أينما ذهب، وقف وسـط الغرفة ومعه جنوده من تلك الوجوه البشـــعة من الذئاب ألمفترســـة ألذى امتده بها ملك الظلام. وقف أمير الشـعوب الأمير ألهارب من سـجنه بالكهف الأحمر بجبل الهلاك بجوار فراش يوســـف وأمة، وقد التحمت فريدة بجســـد صـــغيرها في رعب وقوه، تتعالى منها الصـــرخات المدوية في محاولة منع الأمير من لمس يوســـف أو ألتعرض له ولم يعلم أحد ماذا يريد الأمير من هذا ألطفل؟ كانت فريدة تتوســـل ألي الأمير في بكاء مرير

يكاد يفطر قلبها لوعة ورعب على طفلها الذي يحاول جذبه من بين ساعديها بواسطة خيوط من الضوء الأحمر الممتزج بالسواد يحاول أن يسحب بها الصغير ألذى فقد وعيه من هول صدمته ورعبة لذلك المنظر ألذى أرعبهم جميعآ فكيف بطفل؟ وبين الرجاء والبكاء لم يقصى ذلك الهارب رأيه لخطف الطفل من أحضانها. ثم قايضت الأمير هي بدلا عن أبنها الصغير فحياتها مقابل حياه ابنها وان يفعل بها ما يريد فقط يترك طفلها ولا يؤذيه. كان أفراد الأسرة يقفون على مدخل الغرفة ولم يستطيعوا دخولها حيث بنى الأمير حاجزآ شفافآ باستعمال قواه السحرية فلم يستطع أحدآ اختراقه، وأصبحوا يشاهدون ويسمعون كل ما يدور بداخل الغرفة، مع عدم قدرتهم فعل شيء، أما ساره ورضوى فلم يكفا عن البكاء والصراخ ،وانطلق جاجان مسرعا إلى المطبخ و اتى بسكين كبير ، وابعد أسرته قليلا فاندهشوا مما يفعل خشيه أن يقوم بإزاء نفسة ولم يجيب سؤال عمه ما ستفعل بهذا السكين ؟حتى أصبح على مرأى من الأمير السجين فصاح عليه و رفع السكين نحو معصمه وقال مهدد إياه : إما أن تترك أسرتي ، أو سأقوم بقطع يدى التي بها حروف المخطوطة وستضيع إلى الأبد ، ولم يعرف أحد كيف جاءت إلى رأس الفتى تلك الفكرة الغريبة . فنظر إليه الأمير وأزاد وجهه بغضا فأزال حاجز السحر بينهم وسحب الفتى داخل الغرفة فانتزع السكين من يديه والقى به أرضا ثم رفع جاجان إلى اعلى الغرفة فتعالت صرخات ألاسره رعبآ وقال له مهدآ: إياك أن تحاول أو تفكر في ذلك الأمر فانت لي وما معك هو لي. ثم القى به أرضا خارج الغرفة. واغلق باب الغرفة في عنف وبقي بداخلها مع فريدة ويوسف التي امتزجت صرخاتها مع صراخ أسرتها خارج الحجرة ألمغلقة. ثم أخذت الحجرة تمتلأ شيء فشيء بالأضواء العجيبة بين الأحمر والأبيض والأسود بدأت اسفل بابها المغلق واضحآ لمن بالخارج أيضآ فأنتشر الضوء في كل مكان ولم يقتصر الأمر على

ذلك فقط ، بل كان هناك صـــراع رهيب بدا واضـــحا للجميع بين الضوئيين واذا بالباب يفتح في عنف وتقفز فريدة خارج الغرفة مسرعة حامله ابنها الصـغير تاركه خلفها تلك المعركة الرهيبة التي تدور في حجرتها بين عملاقين احدهما كان الأمير الصـــغير ألســـجين الذى شـاهدته ، والأسـرة منذ قليل ، والأخر كان عملاق لا يقل باسـا وقوه عنه ذات شعر اسود تتخلله خصلات ذهبيه بدت كالأشجار المضيئة وســط الظلام لم يكن ذلك العملاق ســوى الكاهن في محاوله لردع أمير الشعوب الهارب من سجنه .

أخذ جاجان ابن عمته من بين يديها المرتعشة، وأخذوا يفرون إلى الطابق الأســـفل بعيدآ عن رحا تلك المعركة ألدائرة في محاوله للاختباء تجرى خلفهم حتى الخادمة وزوجها، فقد تم سـجنهم أيضـا داخل أسـوار البيت. كان البيت في فوضـى عارمه واضـطراب شـديد حتى قطع ذلك صـيحة مخيفة جاءت من اعلى ثم سكن بعدها كل شيء ...

فوضــع جاجان ابن عمته المغشــى عليه فوق احدى الأرائك وجلس مثل أفراد أسرته محاولآ التقاط أنفاسه المنهكة مثلهم ، واستدار الدكتور عوني خلفه ببطء ونظر بطرف عينـه إلى الخلف، ثم في كـل الاتجـاهـات علـه يرى أي من طرفي المعركـة التي دارت منـذ قليـل بحجرة فريـدة ... ولكنه لم يرى أحد ، ولم يعرف بعد ذلك كم مضـــى من الوقت عليهم ، ونظر من أحد الشرفات ألمطلة على الحديقة ، كان هناك شعور غريب تملكه حين شـــاهدوا طيور البوم قد تركت أماكنها فوق افرع الأشـــجار لتحيط بالمنزل من الخارج وبدت واضـــحه لمن في ، البيت وذلك عبر النوافذ والشـرفات التي مازالت مفتوحه في ذلك الوقت المتأخر من الليل . وفي هذا الليلـة رغم الأحداث الرهيبـة قد علموا أن هنـاك قوى أخرى مماثله لقوه ذلك المخلوق تقف بجانبهم ولكن كيف؟ لم يعرف أحد بعد.

****

أرسلت الشمس شعاعها الصباحي الرقيق على الأشجار فاستيقظت طيورها التي انطلقت من أعشاشها مغردة سيمفونيتها الصباحية الرائعة لتسمعها الأزهار النائمة فتتفتح وينتشر عطرها الذكي في أرجاء الحديقة كعادتها كل يوم لم يتغير شيء من جمال الطبيعة وروعتها في ذلك المكان. ولكن تغيرت الأحداث فلم يعد أكثر الأماكن سكينه وهدوء، وعبرت شعاع الشمس النوافذ والشرفات في رقة وهدوء حتى لمس تلك الوجوه الغارقة في النوم منذ ليلة أمس مستلقة على أرائك غرفة الاستقبال، فقد أضناهم الإجهاد المستمر من الفر والكر مع ذلك المخلوق الغريب، وفتح البعض عيونهم في تثائب وتكاسل، واستيقظوا واحد تلو الأخر، وفى خلال دقائق قليلة كان جميعهم قد استيقظ من النوم. فعاد من كابوس الأحلام إلى كابوس الواقع الأشد مراره، فلم يعد يشعرهم الصباح ببهائه وجماله كما اعتدوا عليه منذ سنوات في ذلك المكان البكر الجميل.

مضي على استيقاظهم ساعة من ألوقت استبدلوا فيها ملابسه أما يوسف فلم يستيقظ فمازال نائما لا يتحرك.

فهل كان نائما أم كان هناك شيء أخر قد حدث للطفل الصغير شيئآ يعلمه أحدآ حتى ألان ؟؟

وأخذت فريدة تمسح جبين صغيرها في توجس، ثم أخذت تداعبه بيدها عسى أن يصحوا من نومة، ولكن باءت محاولتها بالفشل، فلم يستجيب لها، وبدأ يتحرك في فراشة، فتركته بعض الوقت ثم عادت مره أخرى محاولة إيقاظه، ولكن لم يستجب أيضا كان الصبي نائمآ نومآ عميقآ على غير عادته وقد اثأر ذلك الشك والخوف في وجدانها فأخذت تهزه بقوه محاوله إيقاظه، وفشلت مره تلو الأخرى فأصبها الفزع، وصدقت هواجسها فمنذ حاول الأمير

ألهارب اخذ صغيرها ونزعة من بين يديها وسحبه إلى الظلام، ولم تعلم ماذا حدث للصـبى؟ واسـتبد بها الهلع فانطلقت عواطفه ألام وانهمرت دموعها مثل شلال جارف أنساب على وجنتيها...

فأسرع جاجان إلى الهاتف يحاول أن يصل طبيب، أو مركز طبي في ذلك الوقت فكان الهاتف بلا حرارة وتعطل عن العمل وتذكر ما حدث أمس، فقد ســـجنهم الظلام الذي أحاط البيت، وذلك الوحش الحارس بالخارج ذات العيون الحمراء والأنياب الحديدية فتأكد انهم معزولين عن العالم الخارجي سجناء بيتهم.

وأسرع جاجان يحمل يوسف ثم انطلق به إلى فراشة، ووضعه برفق وحاول أن يقوم بدور الطبيب وان لم يكن قد أكمل دراسته بكلية الطب بعد، ولم يأتي أيضآ بأجهزته الطبية في محاولة لإنقاذ الصغير ومعرفه ما أصابه ولماذا لا يستيقظ؟ فحاول أفاقته ببعض العطور القوية، وحاول أيضا تدليك انفه قليلا ولكن محاولاته بائت بالفشل كما فشلت محاوله امه من قبل، فتعجب وقال:

أرى شيئآ غريبآ! يوسف ليس في غيوبه كما نظن، بل هو نائما نوم غريب فهو يستجيب معي ولكن لا يتكلم، وليس تلك علامات الغيوبة التي درسناها، فلا هناك أي شيء غير عادى به، هو يشعر بكل شيء ولكن لا يستطيع الحركة كأن مكبل الحركة .... كأنه منوم مغناطسيآ !!

واقتربت فريدة وجلست بجوار صغيرها تنتحب بالبكاء، وبكت رضوى على أخيها وشاركتها وسارة أيضآ ألبكاء.

أشار ميلاد إلى صديقه ونظرا معا لذلك الصقر الواقف بجوار النافذة وألذى يحاول أن يدخل عنقه من خلال فتحتها الضيقة، فأخذ

يحاول أن يفتح زجاجها قليلا ليدخل عنقه كمن يريد أن يرى شيئآ ما داخل الغرفة،

وتساءل ترى ماذا وراء ذلك الصقر؟ شاهدت أيضا فريدة ذلك الطائر فأسرعت بغلق النافذة فقد أصبحت تخشى كل شيء حتى وان كان طائرا يقف على نوافذ البيت، وتتبع عوني وميلاد حركة الطائر الذي لايزال واقفا خارج النافذ ولايزال يحاول فتح زجاجها، واخذ ينظر إليهم في صمت مع استمراره فيما يقوم ولكنة فشل في فتحها. أثار ذلك انتباه الجميع الذين أصابهم الفزع من عوده الأمير السجين.

وتعالت أصواتهم مرة أخرى ، وعمت الفوضى والضجيج المكان ، فنظر اليهم الصقر قليلآ ثم ذهب إلى اعلى شجره أمام نافذه الحجرة .وقف الصقر على احد فروع الأشجار فجاءت بجواره بومة من طيور البوم ضخمة الحجم ذات خصلتين من الريش تشبهان القرون قرب أذنيها ، وذات عيون برتقالية اللون، و جلست بجواره في صمت بعض الوقت ثم تبادلت ألبومه والصقر النظرات بينهم وبين الأسرة خلف النافذة الزجاجية فجذب انتباهه ذلك المنظر و ايقن أن هناك حديث دائر بين البومة وبين الصقر بلغة ما لا يعلمها احد . استمر ذلك الوضع بين البومة والصقر بعض الوقت ثم طارت البومة تاركه خلفها الصقر جالسا في مكانة على فرع الشجرة بالقرب من النافذة ... نافذه يوسف ....

ثم عاد مره أخرى وترك غصن ألشجرة وجلس بجوار النافذة وحدث شيء قد خشي منة الجميع ....

اقترب الصقر من النافذ وانطلق من رأسه شعاع ذهبي اللون اخذ يتلألأ حتى زجاج النافذة المغلق، فوصل إلى رأس الصبي ألنائم فدار حوله في هدوء بعض اللحظات، وإذا بالصبي ينتفض في فراشة وفريدة تصرخ خوفآ على صغيرها،

خشيه أن يحدث كما حدث لهم بالأمس، وأصاب الفزع الجميع إلا الدكتور عزمي والدكتور ميلاد الذين نظرا بعضهما لبعض بارتياح إلى ما يحدث فقد كانوا يعلموا أن ذلك الصقر ما هو إلا "الكاهن الحكيم "، أما البومة فكانت الملكة التي قد أعطته الأمر باستعمال قواه السحرية؛ لا زاله السحر الذي أصاب ذلك الصبي، وأفاق يوسف من سباته واخذ ينظر للجميع في رهبة جاهلا أحداث ليلة أمس، ولم يخبره أحد بما حدث أيضا.

ونظروا إلى النافذ فاذا بالصقر قد اختفى تماماً...

تهلل وجه فريدة واحتضنت صغيرها في لهفة وحنان فأشفق أخيها لقلبها المفطور. وربت على يد أخته في حنان قائلا: لا باس وهو يعلم جيدا أن تلك ليس النهاية–نهاية الصراع مع الأمير وجنود الظلام. وأن لم يستطع البوح بذلك، وأن يثير مخاوفهم أكثر من ذلك.

فقال الدكتور ميلا د موجهها حديثه إلى الدكتور عزمي ... إذا فهو سحر بسحر،

قال نعم، وربت على يد جاجان ليلحق بهم، بينما يتقدم هو وميلاد نحو الباب تاركا فريدة وصغيرها فجلست بجوارها ابنتها وبنت أخيها.

انطلق ثلاثتهم إلى داخل المكتبة، فمازالت المخطوطات متناثر هنا وهناك الخاصة بتلك الأسطورة والكارثة التي حلت بهم،

وجلسوا حول المنضدة التي تناثر عليها المخطوطات، والكتب، والأوراق البيضاء، وأقلام بألوان مختلفة، كما كان يوجد أيضآ جهاز لاب توب ولكنة أصبح معطل ككل الآلات والأجهزة إلكترونية المتواجدة بالفيلا منذ أن أحاطها الظلام وأصبحوا سجناء بها ...

وهبت بعض النسيم عبر الشرفة المطلة على الحديقة التي بدت سمائها صافية. بدا كل شيء كما هو داخل الفيلا وحديقتها يطوق المكان الهدوء والصمت القاتل كما يطوق الظلام أسوار الفيلا، نظر عوني لابن أخيه شاردا وقد هاجمت الأفكار السوداء رأسه واخذ يتساءل في صمت. ماذا لو لم يستطع حماية الفتى من ذلك الأمير وهذا الصراع؟ ترى ماذا سيكون مصيره؟ هل سيكون كما أخبرهما كبير القبيلة الأفريقي؟ كلما تذكر ذلك اطرق برأسه إلى أسفل وسبح في جب عميق من اليأس وملأ الحزن عينية.

بينما هو في شروده وأوجاعه، إذا بصوت هامس يحدثه داخل أذنيه. يحدثه هو فقط. كما حدث من قبل. كأن صاحب الصوت قد قراء أفكاره منذ قليل. فاخذ يتلفت يمينا ويسارا، باحثا عن صاحب الصوت فلم يجد بجواره إلا جاجان وصديقه اللذين انهمكا في قرأه المخطوطات أمامهما ولم ينتبهوا لما هو فيه من شرود.

تراجع قليلا للخلف ظنا أن ما سمعه هو أوهام عقله إثر تلك الأحداث الكثيرة التي مرت بهم ... ولكن. عاد الصوت مرة أخرى ليملأ سمعه. قائلا: اتبع التعليمات ينجو الفتى !،

وعاد الصـوت يكرر الكلمات أكثر من مرة ... فاتسـعت عيناه في ذهول، فاخذ يردد دون وعى ... ممسـك بحافه المنضـدة كيف؟ كيف؟ ومـا هي التعليمـات؟ مـا هي التعليمـات؟ ولكن الصوت قد اختفى ...

انتبه ميلاد وجاجان لذلك وما يقوله الدكتور عوني ....

فبادره ميلاد بالسؤال – أهناك اتصال أخر

نظر عوني لصديقه قائلا – بلهفه نعم نعم

ولكن لا أعرف إلى الأن من يكون صـاحبة؟ وماذا يقصـد بما قالـه؟ ومـا هي تلك التعليمات؟ قال ميلاد: إذآ فلنســـرع في مراجعة ما قمنا بدراسـته وتدوينه من قبل؛ عسـى أن نجد شـيئآ فقد مضـى على الأبحاث عشـرات السـنوات ولم نتوقع يوم أننا سنلجأ اليها مرة أخرى.

ولم يكن يعرف الاثنين أن في هذه اللحظات الحالية تقام تجمعات ومداولات من اجل اللقاء .... !!

لقاء الملكة وابنها الهارب، والذي تعاون مع الظلام ســـلم نفسه لمن هو أدني منه شأنا

ولم يعلم أحدآ أن في تلك اللحظة الحالية تعد لهم خطه خبيثة يقوم بوضـــعها الأمير الهارب مســـتعينا بجنود ملك الظلام ...فهل أنتهى الأمر بنجاة يوسـف من الأمير الشـرير وأعوانه؟ وهل انتهى الأمر بفك الســـحر من قبل الصـــقر أو الكاهن الحكيم؟

لم ينته الأمر بعد. فلم يكن صـــراع الأمير ألهارب بينه وبينهم بل كان بينه وبين الملكة أولآ: صـراع من أجل، فكثيرآ

ما خضـع لأمرها دون نقاش منذ طفولته ... أما الأن لم تكن المعركة أزاله السحر الذي القاه على الصبي الصغير، فادخله في نوم عميق في محاولة لتهديد ألاسره حتى تتم أزاله السحر عنه أيضـــآ وينال حريته، واســـتعمال التعويذة الملتفة حول معصـم ألفتي، ولكن كان هناك أمرآ أخر أمر يتعلق بالملكة. كان يرى الحديقة قد امتلأت بجند من جنود الملكة من طائر البوم المراقب للبيت والأســـرة ... فأيضـــا هناك الظلام وقد وضـع جنوده تحت أمره الأمير الهارب في كل حين، ولم يكن ذلك دون مقابل، وان كان سـيدفع عندما ينتصـر على الملكة كما اتفقا سـابقآ ...ولكن هل يعلم أمير الشـعوب ما هو الثمن الذي سيقوم بدفعه مقابل التعاون مع الظلام؟

كانت حديقة المنزل تمتلئ بجنود الملكة كما كانت محاطة بالظلام وجنوده... ولم تنته المعركة بعد ... فقد دارت رحاياها الأن ...

****

اتجهت عيني ميلاد نحو صـديقه الذي ألشـارد غير منتبها لهم فدفع إليه بمخطوطة كانت أمامه فانتبه قليلآ، وتناولها وأعاد النظر فيها مرة أخرى فأثاره شـيء بها لم ينتبه له من قبل فنظر اليه بتوتره ثم أخذ مخطوط أخرى كـانـت بـالقرب منـه، ونظر فيهـا هي الأخرى ثم دفع رأسه إلى أسفل ناظرا على الأشكال والرسومات وأخذ يضـع بعض العلامات بالقلم الرصـاص حولها، ثم هب واقفا سـحب من خلفه دفتر تدوين الملاحظات، ثم نـاول الدفتر لميلاد قائلا أتعلم هذا؟ قال: نعم، دفتر الملاحظات حين كنا بالكهف. تدوين بداية العمل على تلك الأسـطورة فقال متحمسـا: وقد اكتشـف شـيئآ هام

فانظر هنا إلى الرســـومات ا في المخطوطة الأولى فنظر ميلاد وقد أثاره ذلك أيضـــا ثم ناوله المخطوطة الأخرى وقال ثم انظر لتلك العلامات أيضـــا، ثم دع المخطوطات جانبا والتقط دفتر الملاحظات قائلا لصديقه: هنا بعض الملاحظات التي تم تدوينها من العجوز الأفريقي، وأفراد البعثة الذي لم يتبق منهم غير عدد قليل هم من نتواصل معهم أحياناً. نظر ميلاد وقد أصابه الإهتمام ثم ابتســـم وقال: أخيرا قد وجدنا أول دليل يمكننا أن نتتبعه في محاوله لوقف ذلك المعتدى، كنا قد نســـينا تلك الملاحظات منذ سنوات طويلة قال عوني: نعم فلم أحصى عدد السنوات الماضية ونظر لجاجان وقال: كنت أحصـى فقط عدد السـنوات الباقية ... لم أتوقع أبداً أن أحداث الكارثة ســـتكون في أخر شـــهور المدة الباقية ... لم أتوقع نهاية الأمر ستكون هكذا.

اطرق جاجان إلى أسـفل واخذ يعتذر لما تسـبب فيه حيث تبع فضــوله في معرفة ســر الحجرة ألممنوعة دون الرجوع ألي أهل العلم وســؤال عمة، وتجاهل ميلاد اعتذار جاجان كما لم يعقب على حديث صديقة فقال: لم يستطع ذلك الأمير منذ عقود على فعل ما فعله لا بمساعد ملك الظلام ...

رد علية جاجان متســـائلا ومن ملك الظلام هذا؟ أجابه عمه سـوف تعلم عندما أكمل لكم باقي أحداث الأسـطورة كما قصـها علينا ألعجوز الأفريقي، والآن دعنا ننظر في دفتر الملاحظات والمخطوطـات – انظر يـاميلاد –اترى كـل رموز المخطوطـة! هي تماماً مثل الرموز التي في دفتر ملاحظات الرحلة البحثية للكهف ترمز إلى شـــيء واحد فقط وهو. ولم يســطع أن ينطق باقي الجملة عندما وصـــل لذلك الاســـتنتاج فقد قامت فجأة عاصـفه شـديد اجتاحت كل الأوراق الموضـوعة على الطاولة،

لتطير بها في الهواء إلى أعلى سـقف الغرفة في دوامه أشـبه بدوامات البحر، أو دوامات الأعاصـير الكبرى، عاصـفة رهيبة وفى منتهى العنف طار معها كل شـيء حولهم في الهواء ثم يهوى مرة أخرى ألي أرض الحجرة في قوه غاشـمة. فالتصـق ثلاثتهم معا وقد تمسكوا بالطاولة أمامهم آثر ذلك العاصفة التي جعلت ملابسهم تكاد تتطاير من فوقهم، واستمر الأمر لحظات بدت كأنها سـاعات طويلة، اختلط فيها كل شـيء، تناثرت المخطوطات والأوراق في كل مكان، وتناثرت حولها كثير من الكتب من فوق الارفف كان الوضـع في منتهى الفوضـى. ثم انطلقت ضـحكه سـاخرة، وشـريرة، انطلقت ثم سـكنت وسـكن بعدها كل شـيء تماماً. نظرا الجميع إلى حالة الفوضـى التي عمت الغرفة، ولم يعلق أي منهم على ذلك، فكانوا يعلمون جيداً أن الحرب قد بدت بين الجميع ولم يعودوا وحدهم بهذا المكان منذ أيام مضـت وألى أن تنتهي هذه الأحداث. وعم المكان السـكون بعض ألوقت ثم حاولوا أعاده ترتيب المكان وجمع الأوراق والمخطوطات إلى أماكنها مرة أخرى ثم قال: ميلاد ما حدث ألان يثبت أننا على الطريق الصـحيح من البحث. قال: عوني نعم، وسيقوم هو وجنوده بمحاولة تدمير تلك المخطوطات حتى يختفي ذلك السـر ألذى عثرنا عليه، ذلك الشـيء الرهيب والسـلاح الخطير ... ثم تنهد قائلاً نعيد المكان والأوراق أولا ثم نكمل، فقد أضـاعت تلك الفوضـى كثيراً من ألوقت كنا في أمس الحاجة اليها.

****

مضـت أكثر من سـاعة لإعادة ترتيب المكتبة لتعود كما كانت وأحسوا التعب والملل من ذلك الصـراع الرهيب فجلس كل منهما

على كرســـي ثم تناول الدكتور ميلاد منديلا ورقيا من عبوه المناديل الموضوعة بأحد الأركان فأخذ يجفف عرقة ألذى أنتشر فوق جبهته وأســفل انفه. ثم تناول كوب من الماء وشــربة مره واحده وأسدل رأسه إلى الخلف وقد أنهكه التعب. وكذلك جاجان وميلاد فاستسلموا جميعآ ألي بعض الراحة وساد بينهم الصمت.

كانت الحديقة باتت تكتســـي بالظلال الرمادية، معلنة دخول الليل الذي بدأ ظاهرا من خلال النافذة فعبر الدكتور عوني الغرفة ليزيح الستائر الملونة والمزينة برسوم رائعة مبهجة، وبدأ يفتح النوافذ الزجاجية ليدخل هواء الليل ألعليل إلى الغرفة. ثم أطلق عينيه في ذلك فضاء الحديقة الشاسع والتي أوشكت أن تكتســي بظلمه الليل، وتكتســى معها الدنيا بالهدوء. فكثيرا ما كان الليل يعيد لنفسه الهدوء والسكينة حيث كان يحب الجلوس في ذلك ألوقت بجانب حمام السباحة هناك حيث أشــجار الفل والياسمين تتناثر في بهجة على سياج الحديقة بالقرب من مكانة ألمفضل فينتشر عطرها ألخلاب المبهج، ليسعد النفس الشجية ثم تنهد في أســى، وقال: كان ذلك منذ أيام قليلة، واليوم تغير كل شــيء، لم يعد الليل يأتي بالهدوء ورائحة الزهور ألخلابة بل أصـــبح قدوم الليل يأتي بطيور البوم ألتي أحتلت الأشـــجار والأغصان وكل جزء من الحديقة، ولم يعد الليل إلا موعدا مع ذلك الكابوس الأسود الثقيل الذى قضى على كل بهجه في ذلك المكان ،ولم يعد لليل سوى ساعات من التوتر والوقوف على شـــفرة القلق والخوف ,انتظار ألمجهول ، كان ذلك في حد ذاته يثير الهواجس ويلغى أي نظرة قد ترى أي لمســـة من الجمال ،أما اليوم فكان هو الأســـوأ فلم يعد قدوم الليل فقط ما يثير مخاوفهم بل اصبح النهار كذلك منذ سيطر ذلك المخلوق على

كل مكان ، وسجنهم داخل أسوار البيت الذى اصبح يحيطه جنود ملك الظلام ، وأصبح المكان مسرحا لأسوأ كوابيس حياتهم كلها .

كانت الأزهار تتمايل مع نسمات الليل فتنشر عطرها الذكي في كل مكان كما انتشرت رائحة الطمى المبلل التي امتزجت مع رائحة فروع الأشجار، وأخذت نسمات الليل الرقيقة تداعب الزهور وأوراق الأشجار وكأن ألجمال يصرخ ويقول: مازال لي مكان ومازال هناك وقت للتمتع بالبهجة، حتى في تلك الأحداث الجارية، وأن أشتد الليل ظلاماً فهناك الفجر ألقريب. والتفت خلفه ليلمح بركن عينه علامات الإجهاد التي قد علت وجه صديقه ووجه جاجان الذي أخذ يرتجف، في صمت فقال بصوت لا يقل تعبا عنهما. يكفي ذلك اليوم فقد نال التعب منا جميعا ....

وانطلقوا إلى الحديقة حيث مكانهم المفضل بجوار حمام السباحة وأزهار الفل والياسمين وقد بدد ضوء القمر بعض ظلمة الليل، فأخذوا يتناولون أكواب الشاي الساخن وبعض الشطائر التي أعدتها ألخادمة سريعاً، ولم تمض دقائق قليلة حتى اجتمعت ألاسره معهم، ولكن لم تكن جلستهم اليوم كسابق عهدها، حيث ألفرح والضحك واللهو يملأ المكان، أما أليوم فتغير كل شيء وأصبح الترقب يملأ العيون ألخائفة، وساد صمت عميق بينهم إلا من بعض الهمسات بين يوسف ورضوى وسارة. أخذت عيونهم تنظر وتتابع طيور البوم الغريبة الشكل، فذلك البوم الضخمة ذات الخصلتين من الريش تشبهان القرون قُرْبَ أذنيها وذات عيون برتقالية اللون، أما ريشها فقد كان قريبا لريش الصقور وهناك ألبيضاء والسوداء أيضاً كان المنظر غريباً حقاً

وكأنها جنود في مواقع مختلفة كلآ حســـب رتبته ألوظيفية! وقد ملأت المكان حول فرع الأشـــجار ونوافذ البيت فأثار ذلك في نفوسهم الخوف ...وعادت همسات الرعب فيما بينهم و انضمت اليهم فريده في مخاوفها ، وأخذ ميلاد يهدئ من روعهم وبث الطمأنينة فيما بينهم شـيئآ فشـيئآ ، أما فريدة فقد كانت تخشـى على أبنائها وأبناء أبن أخيها ولم تنسـى بعد ما حدث ليوسـف ، ولم يكتفى ميلاد على طمئناتهم فقال : أن الطيور ألتي اختارتها الملكة لها أســـباب كثيرة ، أولها أن البومة هي ملكة الطيران الليلى بين الطيور ، كما أن أجنحتها لا تحدث صـــوتاً أثناء الطيران ، كما أنها جنود الملكة الخواص تقوم فقط لخدمتها ألشخصية ، وقد أوكلتها حراسة المكان أثناء الليل إلى أن يشرق الصـــباح ، ولا يكمن الخطر في طيور البوم المنتشـــرة بالمكان بل الخطر الحقيقي كان وراء أســـوار البيت ، ووراء جزوع الأشـجار حيث تلك العيون الحمراء التي ظلت تترقب وتصـغى في اهتمام من بعيد لحديث الأســرة ، و كشــر ووجهه ألمخيف عن أنيابه الحديدية اللامعة فكانت تبرق بوميض في هذا الظلام ألدامس المنتشر بكل مكان .

اخذ يوسـف يختبئ بحضـن امه ويدس راسـة في صـدرها فقد كان هذا المكان هو ألحصـــن والأمان للصـــغير ألخائف، لفت فريدة جسـد صـغيرها بحنان وأخذت تربت على رأسـه وتقبله في وامتدت يداها تداعب خصـــلات شـــعرة التي امتد بعضـــها فوق جبينه فأدخلت السكينة على نفسه فاستسلم لها في صمت هدوء، ثم أخذت عيناه تتنقل بين أفراد الأسـرة فشـاهد بعضـــهم يهمس وآخر يتكلم في أحاديث جانبية فيما بينهم، لم يجمعهم حوار على موضـوع مشـترك بينهم. فكانت رضـوى وجاجان يهمسـان سـويا،

وأخذت سارة تتحدث مع عمتها، كما كان الدكتور عوني وصديقه يشتركان في حديث أخر.

كانت فناجين الشاي وأطباق الشطائر هي القاسم المشترك بينهم، كانت عينية تتنقل بين أفراد الأسـرة ولكنها ظلت مثبتتين في كثيرآ من ألوقت على وجه جاجان، وأنتبه ألفتي لذلك الأمر، فعاد يوسف يحدق في وجه ابن خاله، كانت عينيه بها شيء مخيف مملؤة حقدآ وغلآ ثم ازداد الأمر ليملأ وجهه أيضـآ الحقد والغل، وأصـبح واضـحا ولم ينتبه أحد له، وفجأة هب واقفآ وتخلص من يدي أمه، وانطلق يلهو بالحديقة فأخذ يقطف أزهارها ثم أنطلق ثم عاد يدهسـها بقدميه في عدوانية وشراسة. أخذ يتحرك في كل اتجاه بطريقة غريبه كمن يدفع لعمل ذلك ثم أخذ ينظر في كل أتجاه، فكان ينظر أعلى الأشـجار تارة حيث طيور البوم الواقفة تترقب في صـمت وهدوء، وتتابع حركات وأفعال الصـبي ألغريبة. ثم أبتعد شـيئآ فشـيئا حتى اقترب تمامآ من أسـوار الحديقة حيث سـياج أزهار الفل والياسـمين ، وأخذ يحدق في الظلام المنتشر خلف الأسوار دون رهبة أو خوف ، مما أثار ذلك أمه فاطلقت صـرخة فزع مدوية أنتبه لها الجميع ، وأسـرعت تجرى نحوه فقامت بجذبة بشـدة ، فنهرته فنظر الصـبى إليها متعجبا وأخذ يتوسـل أليها أن تتركه هنا بعض الوقت ... ولكنها جذبته فمازال الخطر وملك الظلام يحيط بجنوده المكان ، وأصـطحب يوسـف حيث مجلسـهم ولم تدعه يلعب مره أخرى بعيدآ عنها ، وتسـألوا في دهشـة عما قام به ألصـغير، حيث كان منذ لحظات قليلة ممسـك بأمة وملتصـق بها في رهبة وخوف ، أما الأن فقد تلاشـت من نفسـه كل علامات الخوف .. فلماذا؟ تجاهل الصـبي كل الأسـئلة التي طرحها أفراد أسـرته ولماذا انطلق هكذا؟ ولماذا ذهب إلى سـور البيت؟ وهل انتهيت مخاوفك؟ وارتفعت

الهمسات فيما بينهم، ولكن لم يعيرهم الصبي اهتمام لما يطرحون من أسئلة! وانشغل في مراقبة ضوء القمر،

ولمعان النجوم أعلى السماء ثم أخذ يحدق مره أخرى بعيدا في ذلك الظلام الذي يحيط أســـوار المكان من الخارج، ثم اخذ ينظر لوجوه أسرته كلآ على حدة في تفحص على غير عادته فرأى: سارة وفريده تتحدثان معآ وجاجان ورضوى يتحدثان بصوت هادئ هامس حتى لا يســـمع أحد حديثهما، ولو كانت الأحداث ما علية ألان لنطقوا بالحديقة وحدهما بعيدآ عن الجميع.

كما كان لعوني وصـــديقه حديثا آخر وان كان حديثهما أكثر وضـــوحا من كل الأحاديث الأخرى الجارية حولهم فقد يدور حول الأحداث الحالية، بجانب عينه لمح جاجان فجأة عيون ألصـــغير تحدق فيه مره أخرى بنظرات غريبة ارتجف منها جســـده فقد كانت عيون يوســـف تحمل كثيرا من الغل والحقد لابن خاله، ولكن لم يهتم كثيرآ وانهمك في حديثه مرة أخرى مع رضـــوى، ولم تمض دقائق معدودة إلا وقد وثب يوسف نحو يد جاجان المربوطة بالشريط الطبي وسـريعا فك وثاقها وسـط دهشـتهم وتوقف عقل جاجان لحظات فيما يحدث وتعالت الحروف حول معصـمه وارتفعت معها صـيحات الفزع من ذلك القادم المنتظر فقد أضـاءت الحروف والطلاسـم في انتظار أميرها !!

****

تلألأت حروف المخطوطة بأضـــوائها الذهبية فارتفعت قليلآ اعلى معصـم جاجان ثم أخذت تدور حوله في بطئ، ثم أخذت في التوهج

قليلاً و ازداد بريقها شـــيئاً فشـــيئاً ، وأنطلقت طيور البوم المنتشـــر بالمكان وأحاط جاجان حتى أختفى بداخلها محاوله حجب أضـواءها وعزل حروفها وطلاســمها من المضـــي قدما في الارتفاع بعيد أعلى معصــم الفتى ومنع انتشــارها اكثر ... وأصــاب الذعر العائلة، إلا يوســف لم يبدو عليه أثرا لخوف مما أصـــابهم جميعا ومما فعل، و كان خوفه فقط من طيور البوم ، فحين هبطت من أعلى الأشـــجار توارى مســـرعآ خلف المقاعد بعيدآ عن الأنظار وبعيدا عن عيون ألبوم وبخاصة تلك البومة الكبيرة ،ولم يلمح منهم الأمر فقد انشغلوا لغطاء معصــم جاجان من جديد وبأقصـــى سـرعة ممكنة ، فأسـرع الدكتور عوني بسـحب مفرش المنضـدة حتى قذف ما فوقها بعيدا ، وشق تجمعات طائر البوم حول الفتى وقام بلف المفرش حول معصم جاجان ســريعآ فحجب الحروف والطلاســم المضــيئة للتواري من جديد في الظلام بعيدآ عن النور، وهنا ذهبت طيور البوم مرة أخرى ألي أماكنها أعلى الأشـــجار، وفور ذهاب طيور ألبوم بعيدآ عن المكان ، اســرع يوســف من خلف المقعد المختبئ خلفة فحاول فك المفرش مرة أخرى حول معصم جاجان، وكان كمن أصيب بمس من الجنون فأخذ يصـــرخ في الجميع اللذين حاولوا منعه فقام عده مرات في محاولة لفك الغطاء ولكن دون جدوى، مما جعل جاجان يقوم بدفعه أثر محاولته الأخيرة ليطرحه أرضا، واذا بعيون الصبى تتسع و انطلق منها بريق أحمر مثل شـــعاع النار مما أثار الهلع في نفوســهم مرة أخرى ،ومن قريب لمح عوني خصـــله شـــعر برأس يوسـف قد تحولت إلى اللون الأحمر الدموي فشـهق شـهقة سـمعها الجميع ، وارتمى على كرســيه فكاد أن يفقد وعيه ويغشـــى عليه من الصدمة

نظر يوســف في عيني عوني، وقد عرف كلا منهما الآخر، وتحول وجه الصــبي إلى تكشــيره بغيضــة المنظر عرف من صــاحبها كما

عرفته كل ألاسره أيضا. فأنتابهم حاله من الفزع وتعال صراخهم مرة أخرى، فلم يكن ذلك الوجه صاحب سوى ذلك المعتدى ألذى يطاردهم من الماضي ألسحيق، وقد سيطر على الصبي وتخفى بداخله بفضل قواه السحرية، وأقتربت طيور ألبوم مره أخرى فقد كشف أمره

فانطلق بعيدآ وفر هاربآ عن جسد الصبي الذي اغشى عليه فور هروبه، ثم نهض بعد ذلك دون أن يذكر شيء مما حدث.

وتوعد الأمير الهارب أفراد الآسرة بكثير من الإلام حتى يحصل على سر المخطوطة والعفو الملكي، فهل سيكتفى بما فعله مع الصغير أم مازال هناك المزيد ...؟

****

ارتفعت أشعه الشمس فامتدت خيوطها خلال الشرفة حتى اقتربت من مجلسهم بحجره الاستقبال بالطابق الأول معلنه بداية يوم جديد، تمنوا فيه ألا يرهقكم ذلك اليوم كما حدث بالأمس، أخذ الدكتور عوني رشفة من فنجان القهوة ثم قال:

لم تكتمل حكاية الأسطورة بعد ... فهناك المزيد يجب أن يعرفه الجميع حتى نعلم مع من نتعامل وحتى تمر تلك الأزمة بسلام. وأخذ يهمهم أتمنى ذلك.

قالها وقد التف حوله أفراد أسرته ومازلت علامات ألتعب والإرهاق واضحة عليهم مما حدث، فاستمعوا في ترقب وحزر فقال:

اندفع الكاهن العظيم وأمين سر المملكة في اتجاه ساحة العرش التي امتلأت بقادة البلاد يمتثلون أمام الملكة، فشق الصفوف مسرعآ حتى اقترب، وفي توتر طلب منها لقاءا سريا منفردا .... فأشارت الملكة فتم إخلاء ساحة العرش كما تم غلق الأبواب.

نظرت اليه وعلامات التوتر تملأ وجهه. فبادرت بالقول: أعلم أين كنت. كما تعلم أنى أثق فيك جيدآ وأنت تعلم ذلك فقبل أن تكون

حافظ السـر فانت أيضـا صـديق للأسـرة منذ الملك الأكبر أبى، وأختصك دون الغير وأوصاك بنا، وها أنت منذ ذلك الحين لم تكن وزيري ألمقرب فقط بل كنت المرشد الحكيم وأمين سر المملكة، فلا داعي للتوتر وهات ما عندك، كلى آذان صاغية.

بدا الأمر صعبا عليه ولكن تمالك نفسه فقال: أعلم يا مولاتي أنى، فقالت في دهشة:

منذ وفاة والدي الملك الأكبر لم تقل لي مولاتي إلا مرتين الأولى: عند أعلامي خبر وفاة ولدى، والثانية: عند خيانة زوجي !! فهل هناك فاجعة أخرى؟ كي تنقل إلى خبر بتلك الجدية والرسـمية – ابتعد قائلا وقال نعم يا مولاتي – فقالت: إذا الأمر يتعلق بأمن البلاد، أو أحد الأبناء.

فقال نعم: فقالت في توتر: هات ما عندك أيها الكاهن الحكيم، فقال: الأمير الصغير–أمير الشعوب –هو من أحدث الفوضى في البلاد لقد اسـتعمل قوة السـحر. و..ل ... ق .... د .... سـكنه الظلام .... شـهقت الملكة رعبا وهلعا وأخذت تصـرح في وجهه الكاهن الحكيم كيف حدث ذلك؟ فقال لقد امتلأ قلبه بالحقد الأسـود من أخيه؛ ظنا أنه المفضـل لدى الملكة الأم، ولذلك عهدت ألية أدارة الأمور العظمى بالمملكة دون أن يشـاركه في ذلك. كما كان يعاقب بدون أقل الأمور. وقد حاولت كثيرآ مناقشة هذا الأمر معك يامولاتى، وأنه لا يقل ذكاء عن أخية ولكنك لم تهتمي بهذا الأمر ثم افتعل ألمشـكلات الصـغيرة ليرى هل سـتتعاملين معه مثل أخية في عرضـها وحلها، فلم ألا العقاب ألشـديد والتوبيخ دون نقاشـة في ألآمر أو لماذا فعلة كما تفعلين مع الأمير الأكبر!

فكان يراك عونا ودعما لأخيه أما هو فغير ذلك فلم يلقى يوم عونا او دعما منك!

فقالت في ثوره عارمة: من ألغضــب ألشــديد للكاهن الحكيم، وهل قمت بذلك؟ هل أنا فعلت ذلك؟ قال الكاهن _ يا مولاتي في مرحلة الطفولة، وهي مرحلة التعليم الأولى والهامة في حياة الأبناء بتلك ألمرحلة يامولاتى تكون ألام هي المدرسة الأولى والمعلم ألعظيم في حياة ألصـــغير ولكنك كنتي له الملكة فقط وليس الأم ألذى أفتقد أرشـــداها وحنانها، فقد كان اهتمامك ألوحيد بأكبرهم عمرا فقط، ولم ينتهي الأمر عند ذلك فعندما تولى الأبناء أدارة البلاد اخذ الأمير الأكبر الجانب الأهم من الإدارة أيضـــا دون توضـــيح للأخر لماذا فعلت ذلك؟

فقالت بغضـــــب: تعلم لماذا أيها ألكاهن فالأكبر هو يتولى الجزء الأهم في الإدارة وهي إدارة الجيوش، وهذا المتبع في قوانين البلاد! فقال: ولكن هناك بعض المهام من المفترض أنها مشـــاركة بينهما في القيادة ولم يحدث ذلك! وعندما حدث ذلك الأمر أســـتدعى الأمير ذكريات طفولته فاخذ يقارن بينه وبين أخيه منذ ذلك الحين من حظه في قلب أمه وحبها، وكثيرا ما كان يتم تعنيفه وكثيرا ما كان يتم التغاضـــي على مثل الفعل لأخيه، وبعد ارتداء التيجان وتوليهما شـــئون ألحكم لم تتغير طريقة ألتعامل معهما فكان يتم مناقشه الأمير الأكبر في اجتماع مغلق بينك وبينة لم يعلم أحد أن كانت هناك توجيهات أو سلبيات لدية ، أما هو فلم يحدث أن قمتي بذات الأمر معه ، و كانت التوجهات على مرأى من الوزراء، كما كانت ألسلبيات هي فقط من تناقش ،أما الإيجابيات التي يقوم بها فلم ينال أي ثناء عليها يومياً ما . فلم يرى ألا إجحاف لحقوقه دون أدراك؟ وقد قمت سابقا بمحاولة لفت أنتباهك لهذا الشيء كثير

فقد أجتهد كثيراً لإدارة شـئون ألشـعوب بطريقه ناجحة ومميزة لكنة لم يلق ثناء على النجاح في عملة. حتى أعتقد ا، عملة بلا قيمه وبلا هدف.

، فاختلط علية الأمر وفقد جزء كبيرا من تماسكه النفسي إثر ذلك، فبجانب نشـأه الجافه الخالية من عطفه الأم وما يراه ألان من تميز أخيـه، رأى ذلـك طعن في حقوقـه العـاطفيـة والملكيـة، وأن كـان اهتمامـه الأول هو مكانته في قلب امة وحبها ورعايتها، فكان يرى أخيه الأكبر قد اسـتولى على حقه في قلب الأم كما اسـتولى على حقة في أدارة بعض الشـــئون ...وهنا نســـى برتوكول الحكم وأداره القصر وحاول اخذ حقه المسلوب من الاهتمام والرعاية والإدارة.

اعلم انى قلت تلك الأمور من قبل، ولكن الأمر الأن ليس بيدي الأمير الصغير فقط .... فقد تملكه الظلام.

وتحولت خصـــلاته الذهبية التي تنير الطريق بالخير وتزرع النماء أين ذهب إلى خصـــلات حمراء تقطر دماء... لقد تملكه الظلام ومع تلك القوى الســـحرية التي ورثها منك ... لا يمكن الآن تتبع تحركاته أو معرفه ما سيفعل لاحقآ...لقد خرج عن السيطرة ... ولا يستطيع تتبعه منفردا رغم قوانا السحرية العظيمة ... فقد أمدة ملك الظلام بكثير من الحيل، أمور ألتخفى...

كانت الملكة شـــديده الدهاء متقدة العقل وإن كانت قليلة العاطفة. صـمتت بعض الوقت ثم قالت للكاهن سـأسـتدعى الأمير الصـغير إلى سـاحة العرش للنظر فيما تقول، ولكن قبل ذلك سـيكون هناك اجتمـاع ثلاثي أنـا وأمير الجيوش وأنـت اليهـا الكـاهن الحكيم _ نفد ما قلت ونتقابل ثلاثتنا في ساحة العرش.

ثم صـــمت كبير القبيلة الأفريقي قليلا وســـبح بنظره في الفضـــاء وتنهد شـــاردا ثم قال: أســطورة تتكرر في كل العصــور منذ القدم، أسطورة زهور الحب الذي يموت بأيدي من نحب.

****

اســتبد الحقد بأمير الشــعوب فتبدلت خصــلات شــعره الذهبية دليل الخير والنماء إلى خصـلات حمراء تقطر دماء دليل الشر والكراهية كانت خصـلات شعره تبوح بمكنون قلبه من خيرا أو شرا، كانوا فقط حكام المملكة ومن يتولون ســـلطة البلاد، الملكة الأم والأميرين والكاهن الحكيم هم فقط من يتمتعون بخصـلات الشعر الذهبية دون غيرها من أفراد الشـــعب. فلم يكونوا فقط قائمين على الحكم، ولكن أيضا حماة الاتجاهات الأربع للمملكة بفعل ما يتمتعون به من قوى ســحرية عظيمة فقط دون أهل المملكة أيضــآ. فقد كان يمتلك القوة الســـحرية كل حكام الممالك فقط والقائمين على ألحكم بها في ذلك الوقت. وكانوا هم أشـدهم قوه وأشـدهم سـحرا فكانت مملكة الشـمس اقوى الممالك المحيطة بها، وبفضـــل قواهم الأربعة معا، وبفضـــل المعدن النفيس الذي يوجد لديهم فقط أمدهم ذلك بالسطوة والتميز.

****

إذا انطفاء نورك الداخلي وقادتك الظلمات إلى الأعماق هنا ســيكف الزمن عن ملاحقتك وعن تعاســتك، ولن يكون من الضــروري أن تختبئ في ثنـايـا المكـان فلن تســـتطيع الحيـاة أن تمـارس رعبهـا وتجعلك تطلق صــرخات الخوف لأنك قد أصــبحت أنت الخوف، وان التعاسـة للجميع، وهكذا أصـبح الأمير الصـغير مصـدر تعاسـة للجميع.

انتظرت الملكة على كرســـي العرش وانتظر بجوارها كلا من ابنها أمير الجيوش وأيضــا الكاهن الحكيم ... وقد خلت ســاحة العرش من الجميع إلا ثلاثتهم في انتظار أمير الشعوب.

انتظروا كثيرآ من الوقت وأخذ التوتر يصيب الملكة، فقامت باستدعاء أحد جندها السريين من طيور البوم، الذي لا يعلم عنهم أحدآ شيئآ سوى ثلاثتهم أيضآ وأمير ألشعوب، فانطلق الطائر بالأوامر الملكية خارج قاعه العرش من أحد نوافذ القصــر المفتوحة على الفضــاء الخارجي ثم عاد ســريعا وجلس في صــمت تام على أحد النوافذ وأخذ يحدق ببصــره إلى الباب الرئيســي لســاحة العرش والبلاط الملكي. وألى ألان لم يأت أيضا أمير الشعوب وهنا صاحت الملكة وأعطت أوامرها لأمير الجيوش أن يستدعيه ويحضره بصفة رسميه فورا ....

لم تنهى الملكة أوامرها إلا وانطلقت ضــحكة ســاخرة مجلجلة اهتزت لها قاعة العرش، وأخذ الثلاثة يبحثون بأعينهم يميناً وشــمالا عن صــاحب الضــحكة الســاخرة ومن يجرؤا على ذلك؟ ... هنا ظهرت هالة عظيمة من النار الحمراء، والتي أختلط فيها اللهيب البرتقالي والأسود معآ، كان بها كرسي كبير الحجم اسود اللون على جوانبه عشــرات من رؤوس الأفاعي التي أخذت تتحرك حول الكرســي وحول صــاحبها وســط دائرة النار ... ثم تقدمت هاله النار نحو كرســي العرش الملكي فكان مباشــرآ أمام الملكة فانزلها أميرا لشــعوب بإشــارة من أصــبعيه، ثم قام من مقعده وتقدم في اتجاه الملكة في تحدى وقسوة، وأصــابت الدهشــة الجميع ... انتظرت الملكة قليلا كي تسترد قوتها واتزانها مرة أخرى ثم قالت:

أرى أنك قد أفرطت في استعمال قوتك السحرية.

- رد ساخرا – ولما لا؟ أهناك سبب يمنع ذلك؟

- ولكن قوتك جزء من قوانا التي تتحكم في الجهات الأربع لحماية المملكة.
- رد عليها في قوة وأكثر سخريه وقال من يدير المملكة عليه حمايتها ثم نظر بحقد إلى أخيه، وقال من يقوم بحماية المعدن النفيس يحمى المملكة أليس كذلك؟
- ولكن المعدن النفيس جزء من حماية المملكة أيضا، ونحن أعظم ممالك الأرض بفضل اتحاد قوانا السحرية ألا تعلم ذلك؟
- فقال ساخراً وهل أنا حقاً جزء هام من قواكم ياامى؟ لا يهم أن فقدتم جزء من قواكم السحرية فمازال هناك ثلاثة أجزاء
- استشاطت الملكة غيظا من حديث ابنها وقالت: إلا تعلم أن هناك قانون يحرم استخدام قوانا السحرية إلا في حماية شئون المملكة ولكنك تستغلها في نشر الخوف والرعب بين الرعية ... فلماذا؟
- وأجابها ومازال نبرات صوته تحمل ألكثير من ألسخرية والكراهية فقط يا مولاتي أقوم بعملي كما تعلمين جيدا أنى غير مقصر في أداء ذلك العمل ألهين، وأجد كثيراً من فراغ الوقت فأقوم بالترويح عن نفسي قليلاً فليس منشغلا بكثير من الأعمال، كما أنى مبعد عن ألمشاركة في أمور القصر أو قرارته ثم جلس على كرسيه مرة أخرى متحديا الملكة، وقام بسؤالها فلما استدعائي ألي هنا؟
- أجابت الملكة في ضيق بسبب استعمالك للسحر في غير موضعه، وثانيا: هيئتك التي تغيرت وألت لما أنت عليه الآن ... وكي أعلم ما الأسباب التي دفعتك لذلك ....، أطلق ضحكة ساخراً قبل أن يقول أمير الجيوش محاولا تهدئة أخيه أن كان هناك ما يقلقك سأقوم بعقابه أشد عقابا .... وبدت في عينية نظره غريبة ومريبة بعض الشيء.

وهنا ضحك أمير الشعوب ضحكات هستيرية متواصلة مثل الذي أصابه مس من الجنون. ورد قائلا وقد نظر إلى الملكة نظره

تملأها الكراهية والحقد – أحقا ما تقول – أيمكن أن تعاقب أي شخص قد أساء إلى ؟!! وتعالت ضحكاته الساخرة مره أخرى لتملأ أركان المكان فأخذت الملكة تختلس النظرات اليه كما كان الكاهن الحكيم يفعل ذلك أيضـــآ الذي قال: نعم يامولاى، ولكن هل هناك من يجرؤ على الإساءة إلى مولاي أمير ألشعوب ؟!

فرد علية بصـوت أشـبه إلى الهمس وقد أطرق رأسـه إلى الأرض، أمتاكد أنت أيضا من هذا الأمر أيها ألكاهن ؟!! ...

ثم صرخ واقفآ واقترب من عرش الملكة في قوة واندفاع وحقد، مشيرا ألي الملكة وقال: اليكم إذن من تريدون عقابه هل ســـألها أحدكم ماذا تفعل وكيف تدير الحكم وكيف تقيم العدل بين أبنائها؟؟ ثم أشار إلى أخيه قائلا الم تسمع يا أمير الجيوش الم يخبرك جندك وعسسك؟ واخذ يصرخ كالمجنون ألم تسمع السخرية التي أتعرض لها في سائر المملكة؟ ألم تسمع القصص التي تحكى بالحانات والأسواق والطرقات حول أمير الشعوب الذي منعت الملكة مشاركة أخيه مهام حفظ سر قلعه المعدن النفيس. وأسندت اليه مهام ذات شأن صغير هل يمكنك أن تجيب تساؤل ألعامة لماذا فعلت ذلك؟ ســأجيبك أن كنت لم تعلم! بعضــهم يقول إن الملكة ترى أن ابنها الأكبر هو الأقوى والأكثر ذكاء والبعض الأخر يقول هناك شـــيء أخر لا يعلمه العامة وكثير من القصص ألمهينة، واخذ يصرخ في وجه امه يرد منها الإجابة هل أمير الجيوش اقوى وأذكى من أمير الشعوب؟ كيف؟ هل كان هناك مهام لم أستطع القيام بها؟ لماذا لم أقوم بحماية القلعة معه كما هو متبع بقوانين المملكة؟ لماذا؟ ولماذا تتعاملين معي بهذا الطريقة المهينة منذ طفولتنا؟

واخذ يصــرخ في حقد وفى غل. وكلما تعالت الصــرخات كلما ذاد نزيف خصلات شعره لقطرات الدماء أكثر وأكثر،

وســاد الصــمت ســاحة العرش قليلآ، ثم قطعت كلمات الكاهن ذلك الصــمت فقال موجها حديثة إلى الأمير الصــغير ولكن يامولاى لا تأخذ الأمور هكذا. كان يمكنك طلب مجلس ملكي لمناقشـــه ما يغضبك. أطلق ضـحكة سـاخرة ونظر للكاهن وقال: إلا تذكر أيها الكاهن الحكيم كم عدد المرات التي تم استدعائي ألي ساحة العرش ليس لمناقشـــه الأمور كما تقول أو كما يحدث مع أمير الجيوش، ولكن فقط لأتلقى وأبل من التأنيب واللوم الملكي الذي لم أجد غيرة يوم من الأيام. فاذا كان الأمر هكذا دائمآ فلما اطلب مجلسا اعرف ما سوف يدور فيه كما اعرف نهايته أيضا؟

ثم نظر لأخيه والكاهن وتراجع للخلف قائلآ لقد عرفتم الآن فهل سيمكنكم عقاب من جعلني كذلك؟

انتفضت الملكة غاضبه من فوق كرسي العرش، وصاحت في وجه ابنها مشــيرة اليه في ثوره غضــب. كيف تجرؤ على إهانة العرش الملكي؟ لم تكمل الملكة حديثها إلا وقد التحف ملك الشعوب داخل عباءته الملكية قد اختفى تمامآ مخلفا ورائه قطرات من الدماء الذي أمتزج لونها بلون الســواد قد أصــبغت بلاط العرش الملكي بلون غريب من الدماء.

هنا تأكد للملكة أن ابنها خرق قوانين اسـتعمال قواه السـحرية داخل المملكـة ...و لم يكن الابن الأكبر للملكـة اكثر حظـا من الابن الأصـغر وان اختلف الأمر فان كان خطأ الملكة الأم عدم الاهتمام باحتياجات صـغيرها النفسـية والعاطفية في طفولته المبكرة فتراكمت أخطاءها بداخل قلبه الصــغير، للتحول النفس ألجريحة ذلك القلب إلى القســوة ألغاشــمة ثم أصــبحت القســوة هي طريقة .أما الابن الأكبر الـذى نـال كثيرا من الإهتمـام والآثـار فقـد زرعـت فيـه الأنانية والقلب المتحجر فقد تعلم من أمة السـعي ألي أهدافة حتى أن كـان ذلـك مرورا فوق قلوب. وان كـان أخيـه او أقرب المقربين

إليه. ولم يعد يشـــعر بمعاناة أخيه كان يعلم تماماً أن تميزه لدى الملكة أمراً يؤلم مشـــاعرة، ظهر ذلك في كثير من الصـــور منذ طفولتهم وصباهم معاً لكنة لم يعطى الأمر أي أهمية ...

كانت الملكة تعد ابنها الأكبر ليتولى مقاليد الحكم من بعدها ولم يحدث ذلك الأمر من قبل في أي من المالك او الملوك السابقين حيث كان الحكم قائم بالمشـــاركة المتســـاوية بين ألاســـره ألمالكة والقائمين بالحكم كما أن هناك مجلس ملكي لمناقشـــه أي من أمور المملكة ...ولكن ما حدث الآن كان امراً جديداً و غريباً و أثار تقسيم الحكم بهذه الطريقة الراي فتحدث ألخاصة والعامة في حق أمير الشـــعوب بكثير من الإســـاءة ألتي كانت الملكة والابن الأكبر سبب رئيسياً فيه، ولم يستطع أن يتحمل معاناه أخرى ، فتحول إلى لذلك ولم تعلم الملكة أنها صـــــنعت بيدها عدوا أخطر وألد من أعداءها جميعاً ...

****

انطلق الأمير الغاضـــب يمارس مهام عمله كما هي ألمعتادة بداخل قصره لا دارة الشعوب، يتملكه الغضب واليأس وأصبح في صراع رهيب وكأن الشـــياطين تســـتولى عليه وتعينه بأفكارها الســـوداء، فأصـبح يفكر كيف يدمر من كان سـبباً فيما شـعر به ألان. يدمره مهما كلفة الأمر. فقام باستعمال قواه السحرية بإفراط في مراقبه كل خطوات الملكـة، ولم يعلم الأخويين أن كلا منهمـا يقوم بمراقبـة الآخر دون علمه، وقد اعد كلاً منهم خططا دقيقا ومحكمة لذلك الأمر دون أن يعلم كلاً منهما بأمر الأخر وفى ســريه تامه، وكان دعم الملكة في جانب أمير الجيوش، ألذى كان لديه ألكثير من الخطط ألسـرية التي لا تعلم عنها شـــيء ... وها هي الفرصـــة قد أتته فهل يتركها تتفلت من بين يديه؟ وهل ســـيقوم بتنفيذ أوامر

الملكة كما أعدتها؟ أم سيقوم بما يرى فيه صالحه أولا وأخيرا؟ وإن كان ثمن أهدافه أخيه أو حتى الملكة شخصيا ... وتساءل في نفسه قبل أن يبدأ في تنفيذ خطته قائلا: ولكنها ما زالت الأقوى ومازال يحتاج لكثير من دعمها وكثيرا من علمها والكثير من أسرارها التي لازالت مخفية عن أبنائها.

وانتشر أخبار ذلك الصراع بين الأسرة الملكية بين الملوك وبعض قاده الحكم، ومازال كلآ منهما يقوم بمهام عملة كما يقوم بحماية الجهات الأربع من المملكة والتي مازالت اقوى الممالك وان سادها الحزن وان سادها كثيرآ من التوتر أثر ذلك الصراع الدائر بين الشقيقين،

الم تعلم الملكة وهي العالمة ببواطن الأمور ما يدور بين أرجاء قصرها؟ أو لم تعلم وهي الأم ما هي حاجة الطفل؟ وما وماهي حاجة الصبي؟ وما هي حاجة الفتى؟ وان اختلفت جميع الاحتياجات في المراحل العمرية، فهناك شيء واحد لا يتغير بينهما مهما تقدم بنا العمر ألا وهو نعمه حنان الأم. ذلك الناقوس الذي لا يتغير فعاطفة الأم تظل كما هي لا يتغير دفئها وان بلغ أبنائها المشيب. ولكن هناك قلة من النساء تفتقد تلك الجوهرة الثمينة التي هي اهم جواهر المرأة.

فما كان ينقص ذلك الصغير كي تقسو عليه هكذا. أكان ذلك بسبب رقته المفرطة مع كلبه الصغير حين كان يلهو معه ويقدم له بعضآ من طعامه؟ أم كان ذلك بسبب طفلا صغير اخذ يلوح له داخل احد الأسواق حين كان يمتطى جوادة وقد أحاط به الحرس في موكب ملكي صغير أثناء ذهابه للتنزه داخل أسواق البلاد وكان عمره في ذلك ألوقت اثني عشر عاما، فقام بجذب يد الطفل وأجلسه خلفه على جوادة عدة امتار قليلة قبل أن ينزله مره أخرى مما أثار أعجاب ألعامة وغرس البهجة في قلب الصغير وأبيه،

فتعالت صيحات السعادة تملأ المكان حولهم، وهتف العامة باسم الأسرة المالكة إلى أن غادر المكان ، أم كانت عاطفته الجياشة حين خرج الطبيب ذات يومآ من غرفه الملكة فاندفع خلفه يبكى بكاء الأطفال الأبرياء مطالبا الطبيب أن يسرع في علاج أمه ،حتى لا يراها تتألم ،وذهب الطبيب فاندفع كالرياح المرسلة ليحتضن أمه واخذ يقبلها مرتعشا خوفا من فقدها؟ ترى كانت رقة مشاعره هي التي تخيف الملكة فأخذت تقسو عليه لذلك الأمر؟ أكانت تلك الأمور هي من جعلت حياة ألصغير حياة بائسة؟ أكان عليه أن يكون فظا غليظ القلب متبلد المشاعر، أكان يعاقب لرقه مشاعره! نعم كان ذلك العقاب بسبب ذلك كانت الملكة ترى في ذلك المشاعر المرهفة خطر على أداره الممالك وخطر على الملوك. وحين فشلت في تحويل مشاعر الصبي أخذت على عاتقها أن تؤول أداره المملكة للابن الآخر الذي فقد كان ذو شخصية مختلفة تمامآ عن شخصية أخية.

جلست الملكة على كرسي العرش، وأخذت تفكر في تفاصيل الماضي الذي تعلمه وعن أسباب عدم تطبيق القانون في تطبيق مناصفة الحكم بين أبنائها ولماذا فعلت ذلك؟ وإذا بالكاهن الحكيم يقطع عليها صمتها ليقول: والان يامولاتى ترى ماذا أنتئ فاعله؟

نظرت اليه الملكة في تحدى غير نادمة على ما قامت به بين الأخوين ... وقالت سننتظر لنرى ما يكون من الآمر – فقال الكاهن ... عفوا يا مولاتي حاولت منذ زمن بعيد تغيير مشاعر الفتى لما يروق لكي، حاولت كثيرا وأئد عاطفته البيضاء وكثيرآ ما كنت الناصح الأمين كما كنت مع أبويك من قبل، وها هي الآن قد تغيرت أكثر مما أردت أن تكون بل ماتت العاطفة لدية، فهل يعجبك ذلك التغيير؟ يامولاتى كثيرآ ما حاولت أن لفت انتباهك لذلك الآمر الشخصي وأن الأبناء والشعوب كما تحتاج إلى القوة

تحتاج إلى العطف فإن بقي الآمر كذلك ترى ماذا نحن فاعلون؟

أصبح الفتى الآن ذو قوة وذو بأس شديد، وقد تملكه الحقد الدفين وها نحن نرى صراع القويين صراع الأخوين ... فمنذ تلك اللحظة أصـــبحوا ندين وليس مكملين لأركان المملكة ... فلننتظر، ماذا ســـننتظر؟ ثم ابتعد الكاهن قليلا عن كرســـي العرش، وقد طلب الإذن بالانصراف كي يعرف ما يدور بداخل المملكة.

ذهب وقد ترك الملكة وحدها داخل البلاط الملكي غارقة في الأفكار ...

أما الأمير الكبير والأمير الصغير فقد دقت طبول الحرب بينهم

****

الفصل السابع

مضـت عدة سـاعات حتى كاد النهار على الإنتصـاف ، فانتبه الرعية إلى صوت بوق شديد يخترق الفضاء وقد اصطف على اثره الجند على جانبي الطريق، والأبواق في أفواههم ، ونفخوا فيها نفخ طويلاً متصـلاً ثم علت أيضـا أصـوات قرع الطبول فعلم الرعية أن هناك موكب ملكي يتحرك من داخل القصـر، و عما قليل سيغادر أحد أفراد ألاسره ألمالكة أما الملكة الأم ،أو أمير الشـعوب، أو أمير الجيوش ، فنظروا إلى الطريق بأعناق مشـرئبه وعيون مترقبه وأذان صـاغية فمنذ كثيراً لم يشـاهدوا موكب ملكي دقائق قليلة وقد تحركت طلائع الجيش تسـير في صفوف متراصة على دقات الطبول ونفخ الأبواق ، يسير خلفها حاملي الأعلام ، وحاملي الأسلحة، والسيوف ، والتروس، وبعد قليل منهم فرقة للمشـاة ، ثم من بعدها الخيول ألذى أرتفع صـهيلها الذى لفت الأنظار. كان بالموكب كبار رجال الكهنة، والقضـاء، والأمراء، والوزراء، واختتم الموكب المهيب بالحرس الملكي، وتعالت الهتافات تهز أرجاء البلاد، وتصـل أعناق السماء، فلم يشاهد آحد موكبا مثل ذلك من قبل منذ تولت الملكة الحكم، وانبهر الجميع الذين أخذوا يحدقون ويتسـألون لمن هذا الموكب المهيب؟ فإذا به واقف وسـط الركب على عربته غير ملتفتا إلى آحد من الشـعب. محافظا على جلاله وهدوءه، ومضـى الموكب من قصر أمير الجيوش إلى قصر ألحكم للقاء الملكة وقاده البلاد والكاهن.... فمنذ اجتماعه بالملكة والكاهن وأخية الذي ترك سـاحة العرش مختفيا فجأة مسـتعملا قواه السـحرية، وقد ضـرب بكل القوانين عرض الحائط. بدا له منذ اليوم منافساً قوياً إن لم يكن عدوا لدود –كانت تلك الأفكار تدور

برأســه وسـط ذلك الموكب – ولم يكن يعلم أن هناك أيضــا من يشـــاهد في صـــمت هذا الموكب تبدو على وجهه علامات الغضب، وكان نذير بالويل واخذ يفكر ماذا سيفعل الآن؟

كان يراقبه متخفيا في صمت بين الحشود المصطفة على جانبي الطريق. لم يشـــعر لوجوده أحد وان كـانت هنـاك قطرات من الدماء باتت خلفه بعد رحيله وتوارى عن الجميع. إنســحب ذلك المتخفي بين الحشـود، وقد تملكه الغضـب والكراهية أكثر عندما رأى ذلك الموكب المهيب الذي إتخذه أخوه ففر هاربا إلى اعلى قمة الجبل مسـتغلآ قواه السـحرية، واخذ يفكر هل وافقت الملكة على الظهور بهذا الموكب المهيب للإيحاء برسـالة معينة؟ أم قد فعلها أمير الجيوش دون الرجوع إلى العرش الملكي! حيث لم يعتاد الملوك على الظهور بذلك الموكب من قبل فكثيرآ ما كانت مواكبهم أكثر بسـاطه؟ أذا ما سـارو داخل المملكة، ولا تسـتعمل تلك المواكب الفخمة إلا في الاستقبال الرسمي للملوك الضيوف من الممالك الأخرى لا ظهار قوه المملكة وسطوتها. كان جالسآ أعلى قمة الجبل تحت أشعه الشمس الحارقة فلم يشعر بلهيبها، وأخذ يفكر ماذا سـيفعل الآن؟ حتى توارت الشـمس في الأفق، وامتدت الخيوط الرمادية تنتشـــر في الكون، فظهر وجهه الحاقد أكثر بشـاعة عن ذي قبل حتى الشـياطين كانت تخشـى النظر ألية، واخذ يخطط ويدبر بأشياء لم تخطر على فكره في يوم من الأيام فكانت نظرات عينيه توحى بان تلك الخطة قد راقت لـه فنظر مائلا إلى الأمام وقد انفرجت علامات وجهه قليلا وأتخذ قراره ثم اختفى من مكانه.

كان الأمير الصـــغير قد قرر من قبل مراقبة أخيه، ومعرفة كل خططه في إدارة البلاد، ومحاوله إفشـالها. كما كان يخطط إلى شيء آخر أكثر بشاعة لم تعرفه المملكة من قبل.

****

أرسلت الملكة في طلب أمير الجيوش، وأمير الشعوب، والكاهن الحكيم، والوزراء، والحكام، لمجلس ملكي واسـتجاب الجميع للأمر في الحال إلا أمير الشعوب فلم يتم العثور عليه.

قالت الملكة تعلمون جيدا بأمر المعدن النفيس الذي حاول كثير من ملوك الأرض شـراء جزء منه، ولكن تم رفض كل الطلبات ألمقدمة بأجماع المجلس الموقر هنا، ونحن هاهنا الأن لمناقشه رسـالة ملك الأرض المظلمة التي يطلب فيها شـراء بعض من المعدن النفيس، وقد طلب هذا الأمر من قبل ورفض الطلب كما رفض ذلك الأمر من قبل أما هذه الرسـالة فإن بها أمر أخر، وإن الأمر لجد خطير حيث –

أن ملك الأرض المظلمة يريد شـراء جزء من المعدن النفيس أما في حاله رفض الطلب كما سبق فسيقوم بتجميع ملوك الأرض لخوض حرب ضـد المملكة التي تسـتحوذ منفردة على ذلك المعدن الهام والذي يجب أن يقسم بالتساوي بين جميع الممالك حتى لا تكون القوة منفردة لإحد دون الأخر – هنا تكلم الكاهن الحكيم قائلا:

مولاتي: أرى انه لا يجوز التسـليم بمطلب ملك الأرض المظلمة، أو أي مطلب خاص بالمعدن النفيس حتى، وان تجمعت ملوك الأرض فالجميع يعلم مدى قوة المملكة، وإن

الهزيمة لن تكون إلا جزاء لهم في حاله انسـياقهم وراء غرور ملـك الأرض المظلمـة. فجر ذلـك القول الحمـاس في عروق الجميع فقالوا بصـــوت جهوري مؤيدين رأى الكـاهن الحكيم، وقام ملك الجيوش قائلا: نعم يامولاتى لدينا رجال عظام وأنى على يقين لن يرضـى أحدا منهم بأن يسلب حقنا، ولن يرضـى أحدا منهم الذل او الهوان للمملكـة، ولن يفرط أي منهم فيما تركـه لنـا أســـلافنا يامولاتى: لدينا أقوى جيوش الأرض، ولن نهاب أحدا نحن أسود الأرض وسواعدها القوية،

وإن جيشنا قادر على الانتصـار على أي عدوان، وبدا على وجوه الجميع الغضـــب والتحفز في انتظـار قرار الملكـة فقد كـانوا ينتظرون قرار الحرب، وتعـالـت أصـــوات الجميع – نحـارب يـامولاتى –نظرت الملكـة إلى تلك الوجوه الغـاضـــبـة، وقـالـت بصـــوت يـدل على القوة والعزم: نحن قوم لا نخـاف ونرحـب بـالحرب فنحن المملكـة التي لا تقهر، ولكن علينـا أن ننتظر، وسـنطلق كل جنودنا السـريين لنرى فإن كان هناك سـلم فسـلم، وان كانت هناك حرب فحرب.

هنا قام الجميع انحنوا إجلالآ للملكة ثم غادرا قاعه العرش الملكي في حين بقي أمير الجيوش، والكـاهن الحكيم، وتلـك البقع من الدماء على بلاط قاعه العرش، ولم ينتبه اليها أحد.

أمرت الملكة بإطلاق جنودها السـريين من طيور البوم حيث كان يتمتع بالهدوء، وعدم لفت الانتباه والقدرة على النظر لمســـافات طويلة في الظلام والضوء.

كما طلبت الملكة من أمير الجيوش أرســال رســالة عاجلة لملك الأرض المظلمة بالرفض الصـريح لطلبه، ولن نسـمح لأي أحد بـان يمس" المعـدن النفيس" وإذا تحرش بنـا متحرش حتى ولو بالقول فلا يؤثر السلامة، وأننا لن نباهي في تقدير قوتنا فالجميع

يعلمها، كما إننا لا نعجل بالشـــر ولكن على الجميع تحمل تبعه أقواله، وأفعاله.

منذ ذلك الحين ارتدت الملكة لباس الحرب فسرى في نفوس العامة موجة من الحماس واشـــتد الشـــوق لســـماع الأخبار –لم يكن العامة فقط من علموا بأمر لباس الملكة التي تم ارتداؤه، ولكن وصل الخبر أيضا إلى ملوك الأرض جميعهم. وسماع أصداء جيوشـــها في الوادي وعلموا هنالك أن الأمر جد خطير فتراجع من تحالف مع ملك الأرض المظلمة لحرب مملكة الشـــمس، والاســـتيلاء على ثرواتها كان الملوك على علم بقوة الملكة الغاشـــمة وعرشـــها الذي لا يغتصـــب وجيشـــها ألذى لا يقهر، وتطاير الخبر إلى آذان الملكة من جنودها ألســـريين من طيور البوم فعلمت أن ملك الأرض المظلمة قد أصـــبح وحيدا دون حلفاء فعلمت أن ألوقت قد حان لتأديب ذلك المتغطرس وأن ذلك لا يستعدى إلا قوة صغيرة من جيوشها.

رفع الرجال رؤوسهم بعزم وقوة، ونظروا إلى قائدهم نظرة يعاهدونه فيها على النصـــر. والتحم الفريقان ودارت المعركة التي كان الجميع يعلم لمن النصر فيها. لم تمضـى ساعات قليلة إلا وقد تم آسـر ملك الأرض المظلمة وتم الاسـتيلاء على مملكته، وتم نفيه حيث سجن الظلام خارج الممالك في الفضاء البعيد، واعلن الحرس الملكي عودة الجند منتصر إلى داخل أسوار المملكة، و تعالت الأفراح على وجوه الجميع وعمت الاحتفالات في كل مكان إلا هو فقد اجلس في مكانه المفضـــل اعلى قمة الجبل وأخذت قطرات الدماء تنتشـــر خلفه و برزت بوجهه علامات الحقد الدفين على الملكة وعلى أخيه فأخذت توسوس له نفسه أن قوتهما بسـبب المعدن النفيس فقط ، فأن ضـاع هلكت قوه الملكة .من أعلى قمة جبل الهلاك أمتد بصـرة ألي هناك حيث

منفى الملوك المنهزمون . حيث ســـجن الظلام نظرة طويلة شاردة وكان قد اتخذ قراره الشيطاني وأبتسم في دهاء.

****

إحتبست صرخة مكتومة، بين شفتي يوسف الذي أصبح شاحب الوجه، والتمعت عيناه بالدموع، وأخذ يضـــغط بكفيه على فمه لمنع نفســه من الصـراخ، وقد أمسـك بيمينه مقبض باب الغرفة بينما يسرها قد أطبقت على فمه في إصرار عجيب – أما جسده الضـــئيل فقد أخذ يرتعش حتى تحول ذلك الإرتعاش إلى زلزال عنيف يهز كل جسده في قسوة حتى كاد أن يسقط على الأرض من هول التوتر والخوف، وهو يتوارى عن ذلك الشـــبح الواقف بحجرته يلتفت في كل مكان باحثآ عنه، وقد اخذ يتحرك في السلاسل المقيدة بها يداه وقدماه. أيضا شعره الذي يقطر دماء. فلم يرضــى الأمير بفك سـحر يوسـف بمسـاعدة ذلك الكاهن الحكيم الذي أتخذ من الصـقر وسـيلة للتخفي كما هو معتاد منذ قديم الزمان. لم يسـتطع يوسـف أن يتحرك من مكانه المخبأ فيه خلف باب الحجرة فكأن من الســـهل أن تلتقي عيناه بعين ذلك الشـبح المخيف الذي أطلق ضـحكة سـاخرة، أما هو فقد أطلق صـرخة مدوية ثم ترنح قليلا قبل أن يسقط ويرتطم رأسه بخشب الباب فيسقط مغشيا عليه. ساد الصمت قليلا قبل أن يفتح باب الغرفة في قوة ويظهر على عتبتها أفراد أســـرته التي جحظت أعينهم وأســـرعوا في انتفاضـــة يحملون الصـــغير الملقى على الأرض دون وعى إلى سريره. ساد الصمت بضعه لحظات لم يسمع خلالها إلا دقات قلبه امه المنفطر على فلذه كبدها فأخذت تصرخ فيه محاوله إفاقته ولكن باءت كل محاولتهم بالفشل فاخذ الدكتور عوني وصديقة يتفحص الغرفة أسفل وأعلى.

وبجوار الباب والنوافذ فوجدوا تلك القطرات من الدماء بغرفة الصبي فنظر بعضهم لبعض، وقد أيقنوا من كان الزائر الذي لم يتحمل الصغير رؤيته فأغشى عليه من الرعب. ومضت عدة ساعات لم يفيق يوسف من غيبوبته التي ذهب فيها، وان كان نبضات قلبه منتظمة كما هي حيث تحسست رضوى ساعد أخيها الذي بدا نائماً نوماً قد لأ يصحو منه مرة أخرى إلا بأمر الأمير.

و مضى كثيراً من الوقت ولازال الصبى غارقا في غيبوبته لم تجف دموع امه خلالها، فأخذت رضوى تبث في قلب أمها بعض الطمأنينة وأن هناك من يستطيع إنقاذه كما تم من قبل ، ولكن الوقت مضى أكثر من سابقه مما أصاب الجميع بالتوتر ، وظهرت تلك الأطياف السوداء الخفية التي لا يظهر إلا ظلالها الباهتة وقد التفت حول الصبى فكانت تحجب الرؤية عن جند الملكة من طيور ألبوم ،وأيضا جنود الكاهن الحكيم التي امتلأت بهم أشجار الحديقة وخلف نوافذها فكما تمتلك الملكة والكاهن قوه سحرية هائلة ،أيضا يمتلك تلك القوة الأمير الهارب ، وملك الأرض المظلمة ألذى أصبح ملك الظلام فمنذ أن تم نفيه ،وأن فقد القدرة على استعمال قواه السحرية كما هو متبع لقوانين سجن الظلام إلا ذا تم اتحادها مره أخرى مع قوه خارج السجن .

وقد وجد ذلك الإتحاد مع أمير الشعوب الذي يحاول الإنتقام من أسرته، والأخر يريد القضاء على تلك الأسرة وسرقه المعدن النفيس، نعم اثنين جمعتهما روح الإنتقام، ولكن هناك من يمتلك الغدر والخيانة، وقد يكون الثمن حياه الآخر أو حياة أحداهما.

كلما مضـــى الوقت أكثر كلما أصـــاب فريدة اليأس والهلع على صـغيرها فأخذت تصـرخ في وجه أخيها وخطيب ابنتها صـرخات هســـتيرية–قائلة: لن تكون حياه أبني الثمن _ لن تكون حياته الثمن أبدآ في ذلك الصـــراع. وأخذت تقبض على قميص أخيها وأخذت تهزه في عنف وتســأل ماذا يريد ذلك الشــبح؟ إعطيه ما يريده. كي يتركنا نرحل من هنا. إعطيه ما يريد كي أســـتعيد أبني، وأخذت تصـــرح وكان الأمر أصـــعب ما يكون على أم انفطر قلبها على ابنها. احتضــنت رضــوى أمها، وأخذت تبكي هي الأخرى إلى أن أرهقهما البكاء فجلســـا مره أخرى بجوار الصـغير الممتدد أمامهما وانضـمت اليهما سارة فلم يستطيع أحد تحمل هذا الموقف، فأشـــار الدكتور عوني لصـــديقه وابن أخيه الذي اطرق حزنآ إلى الأرض لا يعلم ماذا ســـيفعل؟ وكيف له حماية أسـرته من ذلك الغاشـم الهارب؟ فانطلق الثلاثة يقطعون الحجرة ليصـطدم عوني بشـيء ضـخم في طريقه فنظر خلفه في دهشـة فإذا المكان خاليا لا يوجد به شـيء إلا قطرات من الدماء بجانب تلك البقعة التي مر بها – كان الأمر قد خرج من بين أيديهم، فقد دخلوا في صـــراع لا يملكون فيه قدرة على مواجهة الســـحر والتخفي وتلك القوى الغريبة لذلك قرر العودة إلى حجره المكتبة لمراجعه الوثائق التي تم جمعها من قبل منذ ســـنوات بعيده عن تلك الأســـطورة التي تجســـدت أمامهم فقد يجدوا ما يكون تم نســـيانه. أنهمك الثلاثة في تدوين المعلومات حتى إمتلأت كثير من الأوراق فأصـــابهم بذلك شـــيء من الســـعادة فإبتســـم ميلاد، وظهرت علامات الارتياح على وجه عوني، وعرف الجميع أن تكرار تلك المعلومة في كثير من الوثائق لهو نصر لهم وأيضا قد تكون تلك المعلومة هي السلاح لتدمير ذلك الغاصـب ألهارب، فهدأت نفوسـهم قليلا .ولم تمضـى قليل من

الثواني حتى حدث ما جعلهم يتجمدون في أماكنهم كالأصـــنام بلا حراك من تلك المفاجأة ، فقد كان هناك بالقرب من النافذة طيف شـــبح ما، في ملابس بالية وقد أحاطت به كثير من الأطياف السوداء أخذت تدور حوله في هاله مفزعة ، وقبل أن تعي عقولهم ما رأت أعينهم إختفى ذلك الشبح كما اختفت معه تلك الأطياف، وفى ذهول قد أصـــابهم الثلاثة . اذا بيد قوية قد أطبقت على ياقة القميص الذى يرتديه جاجان لترتفع به إلى اعلى ســـقف الغرفة، وهنا ظهر وجه ذلك الشـــرير بعينيه الحمراويتن وشـعره الأسـود الذى يتخلله شـعيرات حمراء تقطر دماء، ووجهه الذى لن يستطع النظر إليه، وأخذ يحدق في وجهه جاجان حتى إقترب من أنفاســـه فراح يهمس قائلآ: أيها الأمير المخلص إتلو **تعويذة العفو ...امنحنى الحرية. إتلو تعويذه العفو .... امنحنى الحرية ....**، فاتســـعت عيناه في رعب واخذ يرتعش وقد شـــحب لونه، وهنا اندفع عوني محاولآ جذب ابن أخيه لإسـفل إلا أن أطياف الظلام قد قامت بدفعه بعيدآ ليرتطم بحائط الغرفة. في تلك اللحظة شـــاهد جنود الملكة من طيور البوم المنتشـر حول النوافذ والأشـجار ما يحدث، واقبل الجميع في إندفاع نحو الحجرة فإنتباه الأمير الهارب لذلك وفر هاربآ ومن خلفه أطياف الظلام. وقد أطلق وابل من التهديد بقتل أفراد الأسـرة او خطفهم أن لم يقوم ألفتي بما طلب منه. تاركا جاجان يسقط في ألم مرتطم بالأرض في عنف. نظر عوني لميلاد وقد أنتبه أن هناك ســـر في تلك الوثائق قد نعرفه ولا نتذكره ألان، ويحاول الأمير الهارب منعنا الوصول إليه ترى ما هو ذلك السر الذي يخشاه الأمير الهارب وملك الظلام؟

في تلك الأثناء كانت هناك معركة تدور خلف الأشجار بين جنود الملكة والأمير الهارب فلننتظر ما يكون.

انطلق الثلاثة إلى أعلى حيث حجره يوســـف التي خيم عليها الحزن. واقترب من أخته فربت على كتفها ثم ضمها اليه وأخذ يهدئ من روعها وان جفت دموعها، ولكن قلبها يدمى حزناً وخوفاً. فقال لها في رأفة حنو، وجلس على حافة فراشها الرقد به يوســف. تعلمين أنى لا أملك من العالم ســوى أســرتي انتى يافريدة وأبنائك وأبناء أخيك وان كنتي تعلمين أن قطار العمر قد تقدم سريعا ولم يمر على محطه إنشاء أسرتي الصغيرة مثلكم ،ولكن تلك المحطة نســتطيع اللحاق بها في أي وقت أذا أردنا ذلك فلم يكن الســبب ضــياع المحطة ،ولكن الســبب الحقيقي لعدم زواجي ألي ألان كان ذلك الســر ســر الأســطورة ، فقد حاولت أن احمى أسرتي بكل جوارحي منذ سنوات بعيدة حتى لم يتبقى من الوقت أكثر من عده شــهور ليكتمل عمر جاجان العشرون ليرحل السر إلى أخرين بعد ذلك، وبعد مائه عام أخرى ، تعاد أحداثها مرة أخرى على يد أخرين غيرنا، ولكن لم تمضى الرياح بما تشتهى السفن، وجاء اليوم الذى كنت أظنه قد ابتعد كثيراً ولن أراه يوما. فماذا سأفعل؟ وماذا سنفعل جميعا غير المقاومة التي قد تستمر إلى أن يكمل الفتى عامه الخامس والعشرون؟ وقد لا نستطيع فيعود بذلك الأمير الهارب ولن نعلم أي مصــير ســينتظرنا جميعا أذا تم ذلك الأمر؟ اختى الحبيبة إني وميلاد نفعل كل ما نســتطع حتى لا يتمكن الأمير من جاجان أو أميره المخلص كما يقول.

وكما قلت لك من قبل من قبل أحاول أن أتذكر حديث كبير القبيلة الأفريقي عســى أن نجد به ما يعيننا على ذلك فهل

تذكرين حين قال أن أمير ألشعوب قد نظرا طويلا شاردا حيث الظلام، كان قد اتخذ قراره الشيطاني نعم أتذكر حديثة كما قال حين ذكر أن الأسطورة تقول انطلق أمير ألشعوب مستخدم أقصى قواه السحرية في اختراق سجن الظلام حيث يتم نفى الملوك المنهزمين وتسلسل قواهم ألسحرية ، وأيضا حيث يوجد العدو اللدود لأخيه وللملكة ، فكان ملك الأرض ألمظلمة أخر الملوك المرسلين لذلك السجن ألخاص ألبعيد كما تم الأستلاء على ملكة من قبل الملكة ونفية بعد ذلك ، فقد كان اكثر ملوك الأرض قوه بعد الملكة الأم .

لم يخترق أحدا من قبل سجن الظلام وكان حوله كثيرا من جنود الأرض لحراسه ذلك السجن البعيد وردع أي هارب منه والقبض عليه.

ولكن بفضل قواه السحرية العظمى، التي ورثها عن الملكة الأم إستطاع إختراق ذلك السجن وتخفى بداخله حيث لا يعرفه أو يراه أحد، وبداخل هذا السجن تتعطل القوى السحرية للملوك السجناء – وأخذ يبحث كثيرا حتى وجد غايته ذلك الوجه الحاقد، وقد التف حوله بعض أعوانة ألذين أصبحوا جنوده بسجن الظلام، وكيف لا وهو الملك الأقوى بين الملوك السجناء فأطلق عليه لقب ملك الظلام.

إقترب أمير الشعوب من ملك الظلام الذي قد تغيرت ملامحه داخل السجن فلم يتبقى منها شيء غير تلك العباءة الفاخرة التي تدل على رتبة صاحبها من الملوك المنفيين في ذلك المكان، ذلك المكان ألذى اختفت فيه الألوان ولم يتبقى منها غير اللون الأسود فتلون كل شيء حولة كل شيء إكتسى بلون الظلام، حتى عباءته أصبحت شديدة السواد،

فلم يظهر منها سوى بقايا أسنانه البيضاء حولها ظلال الظلام ففقدت بريقها وغشيها اللون الرمادي، أما عينيه فقد أصبحت شديده البياض واختفى اللون الأسود بها، وفقدت نور الحياة. لم تكن هيئه ملك الأرض المظلمة فقط بتلك الهيئة، ولكن هناك تتحول هيئة سجناء الظلام إلى ظلال مرعبه. نظر اليه طويلآ فهو لم يرى من قبل سجين من سجناء هذا السجن الخاص ... لم يستمر الأمر طويلا إلا وقد تصافح الملك ألسجين وأمير ألشعوب فكلا منهما قد سمع عن الآخر ويعلم من يكون وان لم يتقابلا من قبل إلا في ذلك المكان، وتصافحا وقد عقدا معا صفقة العار.

تم تحرير قوة ملك الأرض المظلمة السحرية الذي لقب بملك الظلام داخل محبسه، وذلك بفضل تحالفه مع الأمير ألذى أمدة ببعض قواه ألسحرية لاستعادة الملك بعض قوتة ألسحرية مرة أخرى وليس كلها كما تنص قوانين السجن وانطلق معا للخارج. تتبعهم جنود ملك الظلام. واندفع الأمير الصغير في إستعمال قواه السحرية في عنف وتحدى صارخ للملكة ألام ضارباً كل قوانين المملكة، وماتت مشاعرة ألرقيقة ولم يعد بقلبة سوى الكراهية والحقد وأختلط علية الأمر، فأصبح لا يميز بما هو حقآ له ، وما هو حق المملكة فاستغل هذا الضعف ملك الظلام الذى فاخذ يوسوس له عن ظلم أخيه وأمه وأحقيته في حماية " قلعة المعدن النفيس " مثل أخية وكان يعلم أن هذا الأمر يجعله يستشيط عيظآ وكمدآ ، فاقترح عليه الحصول على جزء من المعدن النفيس الذى يستطيع صناعة درع وسيف منه لهزم الملكة وجندها ثم الاستيلاء على الحكم فهو من يستحق ذلك .. واخذ يبتسم

في دهاء وخبث دفين في انتظار رأى الأمير الذي أخذ يفكر بعض ألوقت وقد إســـتســـاغ فكرة ملك الظلام. فإلتفت إلية قائلا: وكيف الوصـــول إلى ذلك؟ تعلم جيدا قوة القلعة وقوة حمايتها أيضـــا. فقال لـه ولكن معنا جند الظلام وهم جند محجبون لا يراهم أحد فقط ظلال من الظلام. ســـأجعل جنودي تحيط بك فاذا ذهبت إلى هناك لن يراك حراس القلعة أما أذا اســتعملت قواك فقط فقد يتعرف عيك أخيك أو الملكة أو حتى ألكاهن ألحكيم. عند ذلك تفشل مهمتك ولن تستطيع أخذ جزء من المعدن دون أن يشــعر بك أحد والعودة ألي هنا ...كي أصـنع لك (درعا وسـيفا) ثم نقوم بالحرب ضـد أخيك والملكة فأنت أحق بالعرش وأنت أقوى من الجميع، إلا ترى كيف دخلت سـجن الظلام ولم يسـتطع أحدا من قبلك الذهاب اليه وأيضـــا الخروج منه؟ أنت لم تعلم بعد مدى قوتك أيها الأمير. وعند اتحاد قوانا ســـتكون اقوى ملك بل اقوى ملوك الأرض ... فقال الأمير الصغير وكيف ستتحد قوانا السحرية؟ فقال: ملك الظلام بدهاء ومكر إذا يا مولاي ما قد تم استعادة عرشي مرة أخرى هنا لن أكون ملك الظلام ولكن سأكون ملك الأرض المظلمة مره أخرى، فردا قائلآ: ولم ينتبه اليه إنتباه كاملآ، فكان مازال يفكر في ســـرقه المعدن النفيس وكيف له ذلك؟ وكيف يمكنه ذلك استعاده حقة ألمسلوب؟

- وأكمل حديثه ألخبيث فقال: عند اعتلائك عرش الملكة الأم تسـتطيع أن تعطيني جزء من المعدن النفيس كي أصـنع منة سـلاح أسـتطيع قتال من يجلس على عرشـي حتى أسـتطيع هزيمته واســـتعاده ملكي وأخذ ينظر في ترقب جواب أمير الشعوب.

- أنت تعرف أن قلعه المعدن النفيس لا يتم فتحها إلا بأمر مجلس الحكم كاملآ وليس أمر الملكة فقط.

- فابتسم ونظر إليه بطرف عينيه وقال في خضوع مصطنع هناك حل أخر يا مولاي أن تعطيني جزء مما ســـتأخذه من القلعة بمســـاعده جنودي الذي أتمنى ألا أفقدهم في تلك المغامرة، وقد اطرق ببصره إلى الأسفل في أسى وخضوع.

نظرا اليه أمير الشعوب طويلآ، ثم هب واقفآ وقال: حسنا لك ما تريد فلنضـع الخطة لإختراق القلعة وأخذ ما نريد وهنا تهللت أسارير وجه البشـعة فرحا وطربا لما سـمعه من الأمير وقد أيقن أن خطته تسـير جيدا كما يريد.

****

كان مقر القلعة المعدن النفيس أقصى شمال المملكة حيث الفضاء الواسع وبعيدآ عن ألاماكن ألحيوية تحسبآ لحدوث أي شيء وأيضا ليتمكنوا من سرعه الإنقاذ بعيد عن قصر ألحكم والرعية فكان ذلك المكان كمدينة قائمة بذاتها وإن كانت تعد أهم أماكن مملكة الشمس و أخطرها ، فكان يمتد المكان عشرات الآلاف من الكيلو مترات يبدأ بمبنى ضخم تم إحتطاته بأسوار عالية تم طلائها بسائل من المعدن النفيس قد تمت إذابته بطريقة معينة ومعقدة لهذا الغرض مثل أسوار المملكة ألتي تم طلائها أيضآ فور العثور على ذلك المعدن الفريد ، كما أقيمت أبراج المراقبة على كل جهاته الأربعة يقوم بحرستها جنود المملكة بجانب جنود الملكة السريين الذين يطفون حول المكان أوقات منتظمة للمراقبة الدقيقة وخصوصا ليلآ ، كما يوجد على المبنى أبواب فولاذية طويلة الأرتفاع وكبيرة ألحجم لا يتم فتحها إلا بتصريح خاص من الملكة ،و خلف الأبواب الفولاذية يوجد مئات من الجنود ومئات من ألعاملين على ذلك الصرح الهائل ، وبعد ذلك يبدأ المكان المهيب ببهو كبير تزين جوانبه الرسوم

الملونة لأمجاد وبطولات جيوش المملكة وانتصارهم في المعارك، تحيط ذلك البهو حديقة كبيره من الأشجار الكثيفة العالية تحجب المبنى بالكامل عن العيون ثم تتجه ألي بهو أخر مثل ألسابق في نهايته قاعة كبير لمقر الإقامة ، بها كثير من الحجرات التي تمتلئ بالعاملين والإداريين وقاعة أخرى للمراقبين على تامين قلعه المعدن النفيس الممتدة تحت الأرض ، ومراقبه كل ما يدورا حولها من الداخل والخارج ، وبعد عشرات الأمتار في الاتجاه الأيمن من البهو تجد قاعة أخرى لتناول الطعام والمشروبات ألخاص بالعاملين في هذا المكان ، ثم تجد ممرا أنتشر به الجند بصورة مكثفة تبدأ معه بتتبع الإشارات والعلامات الموضوعة على حوائط البهو وتحمل ألوان معينه ومع كل اشره كان الكثير من التفتي والإجراءات المعقدة كي تستطيع عبور النقطة التأليه ويبدأ الممر باللون الأخضر ألذى يعنى أنك ما زلت بعيدا جدآ عن الممر الأحمر ثم اللون الأصفر ويعنى أنك قطعت مائتي متر في طريقك أما العلامة ذات اللون الأزرق فتعنى أنك بمنتصف ألطريق ثم ألعلامة السوداء وتعنى انك أقتربت وبعد عشر أمتار يبدأ البهو الخاص بالممر الأحمر الذى يحيطه العديد من الجند يرتدون زي الحرب ، وقد حمل كلا منهم سلاحآ خاصآ صنع من المعدن النفيس الذى لا يقهر أمامه أي سلاح ، فاذا وصلت لتلك النقطة الخطيرة لن تتمكن من العبور بعدها إلا بتصريح خاص من مجلس الحكم الذى يتكون من الملكة وابنيها والكاهن وكبار رجال ألحكم بالمملكة ،كان الممر الأحمر ينقسم لعده أقسام لكل قسم تصريحه الخاص والذى هو اكثر تعقيدآ من النقطة السابقة في الإجراءات الأمنية فإذا أنتهيت من نقاط تفتيش الممر الأحمر، والذى يمتد لعشرات الأمتار حتى نهاية ، فهناك أخر ، وهو بهو الممر الأحمر ، فيجد القادم من الخارج باب صغير من الفولاذ لا يسمح إلا بمرور شخص واحد فقط من خلاله ثم ينتظر

الذى خلفه قليلا لحين عبوره إلى سرداب سلم النزول حيث قلعه المعدن ... وهنا قد أصبحت الأن في بهو سلم الهبوط الذى يؤدى إلى القلعة. تحت الأرض.

وتحت الأرض ستمر بساحة بهو المعدن النفيس حيث العشرات من الجنود والعلماء العاملين على صناعات خاصه بالسلاح أو أبحاث لكيفيه الاستفادة ألقصوى من ذلك المعدن الذي ليس له وجود على سطح الأرض مما جعله سلاحآ قويآ منفردآ أختصت به المملكة فزاد من قوتها وأصبحت هي الأقوى بين الممالك مما ثار حولها إما الحاقدين أو الأعداء الراغبين في الإستحواذ على ذلك الكنز النفيس أو الخاضعين من الممالك الضعيفة املآ في رضاء الملكة. كان يوجد بداخل القلعة الأرضية الكثير من الصناعات، والتي تقوم على تسليح الجند من الآلات الحرب، وأيضآ أقسام الأبحاث وهناك تلك الحجرة الكبيرة والمصنوعة بالكامل من الفولاذ القوى وضع بداخلها صناديق تحتوي بداخلها ما تبقى من ذلك المعدن الذي تم تقطيعه إلى قطع يسهل الإحتفاظ بها في مكان أمن لحين الإستعمال.

****

إجتمع ملك الظلام بأمير الشـــعوب داخل أحد الكهوف الســـرية، والتي اتخـذ منهـا مخبـأ خـاص يســـتعين بـه بعيـد عن عيون وجواسيس الملكة، وأيضا بعيدآ عن جواسيس أخيه الذي تم نشرهم حوله في كل مكان، كي يتمكن من وضـــع خططه وملك الظلام فكان يعلم كل العلم انه مراقب من الأسـرة الحاكمة، ولكن لم يكن يعلم او يخطر على بالـة خـاطره أن هنـاك من يراقبـه بعيـدآ عن الملكـة واخوه الأكبر. كـان هنـاك من يراقبـه ليس حقدآ عليـه بـل

أشفاقا وأملآ أن يرجعه إلى صوابه وعسى أن يجد الوقت لملاقاته منفرداً بعيد عن ملك الظلام، فهناك الكثير لابد من إلقائه على سمعه فقد تكون خيوط الأمل لعودته لازالت موجودة من جديد.

ولما لا؛ وقد كان من قبل ملجأ وحنانا للطفل الصـــغير إذا ما ضاقت به الدنيا وأرهقت قلبه الأحزان فيجد عنده الأمان والسكينة ويعيد الأمل من جديد لقلبه ألصـــغير، فكان الوحيد الذي يمكنه رســـم البهجة على وجه، ولكن كيف لم يخطر للأمير أن ذلك الشـــخص مازال موجود كما هو لم تتغير مشـــاعره، ولم تتغير عواطفه وحبه وحنانه، كان ذلك الشـــخص بمثابة الجد لأســـره الملكية حتى الملكة تصغى اليه جيداً وتحترم توجيهاته فكان ذات حديث مميز يخرج من القلب فتصـــل فوراً إلى القلب، وكيف لا؟ وهو من قام بتربيتها وتعليمها وتثقيفها بأمور القصـــور و أمور مقاليد الحكم فكان الســـاعد الأيمن للملك الأب ولها منذ نعومه أظفارها حين قتل ولدها الملك الأكبر منذ زمن بعيد، كانت في ريعان الشباب حين جلست على كرسي العرش وبفضل تعليماته التي حفظها ســـرا من الملك الأكبر قام بتدريبها جيدا حتى أصـــبحت من أقوى ملوك الأرض، وظل هو كما كان يشـــغل منصـــب الكاهن الحكيم الأكبر وأمين ســـر الملكة ، وقام أيضـــاً بتعليم أبنائها الأمير الكبير والصـــغير فاخذ يســـقهما من علمه الغزير كما فعل معها من قبل ، فكان نعم المعلم وحافظ الأسرار، ولكن بقى شـيء واحد لم يستطيع التحكم فيه أو إعادة توجيه ألا وهو حنان الأم الذى أغدقت به على الأبن الأكبر دون أخية ونســيت أن هناك من ينتظر نصــيبه وحقه في ذلك الحب . نعم يحاول الكاهن الحكيم حماية ذلك القلب الصـــغير من الانفطار،

ويأمل أن يعيده إلى ما كان ولكن ترى هل يستطيع ذلك؟ فكثيراً من الوقت يفقد أثره ولا يعلم كيف يحدث ذلك الأمر.

كان الكهف من الكهوف السرية ألخاصة بسجون الملكة ،والتي تعتبر من السجون الخاصة بالخطرين على المملكة، فكان يتم وضعهم بأحد تلك الكهوف ،والتي يقوم بحراستها جنود سريين بفضل قوى الملكة السحرية فلا يرى أي مخلوق ما بداخل هذة الكهوف ،و لم تكن تلك الكهوف جميعا ممتلئة بالسجناء بل كان بعضها معد فقط لذلك لحين الحاجه إليه بعيداً في تلك الصحراء خارج اقصى حدود المملكة ، حيث الفراغ والجبال والرمال وأصوات الرياح وعواصف الصحراء، ذلك المكان الذى لا يستطيع أحد الإقراب منه سوى سكانه من الوحوش والهوام، ففي ظلمه الليل تتعالى الصراخات في ذلك المكان، و لم يعرف سببها حتى الأن ، ولمن تلك الصراخات المفزعة ؟ على قمة ذلك الجبل الشاهق بالصحراء الواسعة يوجد أسفل ذلك الجبل كهفاً من أعظم تلك الكهوف المعدة من قبل الملكة، والذي كان تحت حراسة أمير ألشعوب الشخصية لحين الاحتياج اليه ... وهاهو الأن يجد الملاذ والهدوء في الجلوس اعلى قمة الجبل حيث الفراغ الذي لا يشاركه أحد فيه. ثم أسفل سفح الجبل كان ذلك الكهف الذي وجد فيه المأوى، واتخذه مقراً لإعداد خططه للقضاء على الملكة والحصول على كرسي العرش، ولم يكن يعلم في تلك اللحظة أن هناك أيضا من يفكر في القضاء على الملكة وأبنائها والحصول أيضا على عرشها.

أخذ ملك الظلام يطوف حول أمير الشعوب الذي ظل شارد بداخل الكهف السري وقد ساد الصمت لحظات قبل أن يقول

بهدوء مليء بالمكر والدهاء مولاي هل وضعت خطتك لاقتحام قلعه المعدن تحت سطح الأرض؟ فالوقت يداهمنا، وقد يكون قد انكشف فراري من سجن الظلام، ويكون هناك من يطاردني الأن لأعادتى إلى السجن مرة أخرى، وحينئذ ستتوقف قواي السحرية كما تعلم بداخل السجن إلا اذا تم استدعاءنا من قبل أخرين ،و هنا نستعيد جزء من قوانا السحرية وليس كلها حتى نتحرر من السجن ، وأخذ يترقب بعيون ماكرة يملأها الحقد ، و علت فمه ابتسامة خبيثة ثم قال : وكما تعلم يامولاى قوانا الأن تتحد وهى الأن قوه هائلة وأن كنت لا أملك ألا ألقليل منها ولكن أستطع أن أفديك بجنودي من ظلال الظلام ، أما أذا تم كشف أمرى ورجعت مره أخرى إلى السجن فلن تتمكن من أخذ حقك المسلوب في كرسي الحكم .. ولن تجد من يساعدك حيث ستكون الجانب الأضعف الذي يسهل القضاء علية من أمير الجيوش والملكة الأم.

وهنا إلتمعت عيناه بحقد دفين، وقد شاركه في ذلك الحقد الأمير الذي إستشاط غيظآ واحمرت عيناه حتى كادت أن تقطر دماء كما تقطر خصلات شعره الحمراء، والتف لملك الظلام وقد إتخذ قراره فقال نعم غدا سنذهب لتلك القلعة.

هنا إبتسم ملك الظلام، وأدرك تسرع وغباء الأمير في سرعه إتخاذ القرار الغير مدروس، وقد أيقن لماذا أختصت الملكة أخية فقط في حماية قلعة المعدن، وحرمت هذا الأمير الأهوج من بعض مهام المملكة، ولكن قال في نفسه لعل ما يحدث الأن بسبب ذلك الصراع بينة وبين أسرته وقرارته ألمتسرعة ما هي ألا انتقام لنفسه وقد يكون هذا ألتسرع ليس من طبيعته من قبل في اتخاذ القرارات.

وأخذ نفسا عميق، وكان يعنيه الأمر كثيرآ، فذلك الصراع يخدم مصالحة ألشخصية ويساعده على بلوغ أهدافه وتحقيق خططه التي لا يعلمها الأمير، فمضـــى يبث ألفتنه ويؤجج النار بينهم كلما أته الفرصة ‘فاطمأنت نفسه وتعالت وجهه إبتسامه باهتة كانت تحمل معها كل معاني الشـــر، وإقتربا أكثر من الأمير الواقف أمامه، وقال بصـوت أشـبه إلى التمني. اعلم يا مولاي كما يعلم ملوك الأرض أن قوه الملكة السـحرية هي الأقوى بين كل الملوك، وقد ورث أبنائها ذلك القوى العظيمة منها، والذي لا يباريهم فيها أحد، ولكن يامولاى أريد أن أصبح ساعدك لك في ذلك الغزو أن أذن لي مولاي –تعجب الأمير الصـــغير وقائلا: كيف؟ ولماذا تريد ذلك؟

فقال: تعلم يامولاى أن تلك القلعة يقوم على حمايتها جنود الملكة، والتي تشرف بنفسها على ذلك بفضل قواها السحرية كما قلت ســـابقآ، فإذا ذهبت هكذا بدون أن تخفى هيئتك التي يعلمها الجميع كما يعلموا أيضـــا وســـائلك في ألتنكر والتخفي باستخدام السحر، ومهما بلغت قواك السحرية فلن تصل ألي قوه الملكة، وهنا ســتشــاهدك، وســيتم القبض عليك واســرك تحت رحمة أمير الجيوش أخيك ألمغتصـــب حقك! وحينئذ ســيكون خليفة الملكة ولن يســتطع أحد الدفاع عنك، أو يســاندك حدث إذا أصــبح أخيك خليفة الملكة رســميآ فهناك ســتكون الكارثة الأكبر فكما تعلم جيدآ أن الخليفة الرسمي هو فقط من يحصل على قوى الملكة الســـحرية كامله !! أما في حالة توزيع مهام ألحكم بالتســـاوي بين الأبناء كما هو متبع في الممالك جميعآ هنا يتم أيضا توزيع قوى الملوك السحرية على أبنائهم بالتساوي أيضآ. والان لك أن تتخذ قرارك وترى ماذا أنت فاعل يا مولاي؟

وهنا ســـكت قليلا ليرى تأثير كلماته على الأمير الذي أطرق ببصره قليلا، وقد اخذ يفكر في صمت دون حركة ثم قال، وهل تتشـكك في قواي السـحرية؟ فقال : لا ، ولكن قوة الملكة أعظم من أي قوة وتعلم ذلك جيدا فإن أجتمع معها قوه أمير الجيوش فهو أيضآ يقوم أيضا بحراسة القلعة ، فهل تتساوى قواك معهما وأسـتكمل حديثه الناعم قائلآ: أنى فقط أخشـــى عليك– ونجح في أن أهتزت ثقة الأمير بنفســه قليلآ فهو يعرف مدى قوة امة السحرية تلك القوة التي لم ينتصر أمامها أي من ملوك الأرض ، وإن أتحدوا جميعا لفشـــلوا أمام قوتها الجبارة ، فاطرق مره أخرى في صـــمت وذهب ببصـــرة في حيرة ، فشـــاهدة ملك الظلام بطرف عينيه ، وعلم جيدا كيف يحرك دميته الصـــغيرة بدهاء بارع دون شـــك ،ودون علم الضـــحية بانها تقترب من نهايتها .إلتفت الأمير اليه فقال : وأن كانت الملكة تسـتطيع أن ترى سـحري فماذا أنت فاعل ؟ وأنت تعلم مدى قوتي السـحرية كما تعلم أيضـا إنك تستمد قوتك منى أيضـا وأن كنت استعدت جزء ضـئيل من قواك ألسـحرية فمازلت لا تمتلكها جميعا حتى تستعيد عرشك لمملكة الأرض المظلمة هنا فقط تستطع استعاده هيئتك كامله مع قواك السـحرية أيضـآ كما كنت من قبل، والى أن يحين ذلك مازالت سـجيناً هاربا من سـجنه أ فكيف سـتصـل أنت إلى هناك؟

كان ملك الظلام يعلم جيدا ما يدور بعقل الأمير الشـــاب فمنذ صراعة مع الملكة ألي أن هزمته واستحوذت على عرشة و قلبه يمتلئ بالعداء ، والبغض لتلك الأسرة قام بدراسة جيده لكل فرد من أفراد الأسرة المالكة حتى أيقن تماما كيف يفكر كلا منهم، وماهي نقاط قوته ،و نقاط ضـــعفه ، ولم يكتفى بذلك بل قام

بتحليل ودراســة ألمقربين و كل من يعمل لديهم ومعهم ســواء من ألعامة ،أو ألخاصـــة كان يخطط منذ زمن بعيد لاختراق الصـــفوف من الداخل حيث كان من المســـتحيل اختراقها من الخارج بفضـــل قوة المعدن الذى تم طلاء أســـوار المملكة به فأصـــبحت المملكة ألمحصـــنة ألتي لا يخترق لها ســـور باي ســـلاح . ولو انتظرت الملكة قليلا لأختلف الأمر، ولكنه تذكر أين هو الأن وماذا فعلت به الملكة؟ فاستشاط حقد عليها وعلى أبنائها، وتمنى الوصـــول إلى غايته ويســـترد ملكة ويعود إلى حلمـــة ألقـــديم في امتلاك عرش اقوى الملوك. عرش مملكـــة الشمس.

لم يفكر الأمير الصـــغير أن الأمر ســـيصـــل إلى هذة الوضـــع الذي وصـــــل اليها الأن بينه وبين ملك الظلام فحين جالت فكرة الانتقام برأســه أعلى قمة الجبل، وجاءته فكرة إطلاق سراح ملك قوى من ملوك ســـــجن الظلام ليعود إلى الحرب مع أخيه كي يعمل ذلك الصراع على أضعاف قوة اخوه السحرية، ويحرك مكانته، ويشكك في قدرته على تحمل المسئولية في القيام بعملة كان يتلذذ بالنظر إلى هزيمته، والانتقام من ســـطوته. كان كل أفكاره السوداء تدور في كيفية ألحاق ألحزن بقلب الملكة، وكيف يلحق الهزيمة بأخيه. كان يفكر أن الأمر قد يســـتدعى بعض المناوشـــات والمضـــايقات لأســـرته الحاكمة حتى وان أحد تلك المناوشـــات هي التهديد المصـــطنع بالقتل، ولم يفكر أن يكون الأمر كما هو ألان! ولكن الأمر الأن قد اخذ منعطفا اقوى، منعطفا أكثر خطورة فماذا هو فاعل ...؟

****

نظرة فريدة إلى صـــغيرها الراقد بلا حركة وقد أحاطته أسـرته الصـغيرة ، ومازال الصـمت يخيم عليهم إلا من صـــوت الدكتور عوني والدكتور ميلاد في تناول ســـرد سـر الأسـطورة .والكل ينصـت اليهم باهتمام ، وأخذت تلمس صـغيرها في لوعه ،وقد عادت الدموع تملأ عينيها فانســـلات منهما في صـــمت ، وأخذت تهمهم في لوعه ولم تفارق عينيها وجه صـــغيرها قائله :مهجة روحي اعلم أن طيفك لا يفارق خيالي حتى وانا نـائمـة ، أه لو كـان ذلك الأمير يتركك ويـأخـذني بـدلا منـك، لو طلـب روحي فداءك لقبلت بدون تردد – فاقتربت رضـوى واخذ تقبل يد أخيها في لهفه– وأخذت تلمس خصـلات شـعره المنســـدلة على جبهته في رقه وحنان ، و لمحتها أمها بطرف عينهـا تنظر إلى وجـه خطيبهـا الـذى أطرق في صمت تعلو وجهه علامات الحزن الأسى ، فرق قلبها لذلك الحبيبين فنادت ابن أخيها ،واطلقت ســـواعدها وأخذته في أحضـــانها معتذرة لما بدر منها ،فلم يكن جاجان ابن أخيها فقط ولا خطيب ابنتها أيضا ولكن كان في منزله أبنائها . وكل الأسرة تعلم ذلك.

إما هو فمازال واقفا بجوار باب الحجرة متخفيا بســـحره عن الأنظار يراقب في صـــمت منتظر الفرصـــة لينال مبتغاه ويحصـــل على فريســـته الثمينة التي تحمل حول معصمها حرف تعويذه العفو الملكي الذي انتظرها مئات السـنين، ولن يتركها أبدا. مهما كان الثمن الذي سـيدفع مقابل ذلك الأمر. فنظر طويلا، وقد غمرت ذهنه رعدة قصـيرة من الأسـى والعطف فمر بيديه على عينيه لكي

ينشط ذاكرته المرهقة، أو كي يقفز لتلك الذكرى المدفونة خلف جفنا عينيه، وقد غمره صـراع من التفكير العميق. ذكريات حياته ألتعيســة وتعلو وجهه الدهشــة من هذه الأم، فأخذ يسأل نفسه في صمت أيمكن أن تضحى تلك المرأة حقآ بحياتها مقابل حياه ابنها؟ وأيضــا مع كل هذا الأســـى الذي تحيا كيف لها أن تغدق بعواطفها على الأخرين؟ هل يوجد أم هكذا؟

ولم يمتلك إلى أن رق قلبه وأشـــفق على هذه الأم، وكانت تلك المشــاعر قد ماتت لدية منذ زمن بعيد. تلك المشــاعر الذي كثيرا ما نال بســببها عقابآ صــارمآ... نظر إلى فريدة في صــمت ، و لم تكن تلك الشـفقة في قلبـه كـافيـة لتعيـد قلبـة النور من جـديـد فمـازال هنـاك السـواد الأعظم محاطا بفؤاده ، فلم يتخلى عن صـيده الصــغير ألذى ســيطر عليه ، بفضــل ما علمه له ملك الظلام من التخفي وراء الأخرين حتى يهرب من مراقبه الملكة الأم ، علمه ملك الظلام السـيطرة على الأخرين والتنقل عبرة أجســـادهم ،حتى لا يتم ألتعرف علية ، أو أسـره هو الأخر فلم يكن جسـد يوسـف إلا وسـيله ليختفي بها ليستطيع الوصـول لداخل الفيلا كي يصـل إلى جاجان ، ولكن هذه الأم أعادت اليه ذكرياته ألحزينة فانطلق هاربا خارج المكان لم يبصــره أحد ولأول مره منذ زمن بعيد قد أضـأت احدى شـعيرات راسـة باللون الذهبي مرة أخرى ، وترك وراءه تلك البقعة ألتي يتركها دائمآ ، ولكن هذه ألمرة لم تكن بقعة من الدماء فقط بل كانت بجوارها أتلك البقعة الذهبية.....

برغم قلبها المفطور ولوعتها قالت فريدة: وماذا فعل الأمير الصـغير بعد ذلك؟ هل تعاون مع ملك الظلال؟ ... أجاب الدكتور ميلاد مبتسما: تقصدين ملك الظلام! قالت نعم هو ذاك. أكمل ميلاد قائلا نعم أخذ الملك الصـــغير يدور في حلقات حول نفســـه حلقات مفرغة، فأخذت الرياح تهب من كل جانب نحو مركز واحد هو المكان الذي يوجد فيه، حتى تحولت ذلك الرياح إلى عاصـفه كثيفة من الضـباب، فأخذ يدور داخل العاصـــفة مغمض العينين وقد أطلق ذراعيه مثل طـائر يحـاول أن يطير من قلب دوامـة أفكـار. واخذ يركز تفكيره في أركـان الجهـات الأربع حيث قلعـة المعدن كـان ينظر أبراجـه الأربعـة والتي تحـت حراســـة الملكـة الشـــخصـــية ألمشـــددة، وتذكر حدود ذلك المكان الضـــخم واشـتدت العاصـفة الهوائية حو ل الأمير الصـغير في قوه رهيبة حتى تحولت

إلى حلقـه مفزعـه من النيران الملتهبـة تـدور حولـه وهو مغمض العينين فيـدور بـداخلهـا دون توقف، وفي لحظـات كانت كل معالم المملكة وسـكانها كانت قد تجسـدت أمامه لتدور معه داخل اللهب كـان يحـاول الوصـــول إلى قلعه المعدن بأفكاره وحين يصـل أليها تتحول الصـورة إلى سراب لم يكن يسـتطيع الوصـول اليها. وحاول كثيرا حتى اختفت كل معالم المملكة وبقيت فقط القلعة كـان يحـاول أن يركز أفكاره عليها فقط ولكن حماية المكان أكبر من اســتطاعته الوصـــول اليها. نظر ملك الظلام إلى المخلوق الرهيب البشـــع الـذي يـدور في حلقـة النـار ورأى قوه الأمير ومـا يستطع القيام به، فأصابه الفزع وخر راكعآ في خشوع كانت

قوى رهيبة من السـحر لم يسـبق له أن رأى مثلها من قبل، لم تكن هذه ألقوه مثل قوة أي ملك ملوك الأرض بل كانت قوة رهيبة وجبارة كانت قوة سحر الملكة.

مضى بعض الوقت الذى أخذت فيه العاصفة النارية تدور في دائرة مفرغة ثم هدأت فجأة، وأخذ لون النيران ألحمراء المتشـرب بالسـواد يتحول قليلآ إلى لون أحمر متوهج لفح وجه ذلك الراكع ألمرتعش في خشـوع فلقد سـمع كثيرآ عن القوة السـحرية للملكة ،وأبنائها كما سـمع كثيرا من ملوك الأرض تلـك القوى المتوارثـة من الأجداد إلى الأبنـاء في هذه المملكـة ،وان توارث أيضـا أبنـاء الممـالـك الأخرى القصـص والحكايات حول تلك القوه السـحرية التي أثارت خيال القصـاصـين ، ولم يكن مثل ما شـعر به الأن من واقع ملموس كان حقا شـيء مخيف – سـحر به خطر غامض يحمل في طياته شـيء مريع . مما زاده حقدآ وغلآ للملكة وأبنائها.

وهدأ كل شيء وهنا أطلق الأمير ضحكه عالية مخيفه، ثم أخذ يتنفس بعمق وهو ينظر ذاك الراكع في خشـوع ينتظر أوامره ... فهل كانت تلك الضـحكة الشـريرة سـتغير حياته التي أصـبحت علية الأن؟ أم سـتجعل حياته أسـطورة مأسـاوية؟ وأسـتمر ينظر اليه مده طويله قبل أن يأمره بالنهوض، فنهض ببطيء شـديد رافع عينيه التي لا يوجد بهما سـوى الفراغ الأبيض بداخل ذلك السـواد المحيط به داخل عباءته السوداء التي غطت به كل شـيء من قدميه إلى أعلى رأسـه فأمتزج بالظلام العميق – وخرجت كلماته مرتعشـة من بين أسـنانه ألبيضـاء المشوبة بالسواد ومازال خـائفا مما رأى من الأمير الذي اقترب منـه وقد أطلق في

أذنيه همسه مخيفة. أصابته بالهلع الذي وصل إلى أعماق عقله ونفسه، فاعلق عينيه وأطلق صرخة عالية؟ ليتبعها الأمير بضحكه متقطعة شريرة.

****

وفجأة توقف انتباه الأسرة للاستماع للقصة فقد بلغ أسماعهم صوت حركة مريبة بالطابق الأرضي، فتجمدوا في أماكنهم مرهفين السمع من خلال باب الحجرة المفتوح، وتقدم جاجان وأخذ يسرع في بهو غرف النوم حتى وصل إلى الدرج فوقف، وتملكته الدهشة والخوف، واخد يصيح من أعلى من هناك؟ من في الأسفل وأسرعت ضربات قلبه من الخوف فانطلق عائدا إلى حجره يوسف حيث كانت الأسرة مجتمعة هناك، ولم يستعيد أنفاسه المتسارعة حتى اقترب صوت خطوات أخذت تصعد درجات السلم للطابق الثاني، في بطيء وقوه فأشار جاجان ومازال يلهث هناك شبح بالأسفل وهذا صوت خطواته صاعدا ألي هنا ....

فشهق الجميع وأسرعت ساره مندفعة فإرتمت بجسدها النحيل على باب الغرفة لتغلقه لكنها لم تستطيع أن تكمل أغلاق الباب فقد دفعها للداخل ما كانت تخشى أن تراه وأصبحت وجها لوجها أمام ذلك الشبح الذي أفزعهم فاحتضنت فريدة ابنها النائم بلا حركة واقتربت منها سارة ورضوى فالتحم ثلاثتهم وساد الصمت إلا من صوت أنفاسهم اللاهثة ودقات قلوبهم التي ارتفعت دقاتها.

نظر الدكتور عوني للشبح وقد أمسك بيد جاجان وجعلة خلفه تماما كي يحميه كما كان يشاركه في ذلك الأمر

دكتور ميلاد حتى صـنعا حائطآ من أجسـادهم اختبأ خلفه الفتى خشـــية أن يكون الأمير ألهارب ، ولكن كان ذلك الشبح غريبآ عليهم لم يشاهده أحد من قبل ،واقترب الشبح فاتخذ وسـط الحجرة مكانآ له كان ذو هيئه مهيبة يرتدى ملابس فاخره تحمل مظهر ألقوة والسـطوة ذو شـعر طويلا أشيب به بعض الخصلات الذهبية اللون تتطاير وراءه لتمس صـــولجانا عظيما من البرونز اللامع حمله بيده ، وقد نقشت عليه بعض الطلاسم والحروف الغريبة ،ونظرا اليهم في تعالى نظرة كنظرات الملوك إلى رعاياها ،و ارتفع ذقنـه إلى أعلى قليلا وقـال : أمـامكم الكـاهن الحكيم أنى أعلم فيمـا تفكرون ا ولكنى أتيـت اليكم بـأمر ملكي فجلالة الملكة تتطلع إلى مسـاعدتكم حتى لا يتم قراءه العفو الملكي ،والخاص بحرية أمير ألشعوب ،و التي تحملها يد الفتى كما نعلم جيدآ كل ما يدور هنا ، وكل من يشـــارك في الأمر ولذلك يجيب إلا تقرأ تعويذه العفو الملكي ، أيضـــا يجـب عليكم حمـايـه زوجـة الفتى – فصـرخت فريدة وأمسـكت ابنتها بشـدة وأحتضـنتها في قوة وفزع واتسـعت عيونهم من الدهشـة وسـأل ميلاد صـديقة متوجســا حقيقة الشــبح ! فقد كان ميلاد وعوني يعرفون هيئه الكاهن الحكيم منذ زمن بعيد من خلال قصـــه كبير القبيلـة الأفريقي كما كـانوا على علم أيضـــآ بـأن الكـاهن الحكيم يتخذ هيئه طائر الصـــقر فقط، وهو لا يتدخل ألا مع طيور البوم الذي هم جنود الملكة السـريين فقد كانت الملكـة والكـاهن الحكيم وأمير الجيش يحموا مـا تبقى من المملكـة التي أخفت الملكـة معـالمهـا حتى ينتهي الأمر. لكن أن يظهر الكاهن الحكيم بهذا الهيئة!

فقد أثار ذلك حفيظتهم والتحموا بالفتى أكثر واستشعروا شـــيء مريب – نظر إليهم الكاهن بطرف عينيه فظهر شيء غريب لم يستطع عوني أو ميلاد تفسيره سريعا لم تسعفهم الذاكرة على استعاده كل تفاصيل الأسطورة فقط كانوا يشـعرون أن هناك شـيء خطير يحاصـرهم، كان صـولجان الكاهن يبدو غريبا بعض الشـيء برغم هيئه الرجل المهيبة إلا أن هناك شـيء غامض؟ لم يترك لهم شبح الكاهن وقتا كثيرا، فقد أستشعر ما يدور بينهم وأراد إنهاء الأمر سريعآ قبل أن يستعيدوا ويتذكروا شيء من تفاصيل الأسطورة، وأشار الكاهن إلى رضوى لتجلس أمامه، وأنطلق من الصـولجان الذي يحمله نورا خافتا قال: هذا الضـوء سـيدور حولها لحظات ثم يختفي وذلك حتى نحميها من الأمير الهارب فلا يتعرض لها ولن يشـاهدها أيضـآ بفعل السـحر حولها، أما غير الأمير وأعوانه سـتبقى كما هي. وتوجسـت ألاسـره، وتعالت الصـيحات خوفا من أن يكون الأمر خطير، وهنا حاول جاجان اختراق ذراع عمه والدكتور ميلاد للخروج من خلفهم ومنع الشبح من المساس بخطيبته، وأرتفع الصياح والصراع ولكن ظل شبح الكاهن كما هو لا يتحرك تعليه القوة والهيبة فظل صامتا، ثم قال أريد جوابا سريعآ ألان هل تريدون حماية الفتاه؟ أم يمكنكم حمايتها بأنفسكم وتتحملوا ما يحدث لها؟

لم يستطع أن ينطلق أحد كما لم يستطع أن يتحمل أحدهم مسئولية ما قاله شبح ألكاهن، أن كان كلامه على حق، وكان هناك ما يهدد حياة الفتاة؟ نظرت رضوى إلى أفراد

أســـرتها وانطلقت مندفعة نحو الشـــبح لتقول: نعم أريد الحماية ولما لا؟ إذا كان ذلك في صالح أسرتي.

اقتربت رضـوى من الكاهن الحكيم ألذى أمرها بالاقتراب منة أكثر قليلا، وأن تخفض رأســها إلى أســفل، وكانت نظرات الأسرة كلها متعلقة بالصولجان الذي قربة ألكاهن من رأسها فلمسها من أعلى، وفجأة تحول الكاهن العظيم في لمح البصـــر إلى عباءه من الظلام الأســـود حول رضـوى واتحدا معها في قوة وسـرعة، واختفى معآ تماماً في ذهول ألاسـره ألذى أرتفع صـراخ أفرادها، تاركا خلفه ضـحكه شـريرة فقدت فريدة على أثارها ابنتها، ومادة بها الأرض ففقدت وعيها.

****

مضت أيام عديده، وقد أرخيت ظلال الحزن ستائرها على ذلك المنزل، وانتهى شعاع الأمل الذي تنتظره العائلة من ميلاد وعوني، وألذى فشـــلا ألي في حمياتهم، من ذلك الرهيب الذي لا قبل لهم به. فمنذ اقتحم ملك الظلام المنزل متخفيا ومتخذ من هيئة الكاهن الحكيم غطاء له بحيث لا يراه جنود الملكة بالخارج –

الظلام ذلك البعد البعيد خارج الأرض ،والذى يتم نفى كل متمرد، وكل مهزوم من ملوك الأرض وذو المناصب ألعليا بالممالك هناك يجتمع الجميع ليتحولوا بعد ذلك إلى ظلال ســواد، فيتم تعطيل قوة الملوك الســحرية، وأيضــا يتم منعهم من اسـتعمالها في اختراق السـجن أو الهروب منة والعودة مرة إلى الممالك والعروش ، ومنذ صـنع السـجن

الأسـود لم يسـتطع أي سـجين من سـجناءه الفرار منه ، والعودة مرة أخرى ألي عرشـــة ،وان لم يكن ذلـك من الصـــعب فمن المســتحيل أيضـــا عليهم ،وقد كانت هناك شـروط تم وضـعها في وثيقه أثناء بناء السـجن اشـترك في وضـع شـروط الوثيقة كل من شـارك في بناء السـجن من كل ملوك الأرض ليحموا بذلك شـــعوبهم وأوطانهم من كل معتدى فكان المنهزم منهم يتم ســـجنه هناك من قبل الملك المنتصـر بشـرط أن يكون هو المعتدي ،أما أن كان هو المعتدى عليه، وقد انهزم فيترك حينذاك بدون ســـجن، وكانت شـــروط الوثيقة تنص على ذلك أولآ: في حاله النداء وهو اســتدعاء أحدا من خارج الســجن ملك من الملوك السـجناء ، وسـمع ذلك السـجين نداء الأرض و ذلك حسب قوه السحرية التي تم تعطيلها هناك ، فأن كان من الملوك الأقويـاء ســـابقا بقيـت معـه قليلا من قواه السحرية ، وان كان من الملوك الضعفاء تعطلت تماما قواه السـحرية ،وهنا لن يسـتطع سـماع النداء فقد صـار ظلا تائها يجوب في سجن الظلام .

أما ثاني بنود الوثيقة فينص على: في حاله ســـماع الملك القوى النـداء عليـة اقترب من أحـد أبواب الســـجن، وقـد أطلقت قواه الســحرية شــعاع من نور طفيف إلى الأرض ليكون ممر للـذي ينـاديـه ليتمكن من العبور عليـه ثم الصعود إلى سجن الظلام.

أما ثالث بنود الوثيقة الســـحريـة فهي تنص على: أن صـــعد أحداهما على الممر حيث ســـجن الظلام فقد لا يتمكن من العودة، وقد يظل حبيســـا هو الأخر إلى الأبد

ويتحول أمره إلى ما تحول اليه الملوك السابقين وكي يتمكن من العودة إلى عالمه مره أخرى عليه تحرير الملك السجين الذي قام باستدعائه من الأرض، كما يجب أن تتحد قواه السحرية مع ذلك السجين، والذي يمتلك القليل جدا من قوى سحره السابق، ويهربان معآ خارج سجن الظلام.

ولم ينتهى أمر الملك ألسجين عند هروبه من السجن ، ولكنه سيجوب الأرض ظل أسود بدون روح ،وحتى يستعد صورته مره أخرى عليه استيعاد ملكة وعرشة السابق مره أخرى ، فاذا تمكن من ذلك عادت اليه قواه وسحرة ،وأيضا هيئته الملكية فور الجلوس على كرسي مملكته مره أخرى ،ولكن أن مضى على هروبه مدة مولد قمرين في السماء ، فعند مولد القمر الثاني يصبح ظلا إلى الأبد ،ولن يتمكن ابدأ من استعمال قواه السحرية مرة أخرى ، وهنا سيجوب الأرض ظلآ إلى الأبد ، ولذلك يحاول بما تبقى له من القليل من السحر مساعده الأمير، وان بدا ذلك في ظاهر الأمر، ولكن في باطنه يبدو الأمر مخيف.

هنا لاحت له تلك الفكرة السوداء الذي قصها على أمير الشعوب إختطاف أحد إفراد الأسرة وإخفاؤه حيث يستعد الأمير حروف وثيقة العفو الملكي بغايه السرعة قبل حلول القمر الثاني وإلا سيتحول هو إلى ظلآ اسود يجوب الأرض إلى الأبد، وكانت رضوى من أراد اختطافها فهي الشطر الأكبر من قلب جاجان.

****

و لم يأتي اليوم بالجديد كاليوم السابق على هذا البيت فكانت الأجواء تبدو هادئة بعض الشيء مازال النهار كما هو حيث يجوب الصقر حول النوافذ ثم يتخذ مجلسه إلى غروب الشمس حول نافذه جاجان ،ومازال الليل كما هو حيث تجوب طيور البوم متنقله من شجره إلى أخرى ، ومن مكان إلى مكان كانوا يقمون بالحراسة في دوريات مكثفه حول المكان ،و لم يكن أي شيء غير عادى في المكان منذ ثلاثة أيام مضيت منذ ذلك اليوم الحزين الذى لم تتحرك فريدة من مجلسها السابق بجوار ابنها الغارق في غيوبته ، والان ابنتها التي لا تعلم أين هي ؟ أو ماذا حدث لها؟ وقد جفت دموعها وتحجرت مقله عينيها ، فأصبحت مثل التمثال الحزين الذى لا يتحرك فأصبحت جسدا بلا روح ، ومنذ ذلك الحين لم تتركها ابنه أخيها سارة ألذى انتقلت إلى حجرة عمتها وظلت معها ليلا ونهار ، كما أنهمك الدكتور عوني والدكتور ميلاد ومعهم الفتى ليصبح تحت أعينهم وفى حراستهم من دراسة كل كبيره وصغيره قاموا بتدوينها خلال البعثة الاستكشافية مع كبير القبيلة الأفريقية ،أو مع أهل قبيلته ، أو أي أحد عمل معهم أثناء البعثة عن تلك الأسطورة ، وانتهوا حين وقف الجميع ، وهبت عاصفه تطاير معها كل الأوراق التي أمامهم وذهبت حجره المكتبة معها في دوامة رهيبة لمرتين متتاليتين – أجلس الدكتور عوني والدكتور ميلاد جاجان بالكرسي الذى يتوسطهما تحسبا لأى شيء قد يحدث مره أخرى ، وقد أستسلم جاجان لأمر عمه فمنذ فقد خطيبته فقد معها قلبه وروحه ، وحاول كثيرا فك وثاق معصمه واطلاق حروف المخطوطة

لنداء الأمير الهارب لقراءة وثيقه العفو، ولكن لســـبب ما كان يجهله جاجان فلم يصـل ما يقوم به من محاولات إلى الأمير، ثم يقوم عمه وصــديقه بربط معصــمه مره أخرى ،ومنذ ذلك اليوم أصبح تحت حراستهم طوال ألوقت ، كما أصـبح غير قادر على الإنفراد بنفسـه لحظه واحد لأطلاق حروف المخطوطة واستدعاء الأمير وعودة خطيبته .

****

منذ أطلق الأمير الهارب تلك الهمســة المخيفة في أذنيه، والذي أصــابته بالهلع الذي وصــل إلى أعماق عقله ونفســه فاغلق عينيه وأطلق صـــرخة عالية ليتبعها الأمير بضـــحكه متقطعة شـريرة ومنذ ذلك الحين .لم ترتاح نفسـه ، وأصـبح كثير القلق ، وأخـذ يفكر وقد اتخـذ ركنـا في أقصـــى كهف الأمير الهـارب ،وأنزوي على نفســه حتى اصــبح مثل كتله من الســواد غير محددة المعالم فضـم عباءته حوله في قوة ثم أسـقط راسـه على ركبتيه كان يعلم أن للملكة قوة ســحريه غاشــمة في إســتخدام الكلمات والرموز وتحويلها إلى طلاســم لا يســتطيع أي مخلوق المســاس بها فكانت تحبس القوى الخفية في الرموز . كانوا ملوك ذلك الزمن على دراية بفنون وعلوم السـحر التي أصـبحت مقصـور فقط على الملوك وحجبت عن العوام من الرعية خشـية اسـتعمالها في غير موضــعها فقام كل ملك بجمع قوة شــعبه السـحرية وإخفائها تماما في مكان لا يعلمه إلا هو فقط، وأيضـا فعلـت الملكـة مثلمـا فعـل كـل الملوك وكـان ذلـك ميثـاق بينهم جميعـا ... أمـا مـا رأه اليوم من قوة الأمير الهـارب ، فتـأكـد تمامآ وأصـــبح على يقين أن ما يتناوله الملوك من قدرة الملكة وأبنائها للســحر أقل بكثير مما شــاهد بنفســه ، فقد رأى قوه لا

يســـتهان بها أبدا قوة واحده من ثلاثة قوى بالإضـــافة إلى قوة الكاهن فيكف ســتكون تلك القوى لو تم اتحادها معا مره أخرى؟ سيكون ذلك نفوذا قويا وسحرا رهيب.

****

ما الذي يجعل الأخر قادرا على قرأه أفكارك؟ ما الذي يجعله قادرا على النظر إلى شيء ما فيتحطم؟

أخذ ملك الظلام يفكر في الملكة وأبنائها ، ولم يجول بفكرة يوماً أن يكره أحد أكثر من كراهيته لابن الملكة الأمير ألصغير فكلما تذكر همساته في أذنيه، وضحكته الساخرة كان يشعر بالضيق والغضـــب والحقد ، فكان منذ لحظات ينظر للأمير الهارب في قوه ويكاد أن يطير من الســـعادة عندما اســـتجاب له في كل خططه دون علمة بذلك الخطط فكان يحركه على الطريق الذى يريده دون أن يشـعر بذلك ،وكانت استجابته من قبل لم تجعله يشـعر او يفكر في معرفة الأمير بخططه او نواياه ، ولكن في لحظة همس فيها بأذن ملك الظلام و ردد على ســـمعه **أعلم جيداً ماذا يعنى لك مولد القمر الثاني في الســـماء** ؟ نطقها، وانطلق تاركا إياه يســـبح في تفكير قاتل. فكيف له أن يعلم بالشـيء الذي يخشـاه؟ كيف له أن يكشـف سـر نقطة ضـعفه؟ وهل يمكن أن يستغل ذلك ...؟ وهل كان يعلم أيضا ما يخطط له ويسـخر منة؟ وهل هناك أشـياء يعلمها وأخرى قد لا يعلمها ؟؟ وغرق في أفكاره السـوداء التي لا تقل سـواد عن سـودا قلبه والسواد الذي يعيش فيه.

إقترب مولد القمر الثاني فكان عليه العمل بأقصـــى جهد كي يتمكن الأمير الهارب من الســـيطرة الكاملة على الفتى ليقرأ

تعويذة العفو، ويستعيد حقة في الملك ويستعيد ملكة هو الأخر. بدون الحاجه إلى ســـرقه قلعه المعدن النفيس ألان ،فاذا نال الأمير العفو الملكي بعد ذلك يمكن مســـاومته على كمية من المعدن كما كان يطمح دائماً لذلك الأمر ، واقتراب مولد القمر الثاني لم يتبقى له ألا ألقليل من بقايا الســـحر الذى تمكنه من الإختفاء في صـــور أخرى لكى يســـتطع الوصـــول إلى مبتغاه فتلك هي الطريقة الوحيدة المأمون عواقبها ألان ، كما أنه لا يستطع استعمال بقايا سحره أيضا في أشياء أكبر من ذلك ،أما اذا حاول فســـيتكون ألهزيمة هي مصـــيره ألمنتظر ولو تكالبت عليه مجموعه صغير من البشر، أو الحيوانات الضالة لاستطاعت في ذلك الوقت الانتصار عليه بسهولة ، كان يدرك هذا الأمر جيداً ،ولذلك يعمل بكل جهدة قبل مولد القمر الثاني من مســـاعدة الأمير الهارب في الاختفاء بداخل الظلام ،أم سيكون مصير هذه الخطة ؟ حتى يتمكن من إضاءة حروف المخطوطة المطوية على يد الفتى ليســـتعيد الأمير حقه في الملك ثم يكمل هو باقي خطته. ولكن ما يخشـــاه الأن، وما أصاب نفسه أيضا بالشك والريبة هل تمكن الأمير من معرفه ما يدور في نفسه؟ ويمكر له وللأسرة الحاكمة؟ هذا ما ستجيب عليه تصرفات الأمير الفترة القادمة.

****

نعم اقترب ميلاد القمر الثاني في الســـماء الذى يحمل معه خيرا كثيرا لتلك الأسرة الحزينة الذى إنعزلت عن الدنيا بفضل جنود ملك الظلام الذى أحاطها من كل جانب ،وعزلها تماما عن القرية ، فكانت أبوابها الداخلية قد سدت وطمست معالمها بواسطة السحر أما خارج أســـوارها فكان أهل القرية يجبون حولها ذهابا وإيابا دون أدنى

تغير في شـكلها ، وعندما انقطع الجنايني عن الذهاب الأسـبوعي لسـوق القرية ، وأيضـا عدم تردده على منزله بالقرية حاول جيرانه السـؤال عنه فذهب بعضـهم إلى "فيلا أمون " حيث يعمل هناك ،واخذ يطرقوا بابها فلم يستجب أحد ثم قاموا بضغط مفتاح الجرس ،ولكن هيهات لم يستجب أحد أيضآ فارتابوا أن هناك أمر ما ،وقد رحل الدكتور إلى القاهرة وأصـطحب معه الجنايني كما كان يفعل، واستسلموا لهذه الفكرة و رحلوا ، لم يكن يعلم احد او يخطر بعقله أن حكايات الأجداد حول الفيلا كانت صحيحه وكانت أكبر وأخطر مما يخطر على عقولهم .

نعم اقترب ميلاد القمر الثاني، ولم يعلم الجميع شيء عن هذا السر الرائع الذي سيحدث انفراجه في حياتهم،

وقد يذهب الظلام الذي أحاط أسـوار الفيلا إلى الفناء البعيد يذهب بلا رجعه ... أيضـا لم يعلم الأمير الصـغير أن مع ميلاد القمر الثاني قد يضعف سحره أيضا في مواجهة الملكة الأم، والذي تمكن منه الغرور والحقد فلننتظر وسـوف نرى ما يكون من الأحداث القادمة

أما الملكة فكانت على دراية بكل ما يدور حولها عن هذا الموضـوع وذلك بفضل قواها السحرية. كان يمكنها أن تنهى تلك المسائلة في لحظات قليلة، ويتم القبض على الملك الهارب من سـجن الظلام. كما كان يمكنها أن تسـتعمل القوة المفرطة معه. ولكنها كانت تعلم جيدآ ما سيفعل وما ستكون نهايته، كما تعلم أيضا ما قد وصل إليه الأمير الصغير في تلك الأحداث.

ولم يعلم أحد مما حولها سـوى الكاهن الحكيم أن سـحر الملكة في أدنى مستوى من القوة ألان، ولم يتبقى منه ألا القليل فكانت تساعد

به جنودها السـريين من التصـدي من الهجوم عليهم وحماية الفتى حتى لا يقرأ أمير ألشـعوب تعويذة العفو أما باقي سـحرها العظيم بالإضـافة إلى بعض من سـحر أمير الجيوش وسـحر الكاهن فقد تم اتحادهم معآ في إخفاء المملكة بشـعبها وكنوزها عيون مغتصـب يريد هزيمه المملكة والاسـتيلاء على معدنها النفيس، وإلى أن تمر تلك ألمحنه التي تمر بها البلاد من تخطيط ملك الظلام وأبنها ألسـجين للعدوان على المملكة بسـلام ، فقد كان أمان أحد أركانها الأربعة حتى تمكن منة الظلام ، واخذ يجوب الدنيا فسـادا بعد فراره من السـجن الملكي ، واسـتعاد أيضـا بعض قواه السـحرية ،والتي حجبت عنه فإستعانت بها الملكة في بعض الأمور الأخرى .

الجميع ينتظر مولد القمر الثاني بعضـهم في تفاؤل وسـعادة وبعضـهم في رعب قاتل.

****

نهض من فراشـه ليفتح النافذة ويعب من هواء الليل البارد، أخذ عدة أنفاس قويـة، وكـأن حيـاتـه رهنـا بهـا... نظر طويلاً لتلك الظلمـة التي ذهبت تلف المكان في ذلك الليل، فلم يكن مصـدرها غمامة الليل. بل عباءة الحزن التي طوقت روحه فأخذ يناجى حبيبته في صـمت يناجيها بهمسـاته قلبه. ما عاد للحياة طعم أتلذذ به، ولا رائحة أنتعش بها، ولا حتى لون يشـع بالسـعادة، بات كل شـيء باهت الألوان، بل شاحب كالأموات، وهل الحياة ألا هي؟

نـادم يـا من كنـت حُلمي... بـدونـك. نعم بـدونـك. لا يمكن العيش لا يمكن أن أنجح. بدونك لن تكون هناك حياة. واسـتمرت عبراته عبر النـافذة تـابعها في الهطول بعد ذلك ملوحـة دموعه التي نزفت دمعه من جفنيه فانسـبت على وجنتيه كأنها تواسـى لوعه قلبه وتطفئ

بعض نيرانه المتقدة، فمحاها بيده كان لا يحب أن يرى أحد نزيف قلبه على فقد حبيبته، ومع فقد ما نحب تفتح صـــناديق الذكريات المعطرة بأفخر أنواع العطور تجوب بنا في ســـماء الحنين والوجد والأســـى. حاول أن يخفى لوعه قلبه المفطور أمام عيون أســـرته فاتخذ من ستار الليل مسرحا يجوب فيه في ذكريات الحبيبة الغالية ...اخفى ذلك ولكن كان الجميع يعلم لوعته،

يجب ألا أستسلم لألم الفراق إلى أخر نفس من حياتي... يجب أن اســتعيد "رضــوى" نداء أخترق حواجز الصــمت الذي ارتداه منذ فقدها فأخذ يصـــافح ذكرى الماضـــي، ولكنى أشـــعر بوهن يثقل روحي من هجوم الماضـــي الذي يكتســـح كل دروعي المهتزة فقد كـانـت هي من يقوى دروعي وصـــــاح لم أعـد أحتمـل" شـــقت كلماته المنبثقة من رحم الوجع طريقها إلى أذنه. لتجبره على رفع رأســـه بتعابير تبعث بالقلق إلى قلبه مما ســـوف تحمله هذه الذكريات من أوجاع في طياتها .وعاد ليقطع سلسلة الصمت: "أعتقد بأنني صـــبرت بما فيه الكفاية" ثم صـــرر على أســـنانه والحنق يتفشـــى بأوصـــاله، وقال يحاول أن يلجمه عن الانفجار حين تذكر ذلك الغاصب الذي حول حياته وحياه أسرته إلى جحيم لا يطاق، ثم هدأ قليلآ من ثورته النفسـية قائلا في عار: أو يكون أنا ذلك الأحمق الذي أودى بهم إلى ذلك المصـير؟ وطأطأ رأسـه في خزي وقال واللهيب يشـــعل بقلبه كم أردت بأن أرديه صـــريعا واحتقن وجهه بحراره الدماء.

ليهوي بقبضـــة يده على طرف حافه النافذة الذي يحتضـــننها. مغمض الـــــعـــــيـــــنـــــيـــــن بشـــــــدة...
في معمعة لا تنتهي من علامات الإســتفهام الآتي تســتجدي جوابا . ليفتح بغتة عيناه اللتان تقذف شررآ.

وشعور يمزق روحه. يكاد يقطع أنفاسه بنصله الحاد، ولم يشعر إلا وخيوط الشـــمس تهجم عليه رغما عنه فتهزه من ذكرياته ومن خياله الجامح طوال الليل فأغلق النافذة وتقدم ببطيء يثقل خطواته فيستدل ستائر جفونه رغما عنه منهك القوى وقد ألقى بجسده على فراشه مره أخرى.

لا يعود يقتحمها من جديد غصبا، وقد سمع صوت عمه يعصف على أذنه، فقام من مترنحا وقد ضرب بأوجاع جسده المتألم عرض الحائط. فأي نوم سوف يزور جفونه بعد هذه الليلة !

زمن النوم قد أنتهى. وجاء زمن الســـهر المضـــرج بدماء الأحباط . حتى أن أنفاسه بدأت تصير ثقيلة على رئته، فأراد بأن يمسك حافه باب الحمام الذي بينه وبين ســـريره عده خطوات بتلك الغرفة الذي يرقد بها. إلا أن الباب قد صـــــدمه بعنف. ليهز خيالي المريض بحقيقته المرة. بأنها قد باتت في عالم غير عالمه، وأن الإنتصـــــار على عدوه أمر من الصعب إن لم يكن من المستحيل فغرست أظافره على وجه الباب، وهو يتهاوى رويدا رويدا صوب الأرضية الجرداء خلف الباب الذي وصده خلفه ببطيء، وكأنه لم يصدق أن ما يحدث حقيقي، وانه ليس كبوس تجثم على صـدره .كل يوم يصـحو يتمنى أن يكون حلم ولكن للأسف هذا واقعه المرير ليزيد ذلك من انكماشه في قوقعة أحزانه بدأ من ذلك اليوم الأســود كظلمة الليل، وقد أحس بأنه بجلس على أشــواك زفر الهواء من صـــدره محاولا بأن ينفث بعض أوجاعه المحتلة كامل جســـدي.وأن يغالب دمعه الذي بدأ يغشي بصري بغمامته .ليخترق سكون الصمت فمازال سياط عيناها مازال يألمه واخذ يحدث نفسه آآآآآآه يا قلبي. وكيف أنسى ؟!! لقد وقع من عرشـــه، وصـــار في الأرض من روعه عليها. وهو يراها تصـــرخ دون أن يعرف كيف ينقذها وإختفت أمام عيني وأنا مربط

اليدين لا أقوى على فعل شيء لها حاولت أن امسك بها. وأنا أناديها وقلبي معي يصرخ فلم يأتني منها سوى الصمت .الذي أخترقه نظرة من عينيها اللتان رأيت فيهما الخوف قد خرجت من محجريهما من الفزع لأول مرة في حياتي كما رأت كيف انسابت الدموع من عينيها اللتان لم تهجران وجهي إلى أن اختفت، فأحس بغصة البكاء تعتلي حنجرتي وقد جفت الدماء في عروقي، وتخدر جسدي، وأنفتحت عيني على مصراعيهما .غير متمكن من تجميعي الكلمات على بساط لساني من هول الصدمة أمام ذلك الشبح الأسود هنا أنقطع آخر خيط في عقلي –لكن للأسف. للأسف الشديد أنا. أنا الطرف الضعيف في هذا المكان ... لهذا بكل ذلل العالم كم كره نفسه حينها، وتمنى بأن تنشق الأرض وتبلعه. مطأطأ الرأس ذليلاً.

وأطلق أهة ألم أنفجرت من روحه الملتوية على جمر اللوم، والأسى وصلت لقاع الأحزان في قلبه، ولم يشاء أن يعلم عمه انه لم يغمض له جفنا منذ ليله أمس، ولم يعلم جاجان أن عمه أيضا لم يغمض له جفن، فكان يرقبه في صمت منذ أن فتح نافذه الغرفة، فمنذ اختطاف رضوى قد اتخذ ثلاثتهم عمه وهو ودكتور ميلاد من غرفه عمه مكان واحد للنوم معا فقد كان عمه وصديقه يجدوا بدآ من ذلك الأمر لحماية جاجان الذي حاول كثيرا فك وثاق يده واستدعاء الأمير لقراءة تعويذه العفو وإطلاق سراح رضوى من ذلك المصير الذي لم يعلم عنه شيء. أبتلع ريقه الجاف حين سمع طرقات عمه على باب الحمام وقام ببطيء ممسك بمقبض الباب

وأخذت نظراته تدور بالمكان وأنتزع يده من سكونها فالتقط منشفته وراح يغتسل، فأمتص الهواء بصعوبة وهو يرخي أجفانه أمام تلك المرايا الكبيرة التي تعلو حوض غسل الأيدي، ثم نظر متحديا نظرة يملأها الإصرار،

فلم يفقد بعد كل وسائل دفاعه، ولم يكن ليرضى بفقد حبيبه العمر ونور الحياة فأخذ يردد متحديا هي لي. لي وحدي ... لن أسمح له بأن يحدث لها أي مكروه. ما حييت، ولابد من إستعادها مهما كان المصير مهما كان الثمن الذي لابد من دفعه. لقد كان هذا صوت العزم والأصرار الذي تفشى في داخله. يحثه على الصمود. وعدم إفلاته، فإفلاته يعني بأنها لن تعود إلى محيط حياته البائسة، وكيف الحياة بدونها؟ وهذه الفكرة لوحدها كانت كافيه بأن تدب فيه روح الأمل روح القتال فغرس أظافره في منشفته ودس وجهه بها الذي بات مبللاً وفتح الباب. فالان توصل ألي يقين بأن المواجهة لا بد منها. نعم امتلك ما يريد ويمتلك ما أريد.

بخطى تزحف زحفآ على بساط الأرضية، وصلت إلى غرفة المعيشة. ليجد السفرة وقد جلس حولها عمه وعمه ميلاد فقط أما عمته فريدة وأخته سارة منذ أختطاف رضوى، وغيبوبة يوسف بفعل السحر لم يبرحا حجرتهم ونظر إلى حيث كرسي حبيبته بجانبه مازال خاويا وأخذ يتذكرها تترصع بلآلئ البسمة. وعينيها ترسما البهجة. لتخطو مقتربة منة والبسمة لا تهجر شفاهها اللتان كالتفاحة المحرمة. فيجد تفاحة أدم الخاصة به تعلو بشق الأنفس وتهبط. والنفس يتثاقل في خطاه وراء صدره. والقلب يرفرف لهفة وشوق لضمها. وهي بتلك الهيئة الساحرة. برموش عينيها الكثيفة الآتي كجناحي عصفور ترفرف فيصرخ الفؤاد لاقتناصها، والكحل العربي المرسوم بريشة فنان حول عينيها الزرقاوين يلهب الأحاسيس الآتي يكتمها، وشعرها الليلي الذي ينسكب كشلال مظلم لتطال أطرافه وجهه كلما تحركت بجانبه وصوتها يحدثه بنعومة الموسيقى الحالمة بكلمات هامسه

لا يســـمعها ســـواهم على طاوله الطعام وهى تتناول بعض الطعام لتضـعه في صـحنه تفضـل حبيبي الفطور لن يكون له طعم بـدون تواجـدك ، فلم يســـتطع أن يبعـد عينيـه عن تلـك الحوريـة التي تجلس بجواره لتمتزج ضـــحكتهما معآ في نفس المكان والزمان ،وقطعت خيط الوصـــل بيننا ذلك ألهارب عبر الزمان وغمد خنجر من نار في فؤاده .

أخذت يغمض ويفتح عينه بسـرعة الضـوء كي يتأكد بأن الذي يراه حقيقية وليس ذكريات يحيى عليها الأن وياله من شـــعور تغمره الفرحـة اعتراه بتلك الذكرى ... جعلـه ينســـى ولو لوهلـة مصـــابة الجلل، وقطع ذكرياته لحظة حيرته التي مزقته وخلفت ورائها بقايا إنس صوتها وعمه ينادى ويسأله، وقد أرتسمت على وجهه علامات الإشـفاق على هل هناك شـيء لماذا لا تتناول طعامك؟ كان يسـألنه، برفق قال : وقد أخذ بصـره يمشـط أرجاء وجهه، وكأنه يريد بأن يقرأ أفكاره ، وأن كان الإرتباك في وجهه قد أحدث فوضـى عارمه ، وهو ينشر نظراته في أرجاء المكان بدون هداية ويضـــع أناملة فوق رأســـي وحني رأســـه للوراء ثم أطرق براســة الذي ثقل وزنه فجأة حين تذكر اقتحامه ذلك اليوم للحجرة المحرمة ، فأصـــطبغ وجهه بلون الخزي ... ففعلةّ لا يغتفر ولم يكن يعلم أن ثمن فضـولة سـيكون كبيرآ ورهيبآ بهذا الشـكل الدامي وسـاد الصـمت لثواني أنحاء الغرفة –تمني أن يفيق من هذا الكابوس فقد أصبحت جسد خطفت منه الروح ... يمشي على خيوط القهر

المُتتابعة دون أن يشـذ عن مسـارها المرسـوم على يدين ذلك المجهول لم يعد يعلم ما طبيعة الشـــعور بكل ما حوله من الأشـياء، أو الأيام ويكاد يجن... ثم تناول كوبا من الماء أخذ

يشربه بشراهة غير مسبوقة، وكأنه أتى من صحراء بعيدة حتى أن الماء أخذ يتســـرب من زاوية فمه ... ســـالكا دربه على ثوبه ســـعيّا لا رضـــاء حلقه المشـــتعل جفافا وشـــوقآ للحبيبة المفقودة.

وعاد عمى ينادى من جديد، وتبادلت نظراته مع الدكتور ميلاد خوفا وإشفاقا به فقد كان يعلم جيدآ خبايا نفسه ولوعته لفقد حب العمر وابنه عمى ورفيقه دربه.

حين رفع رأســه من حضــيض الاســتســلام بعد أن أخترق فكره المكبل بالوجيعة سهم قرار حاسم أنطلق من قوس صاحبه، فهل حقا يعلم عمه كل ما يدور بخاطره؟ أم هناك جديد؟ لم يعلم عمه أن هناك عهد قد أخذه على نفســـه وهو اســـتعاده حبيبته وليكن الثمن ما يكون؟

وعاد صوت عمة مره أخرى ليكسر ما تبقى من جليد الصمت فأحل مقلتهّ من القيد الذي ربطهما واجبه قائلا في اقتضـــاب: لا تخف ياعمى فمازالت أتنفس وأنطلقت زفره ألم شــقت طريقها خارج القلب الذي ســكنته الأحزان، ورجعت عيناه تســبحان في شـــرود عميق –نظر ميلاد لوجهه جاجان، والذي قد أصـــابه الشحوب، وتبدلت معالمه النضرة بقوه الشباب، وقد تجعد محياه الذي أثار الشجن، وانتشرت بعض الشعيرات على شاربه وذقنه التي لم تهذبه أله حلاقه منذ اختفاء رضوى حتى طعامه أصبح لا يتناوله إلا بعض ألحاح من عمه أو دكتور ميلاد. كان ميلاد وعزمي في هلع كبير من حزن الفتى الدفين الذي لا يبوح به أو يتكلم عنة، ولكن أصــابه الصــمت والشــرود طوال الوقت دائما كانت عباءه الســكون تدثره في جلوســه، وبنصــف عين نظر

ناحيته لدقائق أحجبت فيها عنا لغة الكلمات ... مبتلعآ لعابه في صعوبة بالغه.

كل شيء سيكون بخير يا بنى لا تستسلم لليأس فسارت في جسده رعشة نافضة ليرد على ذلك الصوت الحاني الذي يذيب الجليد مهما كان حجمه وهب واقفا من أثر المفاجأة ، واندفع في أحضانها وأخذ الأثنين ينتحبان في نهر من ألدموع والآهات التي فطرت قلوب الجميع فتناولت وجهه الذى أغرقته الدموع تماســك يأبني انى أراها في وجهك فلا تحرمني ذلك أيضــا ، وأخذ يقبل رأس ويدى عمته ألتي علمت بمدى حزنه ،وانقطاعه عن الطعام حتى ألحديث قد أمتنع عنة ، فهلع عمه ودكتور ميلاد لتلك الحالة ألنفسية ألتي وصل أليها فقص على فريده ما يعانى منة خطيب ابنتها وأبن أخيها ،فلم تستطيع أن تفقده هو الأخر، كانت فريدة هي الشــخص الوحيد الذى يحتاجه جاجان في ذلك ألوقت . فأخذت تشد من آزره لمواجهه ما هم فيه. فقد كان الأمر أكبر منهم وقالت بحنان ألام: أبني أحمي نفسك فقد صرت وحيدآ" وتعالت نبرات الأسى تعلو صوتها ممتزج بدموع قلبها قائله احمي نفسك حتى عوده رضوى اليك. ولم تستطيع أن تحبس دموعها، وهو أيضا وتعالت أهات قلبهما المفطور –

كان خروج عمته من حجرتها لأول مره منذ اختفاء ابنتها لهو حدث جلل حيث لم يستطيع أحد أن يخرجها من حجرتها منذ تلك المأساة وذاده هذا الأمر تصميما على خطته لاستعادتها

ولم يعلم أحد ما يجوب في نفسه وهل سيكون ذلك هو الطريق الصحيح الذي سيسلكه؟

****

الفصل الثامن

اقترب موعد ميلاد القمر الثاني، وأنتاب ملك الظلام الرهبة مخافة لا يتم إكمال بنود وثيقة سـجن الظلام، ويصـير بعد مولد القمر ظلآ اسود يجوب الفضاء بلا روح، وبلا سحر، وبلا عرش، ظلآ اسود منبوذ خارج الممالك ضائع، بلا رفيق، أو صديق إلى الأبد؛ إلا أذا تم النداء عليه، واسـتدعاؤه من جديد فقد يعود وله حق العودة مرة أخرى واحده فقط؛ إذا تم تطبيق بنود سجن الظلام ففي وثائق السجن مازال هاربآ حيث لا نداء للعودة إلا مرتين ثم يصبح بعدها ظلا إلى الأبد. و بدأت القشـعريرة تزحف إلى ظهره فتكوم على ركبتيه تتوسطهما تلك الراس السوداء، فاصبح ككتلة مظلمة ملقاة في أحد أركان الكهف العجيب .كان يعلم جيدآ أنها فرصتة الوحيدة كما أنها أيضـا فرصـته الأخيرة للإنتقام من الملكة وأبنائها حيث أنها لم تكتفى بهزيمته فقط ، ولكن قامت بسـجنه في ذلك المكان الذى لم يعود منه أي من الملوك ألسـابقين المهزومين مرة أخرى إلى عروشـهم ولم يستطع أحد استدعائهم بالنداء عليهم ليتمكنوا من العودة مرة أخرى حيث لم يكن يملك احد ألقوه ألمناسبة من السـحر ليتم ذلك ، وان كانت بنود وثيقة سـجن الظلام تعطى للسـجين ألحق في فرصـة أخرى للعودة ، فكانوا على علم أن من يسـتطع اطلاق النداء والاسـتدعاء لأى سـجين لابد له من امتلاك القوى السـحرية التي تفوق قوة الملك السـجين ، ولما كانت الملوك فقط هي من تمتلك تلك القوة السـحرية و حراس الجهات الأربعة للممالك ، كان يمكن لحراس مملكته من النداء إلا أن الملكة قامت بهزيمتهم واسـتولت على العرش، وتفرقوا بعد ذلك خارج المملكة التي أصـبحت تحت حكم

الملكة ،كان الجميع يعلم أن لاوجود لقوى ســـحريه أقوى من قوة الملكة الرهيبة . فإدخروا قواهم لما قد يحتاجون اليه في أوطانهم بعيدآ عن الحرب. كما كان يعلم أيضا أنها فرصته الأخيرة للعودة إلى ملكه وسلطانه، فكم تاقت نفسه ليصبح الملك الوحيد العائد من سجن الظلام كما كان يشتاق لهذا اللقب كثيرا.

رفع رأســه قليلآ في زاويته داخل احدى حجرات الكهف، وألذى استضافه فيها الأمير الصغير، والتي لا تبتعد كثيرا عن حجرة الأمير الملكية فلم يظهر من السواد ألمحيط بهذا المكان سوى ذلك الفارغ الأبيض مكان عينيه داخل عباءته السواد فإكتسى ظلامه بظلام ليل الكهف ألمرعب، وإختلط الظلامين ولم يعد يستطيع من يراه ألتميز بينة وبين ظلام المكان، وأفاق قليلا من شــروده ،فنظر حوله يمينا ويســار في ريبه ،واخذ يتلمس بيده شيء بجواره ،فلم يجد غير الرطوبة القاتلة الذي انتشرت بأرجاء المكان الذي لفه الصــمت المريب إلا من صــوت قطرات قليله من الماء تنزلق حيناً بعد حين من أعلى السقف .

ذلك المكان الموحش الذي أختاره الأمير ليكون مقرا للقائهما الســري بعيد عن عيون جند الملكة المنتشــرون خلفه في كل مكان، وهاهو ينتظر لقائه في شــوق جارف هذه المرة ليزف له مفاجأته الســارة التي لم يكن يعلمها، وقد قام بها دون أن يخبره بهذا الأمر حتى ينتهي، وهاهو الأن وقد أكمل مهمته في إختطاف حبيبة الفتى الغالية، والذي يحمل حول معصــمه مصــير الأمير، أو كما يعلم هو مصــيرهما معا فتحرير أمير الشعوب من سجنه هو أمله ألوحيد الأن فهل سيسعد الأمير بما قام به ملك الظلام دون علمه؟

وماذا سـيكون رد فعله على ذلك الأمر؟ فتلك المرة الأولى منذ استدعاه الأمير من سجن الظلام يقوم بعمل غير مكلف به من قبلة، ولم يدري الأمير أن القمر الثاني قد أوشـــك على الظهور في سـماء الدنيا، وان لم يتعجل الأمر في حصـول الأمير على تعويذة العفو سيكون مصيره هو الهلاك، وسيبقى إلى الأبد ظلآ أسود يجوب سماء الدنيا أما الأمير فلن يتغير معه الأمر كثيرآ، وأن ناضـــل بعض الوقت لإســـتعاده عفوه – كانت تلك الفكرة تســيطر عليه حتى تكاد أن تفتك به من هول ما يرى مصـــيره ألمعلوم، ولكن أمثل هذا يستسلم راضـياً؟ لا، كان عليه الكثير من المحاولات، وان كان الثمن أي شيء ليحصل على ما يريد، وان كان هناك بعض الأشياء الذي يخشـى القيام بها مخافة قوة الأمير السحرية، والذي يمكنه أن يفتك به إذا أراد ذلك، فاستسلم لهذا الأمر كاره رغم آنفه ،وأخذ يخطط لشـــيء أقل من ذلك شـــيء يبدو في ظاهرة صـــالح الأمير وأنه قد فعله من أجله ، ومن أجل خوفه عليه ، ولكن باطنه هو يعلم جيدا أن ما يفعله ليس من أجل أحد سوى شخصه هو فقط أولا وأخيرآ ، نعم قام بخطف الفتاه ليحرك رواكد الأحداث بين الأمير وذلك الفتى – ثم عاد ليفكر لماذا لم يقم الأمير إلى الأن بالســـطو على قلعه المعدن النفيس ؟ ولماذا ينتظر؟

ثم هب واقفا من جلســته وأخذ يتمشـــى في أحد ممرات الكهف ليســأل نفســه مره أخرى عن ســبب اختيار الأمير ذلك الكهف وهذا المكان الشنيع؟

لم يكن يدري أن هذا الكهف من ســـجون الملكة الســـرية، وهو تحت حراســه الأمير الصـغير منذ زمن بعيد، وبعد صـراعه مع

أسرته لو قام أحد منهم بالبحث عنة فلن يتوقع أن الأمير سيتخذ من هذا الكهف الموحش مقراً له.

****

كان الظلام يسود المكان في هذه الصحراء الشاسعة المترامية الأطراف ، والتي لا يوجد بها إلا التلال ، والكثبان الرملية ، وهذا الجبل الغريب الذي هو أشـــبه بجماجم الموتى .إذا ما ارخى الليل أستاره على المكان ليكتسي بظلام الليل المرعب ، فتنتشر الضباع ،والثعالب ، وأيضا الثعابين التي تقترب من بعض الأشجار الصحراوية ،وغيرها .كان الليل هو متنفس تلك الحيوانات ،والزواحف لتسعي بعد غروب الشمس الحارقة في ذلك المكان بحثاً عن ما تقتات علية ، إلا أن الجبل وسفحه كان من الأماكن المحرم على هذة الحيوانات الإقتراب منها، ولو قليلاً فاذا نظر أحدهم اليه عوى رعباً وفر هاربا مخافة شيء ما ؟ كان من المناظر الموحشة الذي يخشى النظر اليها حتى الحيوانات والزواحف.

تعالت أصوات هبوب الرياح الشديدة والعواصف الرملية في الصحراء الممتدة حول الجبل حتى إذا ما أقتربت منه كانت أقوى وأعنف ، وكأنها تريد الفرار سريعا من ذلك المكان فتتناثر حبات الرمال لتحملها الرياح في حده وسرعة بعيدا لتتجاوز فتحه لك الكهف المخيف يتبعها دوى صفير الرياح حول الجبل لتعزف الصحراء سيمفونية مرعبة في ذلك المكان .أما في أعلى قمه الجبل فقد كانت جلسته المعتادة حين يهرب ممن حوله لينفرد بنفسه هناك تحت نجوم السماء الذى لا زالت تتلألأ معلنة في تحدى عن وجود الأمل ، ووجود النور رغم ظلمة الليل فأخذ ينظر أليها في صمت ، وإصطبغت قمه الجبل

باللون الأحمر الذى يقطر من خصـــلات شـــعره تتخللها قطره صـــغيره من اللون الذهبي لون دماء قلبه المفطور فقد ولدت به نبضه حنين إلى ذكريات الماضي حيث أسرته وملكه وسطوته الذى فقدهما ،وأخذ يسـال نفسـه في صـمت ، وفى أسـى نعم قطعت خيط الوصل بيننا بخنجر القسوة، و لم أتحمل ، ولكن تتحمل ماذا ؟!!! هذه الجملة أوقعتني في دوامة الحيرة. كأنها شبكة كبيرة من الألغاز التي تحد حركتي، وتمنعني عن المضي قدما نعم هي من فعلت بي ذلك أمي وأخي، ولم احتاج يوما منها إلا شيئآ وحدا، أكانت القسوة بدلا للعطف، وكيف يعطف من لم يمتلك القلب؟ وها أنا قد فقدت كل شـــيء الأن في البدء كان هذا المكان. فهروبي لهذا المكان كان يبعث بعض السـكون إلى قلبي. أما الآن فقد بات بلسـمه بلا مفعول يذكر. فهل يجب بأن أرفع رايه الفشـل؟ هل أسـتسـلم لألم الفراق إلى أخر نفس من حياتي؟ أما، وما أصـــبحت عليه الأن فلابد أن استرد ما ضاع منى وما هو حقا لي لن يضيع مره أخرى فنداء أخترق حواجز الصمت الذي أرتديه حين أسكب ألمي على قمة هذا الجبل كل مســـاء والقى ببصـــري على حدود تلك المملكة على حدود ذكرياتي حين كنت ادنو بخطى صغيرة. أخي وأمي. وأنا أتبعهما بعيني شـبه المفتوحتان، وكانت شـراره البهجة تملأ وجهي والفرحة تصـبغ محياي لينظر إلى اخى الأكبر، وملامح الخباثة تملأ تضـاريس وجهه واللهيب يشـعل في نبرة صـوته، وهو يقول حين يعلو صوتي بالضحك الأمراء لا تضحك هكذا وأشياء كثير من هذا القبيل، فكان ذلك كافيا بأن تبجله الملكة، وتشـــيد برجاحه عقله، وكنت أنا من ينال اللوم، وينال العقاب. فكنت اكتم أنفاســـي الثائرة من أن تتقاذف في وجهه لحظتها كم أردت بأن أرديه صريعا من أوج غضبي الذي لا يسعه جسدي.

لكن بجهد جبار كبحته، وأنا أصـرخ داخلي، وأكاد أشـعر بحرارة الدماء

التي تحقن وجهي فكثير ما يلومني حتى أصـبح كحبل المشـنقة يخنقني، وخصوصا في حضور الملكة كنت أسمع كل حديثهم. الذي حرص فيه بأن يلدغ طبلتي أذني بها في كل مجلس لنا مع الملكة الأم، وكان كثيراً من براءة طفولتي التي لا تنضـــج فكانت أمي ترمى على خناجر كلامها التي تدميني دوما بها حتى جاء الوقت ألذى صـــرختُ بداخلي لم أعد أحتمل، وهاهو القلب البريء قد طغى، واكتســـينا بثياب ألدماء، وها قد رفعتُ رأسـي من أرض الأحزان لانطلق إلى عنان السـماء لا نأخذ ما هو حقآ لنا، ونرى الجميع القوة التي يردون أن يروها، وابتســم في دهاء محدثا نفسـه، إلا يحبون القوة؟ اذآ فلنرى، ولن يلومني أحد، ونظرا عاليا إلى النجوم، وهب واقفا فاتح ذراعيه كمن يريد أن يحتضن الكون كله، أو من يريد السيطرة عليه وحده، وإنتشى بعض الشيء، وقد اتخذ قرارا جللاً.

لم يكن يـدري إلى هذه اللحظـة أن هنـاك من ينتظره على أحر من الجمر سـاعياً للقاؤة، وكان يحمل اليه خبر ما، لم يكن ذلك المنتظر ببعيد بل كان تحت قدميه أسفل مجلسـه. داخل الكهف ببطن الجبل الذى يجلس أعلى قمته الأن ،وأنطلق ليعود إلى حيث مقره الذى اختاره داخل الحجرة الملكية بداخل الكهف ، واتخذه مجلســـه في أحد جوانبها كان لازال غارقا في أفكاره شـاردآ بعض الشـيء ، وعلى ملامحه علامات القلق والاهتمام حتى انـه لم ينتبـه لـذلـك المتنظر أمـام حجرتـه منتظر الأمر بالجلوس بين يديه حتى أشـــار اليه فدخل مســـرعآ ، وبرز بوجهه المظلم ابتسـامه ، لم يظهر منها سـوى ظلال سـوداء و

ذألك الفراغ حول عينيه الذى فقدتا الحياه فســبحت هي الأخرى في فراغ الظلام العميق ، واخذ يســرد في فخر ما قام به من خطف حبيبـه الفتى الـذى يحمـل تعويـذه الخلاص ، ولم يكـاد يكمـل قصـــته حتى هـب الأمير وافقا فزعـا فنظر اليـه نظره غاضـبه كادت أن تؤدى بما تبقى من حياته الفانية ، فارتعشـت أوصـاله وأطرق ببصـرة إلى الأرض مبتعدآ قليلآ خشـية الأمير ألغاضـب فاتخذ وضـع التابع الزليل الذي اغضـب مولاة ، فأخذ يكيل اليه بوابل من الغضـب الجارف ،والذي لم يغضـب مثلة خلال السنتين الغابرة لكن اليوم أنفجر ولم يستطع كبت جماحه ، فصـــاح قائلآ : لقد تخطيتُ كل الخطوط الحمراء بهذا الفعل فهل أمرتك بذلك ؟ فشـعر بأن قدماه سـوف تنهاران من هول ما رأى من الأمير الغاضـــب وأخذ يركض وراء أنفاســـه، يحاول التقاطها من الفرار من رئته المتهالكتان حتى أن أنفاسه أنقطعت نهائيا. وكأن الموت يدنو منة فزاغت عيناه معه .ليخرج من ورائه، فتعكس عينة وجهه. الذي شاخ خلال الساعات الماضية عشر سنوات أو أكثر وأصبح أكثر بشاعة وأكثر رعبا مما كان، فوقع في هاوية الذهول، واخذ يهرع إليه، وكلة فزع فوقف أمامه، وكلماتِ الجزع تســابق نبض قلبه كي يعفو عما فعل دون أمره كان ما زال لم ينســى طعم الذل الذي أذاقته إياه الملكة منذ عقود، فمســح على وجهة فور أن التقى عينيه المتثاقلتين بعين الأمير، وكأنه يخاف يرى ما تحت جلده الأســود، ويكشــف المستور من صرخات قلبه الشاجب المتلهف للانتقام

ثم قال الأمير: بعد طول صـمت بصـوت أعلاه الغضـب وهو يمر بالقرب منة. وهو يتبعه بعينية الخائفتين لقد وصــلنا لبدأيه

النهاية، فيجب بأن ننهي هذه المهزلة واليوم قبل الغد. حتى لا نؤذي بعضنا

لتتفجر من حنجرته صـــرخة زلزلت المكان لا يدري كيف انطلقت ":لاااااااااااااااااااااا" وكأن أحدا سـكن جسـده. فتملك عقله. وحركهما كما يشاء فألهث صوبه. وأجثا أمامه. واعتصر فخذيه. والتوسل يكسو نبرة صوته. غير الدمع الذي نزف بدون هوادة من فراغ قلبه الأسود الذي مازالت ظلا حبيسا هذا الظلام "أرجوك لا تقلها يامولاى. أعطني فرصـة أنا سـوف أكون لك عقلا وجســـدآ وقلبآ. أعدك. لا تتركني أرجوك. لا تتركني. ليغلفهما الصمت لدقائق قاتلة ثم قال: إذا لا تتصرف كما يحلو لك فقط أوامري من تطاع ولا غير ذلك، ولم يتركه يكمل باقي الجملة فقال: سمعا وطاعة يا مولاي ونظرا شاردا، وقد اعتصر الحقد قلبه، فكان غضـــبه يفوق درجة تحمله لســـاعات الرعب والمهانة التي يحيها ألان. حتى كاد أن يقطع جلده بأظافره. واخذ يســـأل هل أعود خالي الوفاض كما جئتن ونظرا متحديا قائلا: لا، ولن يكون أنا المخطأ. أنا المخطأ لأني أصـــغيت لعهود ذلك الحقير. بأنه ســوف يجعلني أرتقي ســلم المجد كي أعود إلى عرشي وملكي وأستعيد نفسي من سجن الظلام، ولكن لا أعلم لماذا لا يريد إقتحام القلعة إلى الأن؟ أو يســـرع في الســـيطرة على الفتى لقراءة العفو الملكي؟ وهل يعلم ماذا يعنى القمر الثاني لي؟ نعم انه يعلم، وكيف لمثلة لا يعلم؟ ولكن فيما يفكر ذلك الحقير فاخذ يدثر نفســه بغطائه الأسـود الذي يرتديه في صمت – ترى ماذا كان يخفى بذلك الرداء هل هي كرامته الذي أهينت عشـــرات المرات على يد الملكة وأبنائها؟ أم حقده الدفين كي لا يراه أحد فهو أشـــد ســـوادا من هذه العباءة الذي

يرتديها؟ انتظر قليلا ليستجمع أنفاسه المتبقية سائلا سيده: وماذا يامولاى ســـنفعل بالفتاة ؟؟ نظر اليه وقد عادت نظره الغضب تملأ عينيه من جديد وقال باقتضاب. سأتكفل بإخفائها في مكان لن يراه فيها جنود الملكة؟ وتقدم قليلا في وجل قائلا: يا مولاي أتدرى لماذا قمت بخطف الفتاه؟ وعادت قســـمات الخباثة تملأ وجهه، فقال بهدوء وطيبه مفتعله. حتى يفجع الفتى فيها فنقايضه بقراءة التعويذة مقابل الفتاه، فضحك الأمير ساخر وقال: خطف الفتاه لن يضـــيف إلينا جديد. أتدرى ماذا فعلت؟ لقد أضفت إلى قيودنا قيداً جديد بسب تسرعك وجهلك للأمور،

ولم يكن يعلم ماذا ســيكون مصــير من يعلمون بأمر التعويذة منذ ســنين؟ فهل ســيكون مصــير ملك الظلام بهذا المصــير أيضا؟

****

جلس جاجان وسط عميه عزمي وميلاد حزيناً شارداً منذ فقده حبيبته الغالية، يفكر ويتهيأ اللحظة ألمناســبة لتنفيذ خطة كي ينقذ رضـــوى دون علم أحدا عما يدور بخلدة، ولكن ميلاد وعزمي كان يعلمان جيدا ما يفكر فيه الفتى، وكيف لا؛ وهما قد ربياه صــغير، ويعلمان خبيئة نفســه. فقال ميلاد أتعلم ياجاجان ماذا ســيحدث إذا تم قراءه التعويذة لأمير الشــعوب او الأمير الهارب كم نطلق علية؟ فأنتبه الفتى، وكان تواقا لســماع أجابه هذا السؤال فقال ماذا سيحدث؟ هل سيعود إلى عالمه تعود ... رضوى، وابتلع غضــه في حلقه حين ذكره اسمها، فلا يعلم هل مازالت على قيد ألحياه أم لا؟ ... كما ســيمحي الســحر عن يوسف، وتعود حياتنا كما كانت. فنظر مشفقا في عيني الفتى، وقال لا، لن يحدث اى مما قلت أتريد أن تعرف الحقيقة كامله؟

فاســـتمع جيدآ لما أقول: إذا تمكن الأمير الهارب من قراءه التعويذة سيتحرر من سجنه، ويستعيد ملكه كاملا ولكن مع كل هذا الشر ألذى أضحي علية لا نعلم ماذا سيفعل في أسرته أو في شـــعبه؟ وأيضـــا هناك القوة الهائلة للمعدن النفيس وماذا سيفعل بها؟ وأن كان ذلك خاص بعالمه الشخصي ولا دخل لنا به. ولكن يا بنى هناك الأخطر من ذلك فمازال هناك جزء من ســـر التعويذة لم تعلمة بعد يقول: إن اســـتعاد الأمير الهارب نجاته على يد أميرة المحرر من العالم الآخر فلابد أن يبقى هذا الأمر سرآ إلى الأبد، ولابد من هلاك كل من علم السر في أي مكان وأي زمان منذ القرون البعيد مهما كان عددهم أو بلادهم، وسـيفنى الجميع بجنود هذا الأمير الغاشـم، ولن يكون هناك ناجى ابدأ مما علموا بهذا السر. لذلك نحن أو القبيلة الأفريقية، أو أي شخص أخر من البعثة ألاستكشافية الجميع يا جاجان، سيكون مصيرنا الهلاك ولذلك يجب ألا ينال هذا الأمير منك ما يريده أبدآ. فتح الفتى فاه عن أخره واتسعت عينيه من المفاجأة، فكان سيقوم الليلة بفك وثاق يديه وأستدعاء الأمير لقراءة طلاسم التعويذة ظنآ أنه ســيســتعيد خطيبته هو الأخر وينتهي الأمر، وقال محدثا نفسه: يبدو إنني مازالت متسرعا لم أتعلم مما حدث بسـببي إلى الأن. ثم قال ميلاد: أتريد أن تعلم باقي الأسـطورة كي تتخذ الحيطة مما سـترى الأيام المقبلة دون تسـرع فقد تجد نفســـك وحيدا في بعض الأوقات وقد لا أكون أنا او عمك بجوارك. فقال مطأطأ راسه لأسفل، وكان الندم باديآ علية وأخذ يؤنب نفسـه على ما حدث، فتلك الكوارث التي تمر بها ألاسـره ألان؛ ما هي ألا بسـبب فضـوله للمعرفة دون علم. فالمعرفة بدون مصـــادر قويه والعلم من غير أربابه لا يقل خطورة عن الجهل ، ولم يسأل عن سبب ذلك الحجب والمنع ألذى كثيرآ ما

حزر منه عمة من الاقتراب لتلك الحجرة، ولكن نفســـة ألتواقة للمعرفة وفضــوله لكل شــيء أخذته هذه ألمرة إلى الهاوية .

قال الدكتور ميلاد : تعلم أن ملك الظلام كثيرآ ما كان يحاول تعجيل الأمر على الأمير الصـــغير في إقتحام "قلعة المعدن النفيس " تلك القلعة التي أقامتها الملكة تحت الأرض ، وقامت على حراسـتها جنود خاصـة من جندها الشـخصـي ، وأيضـا اسـتعملت قواها السـحرية في حمايتها فكانت تعلم جيدا كم من الأطماع الكثيرة من الممالك الأخرى مما يحولون الاســـتيلاء على أي قدر من ثروتهم كما حاول الكثيرين أســـتماله الملكة والتودد لها كي توافق على بيع أي كميات باي ثمن ، و كان يتم رفض ألطلب دائما سواء كان هذا ألطلب من الأصدقاء او غير ذلك ، كانـت الملكـة وهى ســـليلـة أعظم الملوك ألسابقين على علم تماما أن القوى هي من تحمى الممالك من الهلاك ، ولكل نجاح يوجد أعداء كما يوجد حاقدين ، ولكن لم تؤل للأمر اهتمام ولم تخشـــى أبدآ من أعدائها فقد كانت تثق كل الثقة في قوتها وســـلاحها ألذى يخشـــاه الجميع .. واســتمرت مملكة الشــمس عشــرات المئات من ألســنين تنعم بلقب المملكة العظمى وأقوى الممالك ،ولم يخشى سكانها ،أو حكامها من أعدائها يوما من الأيام ، حتى أصــبح الأمر أكثر خطورة وجاء ألخطر من ألداخل حين انشــق الأمير الصــغير عن أمه وأخية ، وعن واجبه في حماية الركن الرابع من أركان المملكة فعمل ذلك على أضـعاف قوة الملكة أيضـا ،فلم تنظر الملكة لنصــائح الكاهن الحكيم بعين الحكمة والذى حذرها كثيرآ خطورة الموقف ، ولكنها لم تكترث حتى اســتفحل الأمر بينها وبين الأمير ألصــغير وبينه وبين أخيه، واســتحوذ علية الحقد فملاء قلبة وجاب الدنيا لا يحمل همآ سوى الانتقام والاستيلاء

على العرش الملكي ،وإلى هنا كان الأمر مازال هينا على الملكة الذى إستطاعت تداركه والحفاظ على أركان المملكة مما يفعله أبنها في تحدى غاشم لها ، ولكنها لم تستطع السيطرة عليه حيث كان يستعين بقواه السحرية في أي مكان وكان ذلك من الأمور الممنوعة على الأسرة المالكة من استعمال قواها السحرية إلا في الحفاظ على المملكة من أعدائها

وجاء اليوم الذي لم ترى الملكة يوم مثله، وهو يوم الضباب كما أطلقت علية حين ساد القصر الملكي وسماء البلاد غمامة كثيفة من الضباب أغرقت البلاد في ظلام بارد وحجبت أشعة الشمس عن الحقول أيام طويلة حتى كادت المحاصيل أن تضر حينها علمت الملكة من جنودها السريين ما قام به الأمير الصغير باستعمال قواه السحرية مع ملك الأرض المظلمة في سجن الظلام وتجاهل ما فعلة هذا الملك الاعتداء على المملكة والاستلاء على ثروتهم.

وأعلنت الملكة حالة الاستعداد القصوى بالبلاد، واجتمع مجلس ألحكم، واطلع على تفاصيل الكارثة التي حلت بهم، ولكنها لم تعلم في كل اجتماع، أو مجلس كانت توجد قطرات من الدماء دون تعرف من صاحبها؟ أو أين هو من مجلسها؟ فكان على علم بكل ما تقوم به الملكة. وهناك أيضا كان ينتظر أن يستعيد قلب الصغير مره أخرى من ظلامه، ومن حقده الدامي في كل مكان.

الكاهن الحكيم نعم ومن سواه يهتم لإمر الأمير ألصغير ألذى شب وليدا على يديه وتأدب وتعلم كما فعل مع أخية وكما علم أمهما من قبل فلم يكن الكاهن الحكيم ذو سلطة عظيمة في

حكم المملكة فقط، ولكن كان بمثاب المعلم والأب الحكيم في هذه الأسرة منذ سنوات بعيدة.

****

في اقصـــى أركان القصـــر الملكي، وبعيداً عن العيون تناثرت قطرات الدماء فحجبتها ستائر الحائط السميكة المنسدلة حتى الأرض، فلم يلا حظ أحد من قادة مجلس الحكم هذه ألدماء ألي أن انتهى اجتماعهم مع الملكة ثم انصـــرفوا جميعا، انصـــرفت أيضـــا الملكة من قاعة العرش ، وبقى هو فقط بقاعه العرش ،وكان هذا ما يريده الأن، حتى صـار وحيدا تسـلل ببطيء إلى حيث تلك الستائر الثقيلة المنسدلة ، وتقدم ببطيء وقد امسك بيده في قوه وحنان رغم ســـحره المختفي به عن العيون –كان الأمير مـازال يحمـل بين طيـات قلبـه بعض من الوفـاء لهـذا العجوز الممسك يده ، والذي شاهدة رغم اختفاءه داخل هاله قواه السـحرية، فأرخى يده واسـتسـلم له في اطمئنان ، وكان مازال مختفيا فاقترب العجوز من أذني الأمير هامسا أريد أن ألاقيك بالخارج فاين يكون ذلك ؟ وفتح الكاهن الحكيم فاه من الدهشـة حين سمع جواب الأمير يمكننا اللقاء هناك حيث سجن كهف الجبل الأحمر التي لا يستطيع أحدا الاقتراب منها سوى سكانها من الوحوش والأفاعي. نعم تعجب أن يتخذ الأمير من ذلك المكان الوحش مقرا له، ولم يخاف إفشـــاء ســره للكاهن الحكيم حيث كان يعلم جيدا أن الســـر معه لن يفشـــى ابدآ. ترى أكان يريد لقاء الكاهن أم الكاهن هو من يريد لقاءه؟ وأغتصـــب فرحة اللقاء، وأنتهك شـــجن الحب الذي بقي من أطلاله هذا الكاهن العجوز، ودهس فؤاده المفطور. دون أن تهتز شـــعرة لـه، أو تنزف دمعة من جفنه فالعقل مضـــى، والقلب طغى وأمر بتخليد

الذكريات في ذلك الصـندوق الأسـود الذي يسـكن بين أضـلعه، ورسـخ فيه ذكرياته كوتد لا يتزحزح من صـفحاته التي بات ليل نهـار لا يلغيهـا من تفكيره العقيم الـذي يـدور حول مركزه هو فقط.

لم يمضي الوقت طويلا، وقد التقى الكاهن بالأمير الصعير الذي تغير تماما، وتبدلت هيئته الحســـناء ووجهه الملكي الذي ينبض بقوه الشباب وعز الملوك إلى ذلك الوجهة البشع الذي أخذ يقطر حقدا في كل تحركاته، والتقى الكاهن الحكيم به، وكان يأمل أن يعود الأمير أو يعود جزء من جلالـه الملكي لمـا كـان فتقـدم بخطى بطيئة، ونظرا طويلا لمجلســـه داخل ذلك الكهف، واخذ يلتفت يميناً ويســارآ مســتكشــفا هذا المكان المريع الذي لا يليق بمثله أبدا ثم نظر بطرف عينيه وقال: أبنى ألحبيب هل أنت راضــي لوضــعك هذا؟ احترس أيها الأمير الصــغير أن الصــراع بينك وبين الملكة وأخيك قد اتخذ منحى خطر، فضـــحك الأمير ســاخر، وقال: بماذا تقصــد بمنحى خطر؟ تقصــد خطر لي أم لهم؟ فقال الكاهن مشفقا على زهوه هل سمعت من قبل أن هناك ما جعل الملكة، أو المملكة في خطر؟ هل ســمعت من قبل أي من الملوك الت اليه نفســه مســاس أســوار المملكة وقد نجح في ذلك؟ ولتشهد أسوارنا كثرا من مئات القصص البطولية التي كتب عليها "مملكة الشـــمس" التي لا تقهر أبدا. هل نســـيت يا أمير الشـعوب ذلك الأمر؟ فضـحك مره أخرى ضـحكة مجلجه ساخرة أهتزت لها أروقة المكان وقال اااااامير الشـعوب ؟! أما ذلت أيها الكاهن الحكيم تذكر هذا المنصـب؟ وقال بشـجن وهل هناك من يتذكره مثلك؟

- نعم يامولاى ومازال منصـــبك كما هو شـــاغر، ولن يملأه أحدا غيرك كان الكاهن العجوز يتودد إليه في رقه أملاً أن يسـتعيد ة مما هو فيه،
- ولكنى أعلم أن أخي قد شغل ألمنصب وأصبح يستولي على كل السلطة كما أصبح ولى العهد الوحيد، وقال: القهر يسبق كلماته اعلم كل شيء – نعم اعلم شيء.
- ولكن الأمير الأكبر يشـغل منصـبك مؤقتا، وليس رسـمياً كما تعلم أن كنت فعلا تعلم كل شيء،
- وان كـان الأمر مؤقتـا كمـا تقول فلمـاذا تطـاردني الملكـة بجنودها السريين؟ لماذا لم يتم استدعائي للقصر؟
- لقد تم اسـتدعائك من قبل وتعلم ماذا حدث بعد ذلك لقد أهنت المجلس، وتحديت الملكة ثم اختفيت في هالـه النار، أتذكر فكيف يتم استدعائك مرة أخرى بعد ذلك؟ ولم ينتهي بك الأمر إلى هنا فقط ولكنك أنهيت عملك في تســـرع، وتركت مهام منصبك شاغرة سواء في حكم الشعوب أو منصبك في حماية الركن الرابع من أركـان المملكـة، وهل أتعلم مـاذا حـدث بعد ذلك؟ لقد حـاول ملك الأرض المظلمـة الهجوم على المملكـة من الركن الذي تركته بلا حماية عندما رفضـــت الملكة طلبه لشـراء "المعدن النفيس "فوسـوسـة له نفسـه اسـتغلال واختراق هذا الركن الشـاغر بلا حماية، وقد علمت بذلك جميع الممالك الأخرى كما علمت بالصراع الواقع هنا. إلى أن قبضت الملكة على الملـك المغرور وتم إبعـاده ألي ســـجن الظلام، واخـذ الكـاهن الحكيم يحكى لـه ما حدث من صـــراع الملكة وملك الأرض ألمظلمـة، ولكن كـان يحرص على عـدم علم الأمير بما يعرفه من معاهدته مع ملك الأرض المظلمة الذي أطلق

صـــراحه وأطلق علية ملك الظلام. كان يأمل أن يرد الأمير الصغير عن هذا الأمر الخطير ويفشل مكيدة ملك الظلام.

ولكن حدث ما جعله يفقد هذا الأمل إلى الأبد فأثناء حديثه توقف الكاهن الأكبر واكترث إلى طائر الصـــقر جاءه محلقا في ســـرعة عبر ممرات هذا المكان فهو الطائر الخاص، و أيضـــآ الحارس الشـــخصـــي له فلم يلبث أن وقف على كتفه، ونظر اليه فعلم الكاهن ما يبوح به الطائر ثم حلق إلى فناء الكهف خارج هذا المكان ســـريعا، ولم ينتبة الأمير الصـــغير لهذا ألآمر فهو يعلم أن الصقر هو الحارس الشخصي للكاهن فلم يعقب على ذلك –انطلق الصـــقر ألي الخارج فاســـتدار الكـاهن الحكيم نـاحيـة الأمير واقترب منـه أكثر وأكثر وقـال هامســا: هل يوجد أحد غيرنا في الكهف ؟ فقال: الأمير لا _ فقـال: بلا؛ يوجـد يـأبني، فـإحزار من يكون؟ ومع من تكون هذا؟ هو الخطر الأعظم، وانتظر قليلا وقال: أتريد أن تقول لي شـــيء أخر؟ ألا تريد أن تعود معي لمزاوله عملك وواجبك في حماية الركن الرابع من المملكة؟

لم ينتظر الكـاهن الحكيم الجواب فقد اقترب هذا الظل فـالتزم الصـــمت، وهو يعلم جيدا من يكون صـــاحب الظل وان كان يجهل صـــــاحب الظل وجود الكـاهن الحكيم الـذي لو علم بوجوده ما تقدم هنا أبدا فهو يعلم أن في ذلك هلاكه.

اخذ صاحب الظل يقترب ويقترب حتى ما صار أكثر اقترابا ارتفع صولجان الكاهن لتضيء حوله الطلاسم والحروف التي نقشـــت حوله في محاوله للقبض على صـــاحب الظل، ولكن كانت يد الأمير أســـرع من صـــولجان ألكاهن، الذي علم ما يريد أن يفعله فدفع يده بعيدا فأنتبه ملك الظلام وفر هاربا. ونظر كلآ منهما في عين الأخر ولكن كان لكل منهما نظرة

مختلفة فكان الكاهن ينظر اليه في شـــفقه ممزوجة باليأس والأمير الصـــغير ينظر ألية نظره قســـوة يملؤها الحقد، وعلم ألكاهن جيدا في تلك اللحظة أن أمر الأمير قد انتهى تماما، وقد أتخذ طريق الألم، فقام بدق الصـولجان بيده دقه قوية في ارض الكهف ليتخفى بعدها من المكان الذي أصـــبح ملتقى الشر وأصبح خطرا على الجميع.

ابتعد الكاهن وترك الأمير غارقا في أفكاره، وعاد اليه الشـــر متجســـدا في ملك الظلام للتطبيق بنود المعاهدة ألذى أبرمها معه، وظلت تلك النظرة المشـــبعة بالغضـــب، والتي تعكس لهيب فؤاده. لتلحقهما ارتخاء قبضـتيه المتوحشـتين والخانقتان فقد كـان يعلم جيدا أن مـا قـال الكـاهن كـان يمكن أن يكون حقا، وكان هناك بصـــيص من الأمل كي ينهى صـــراعه مع أســـرته، ولكن هناك من يترقب فلم يدعه يفكر كثيرآ في هذا الأمر فكان ينفث في الرماد كلما هدأ لتعود النيران تشـــتعل وتتأجج من جديد في قلبه ونفســـه التي ملأها الظلام، وقد وضع خطة الحرب للاستيلاء على المعدن "النفيس "بمساعدة الأمير الهارب.

كان يرى ملك الظلام أن ذلك الوقت هو الوقت ألمناســـب للهجوم على قلعه المعدن فالملكة مشـغولة بالصـراع مع أفراد أسرتها الطامعين في العرش وكلآ يريد يحمل وحده لقب ولى العهد الذى ســـيتولى ومن بعده أبنائه قياده البلاد ،وكان هذا الأمر يحدث لأول مرة منذ قرون طويله منذ قيام مملكة الشمس والحكم فيها يقتسم بالتساوي بين أبناء الملك – لذلك وجد ملك الظلام فرصـــة عظيمة لهذا الخلاف والصـــراع العائلي ليصـل ألي أطماعة ألمكبوتة ،و ما تطمح اليه نفســه الخبيثة وغربت الشـــمس ، وأظلمت الســـماء وظهر القمر

فكـان في التربيع الأخير فلمعـت بجواره النجوم المتلألأة وباتجاه الجنوب بعيدا حيث مدخل "مملكة الشمس" الذى نطق اسمها في همس يملأه البغض والكراهية كانت همساته تحمل شر رهيب يريد السيطرة المطلقة على المملكة وقلعه المعدن ، وهاهو الأن ينتظر أن تنطوي صـــفحه كبيرة من الليل كي يسـهل عليه التخفي في الظلام و تحالفهما معآ ضـد الملكة لن يكون بصـــورة حروب معتادة من جيوش وعتاد فذلك لا قبل لهما به أمام جيوش مملكة الشـــمس الذى هزمت أقوى جيوش الأرض ،ولكن حربهما ألان سيكون بصورة خفية .

****

واعتدل الدكتور ميلاد في حلســـته قليلا، وقد رأى علامات الاهتمام على وجه الفتى فصـــمت ونظر بطرف عينيه إلى صـديقه الدكتور عوني الذي فهم ما تعنيه نظرات صـديقه، فأطرق برأســـه موافقا أن يكمل حديثه ويكشـــف المزيد من تفاصـــيل الأســـطورة – فقال : كانت الليلة قد أقتربت عن الإنتصاف وكان السكون يعم الأرجاء وحفيف أوراق الأشجار يعزف لحنا مخيفا يشـكل تناغم مع صـوت رياح الصـحراء الملعونة تلك الصـحراء التي تبتعد كثيرآ عن أسـوار المملكة التي تمتد لمســـاحات كبيره من أطرافها كما أنها جزء من الأراضـــي الكثيرة التي تتبع العرش الملكي لمدينه الشـمس ، ويقوم على حراســتها دوريات خاصـــه غير مقيمة وكان هذا الجزء من الأراضـي تحت حراسـه أمير الشـعوب . كانت تلك الليلة مختلفة عن الليالي السـابقة حيث كان الأمير سـيد هذا المكـان أمـا اليوم فيحـاول الســـطو على ملكـه مثـل أحـد اللصوص فمنذ أنقلب على أسرته وصار في صراع بغيض قد سـمع الكثير قصـص يشـيب لها الوليد، وتقشـعر لها الأبدان

وهذه الليلة فاقت كل القصـــص التي تحكى عنه؛ نعم فقد كانت الليلة الفاصــلة –ليله اختراق مملكة الشــمس والســطو على قلعه المعدن.

كان إصـرار الأمير الصـغير على إتمام سـرقه المعدن امر غريب، فبرغم الصراع القائم على السلطة بينه وبين أخيه كان على يقين أن المعدن جزء هام من أمن المملكة، ولكن يبدو أن لم يبقى في عروقــه قطره من دم الأجــداد النبلاء وأن عداوته قاربت على الجنون، وحان وقت تنفيذ خطة ألعار فانطلق محلق في فضـــاء الكون وقد أحاطه ملك الظلام من كل جوانيه فالتحما معا وأصـــبحا كقطعه من ســـواد الليل الحالك.

كان معرفة الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة لا يزال مقصوره على عدد صـغير من كبار رجال الملكة ولم يتم انتشـار امر هذا الصـــراع بين العامة بعد فهذا الأمر من شـــأنه وضـــع الملكة في أحراج تام أمام شـــعبها كما كان يعمله كثير من الملوك للممالك الأخرى وكانت الرعية تعلم أن ما حدث مع ملك الأرض ألمظلمة كان بســـبب عد م موافقه الملكة بيع جزء من المعدن كما قيل لهم من حكامهم بهذا الشأن ، ولذلك عند وصـول أمير الشـعوب إلى أسـوار المملكة لم يمنعه أحد من دخولها ، ولم ينتبه أيضـــا أحد لهذا الســـواد العظيم الذى خلفه ، فقد كانت أحوال الأمير مختلفة منذ مدة وقد أعتاد عليها الجميع ، وأنطلق بخطوات مســـرعة داخل المملكة حتى وصـل إلى المكان ألذى تقام تحت أرضــه قلعه المعدن . كان يعلم جيدا أن امر دخول هذا المكان من المسـتحيل إلا بوثيقة مختومة من مجلس كبار قاده المملكة حتى، وان كانت الملكة شـخصـيآ، ولذلك حين وجد نفســه بجوار حائط القلعة

دون أدني اعتراض وجد أن الفرصـــة قد جاءته فأبتســـم في سـخرية وغرور ومنا نفسـه بنصـر قريب، وأخذ يمشـى حتى وصـــل إلى بهو الاســتقبال وممرات الدخول، وهنا تلفح بملك الظلام مره أخرى واخترق المكان مثل كائن شـــيطانى يريد السـيطرة على المكان دون أن ينتبه له أحد الحراس كان يبدو كل شـيء أسـهل مما توهم حين دخل المكان متخفيا أو كما يعتقد ذلك!

لم يجد الأمير أي مقاومـه من حراس القلعة كي يصـــل إلى غرفه "المعدن النفيس " فهل كان ذلك لعدم انتشـار أمر الصـراع القائم بين الملكة والأميرين؟ أم ترى لماذا هذا الســكون وإخلاء الطريق أمام الأمير دون منعه في أخطر وأهم مكان بالمملكة؟ و أقترب من احد الصـناديق فتناول أحدهما ودسـه في ثيابه ثم توارى في الظلام ، وانطلق هاربا خارج المكان بكل ما يملك من قوة واخذ يلتفت إلى الخلف من وقت لأخر مذعورا يركض وكأن الموت خلفه كان يعتقد انه مازال متخفيا تحت اســـتار الملك الهارب من سجن الظلام ، و لم يكن يدرى أن حال عبوره إلى اعلى الأسوار المحيطة بالمملكة بالقرب من الصـحراء كان الخبيث قد توارى للخلف تاركا أمرة وقد كشـــف لعيون الملكة حتى بدا الصـراع بين الأمير وجنود الملكة نزع الصـندوق من الأمير وفر هاربا وهنا أكتمل نســـيج خطته الدنيئة الذى أعدها منذ البداية ،و لم ينتبه أليها الأمير ، وظل يركض ، وبينما هو كذلك رأى بعيدآ شعاع من الضوء الأصفر فإقترب منة ،فعلم أنه ترك أسـوار المملكة وأبتعد عن سـمائها فأنطلق ســـريعآ عبر الصـــحراء الملعونة حتى وصـــل ألي مقره داخل الكهف ، وفجأة أحس بقشـــعريرة وعندما اســـتدار وجد خلفه

الأمير فاتسعت عينيه من ألدهشة ولم يعلم كيف تخلص الأمير من جنود الملكة ؟ وكيف وصـــل قبلة ألي الكهف؟ ولكنة لم يسأل ولم يفكر كثيرآ سوى في حماية الصندوق ألذى أستولى علية ، علم أن الأمير أيقن خيانته ولن يغفر له ذلك الأمر فاخرج من عباءته ســـيف من نار وحاول أن يطعنه حتى لا يستعيد منة الصندوق ، واسرع في مطاردته ، واظهر وجهه الحقيقي في تلك اللحظة وجهه القبيح الذى كثيرا حاول إخفاءه عن الأمير لينال هذا الكنز من صناديق المعدن ،وحين ارتطما بأحد الصـــخور الجبلية الغربية والمخيفة أثناء فرارة خارج الكهف ،كانت تلك الصخور أشبه بقطع من السواد قد أحاطت بالمكان ، ولم يكن يعلم أن تلك الكتل السواد الملتصقة بالجبل فوق الكهف ، لم تكن ســـوى جنود الملكة فقد تركت الأمير يقوم بما يقوم به دون مقاومه حتى لا ينتشر خبر الصراع الدائر في المملكة هناك وسط الجنود ووسط العامة كما كانت تخطط لشـــيء أخر ! وأرســـلت قبله جنودها من طيور البوم جندها الخاص واقوى أنوع الجند لديها وذلك للقبض عليه بعيد عن العيون كما كانت تعلم بأمر شريكة ملك الظلام وألذى لم ينتبة لذلك أثناء هروبه بالصندوق لداخل الكهف فقد كان هدفه الأول القضاء على الأمير وسرقه الصندوق. و التحم في صراع دموي حتى وصل معآ أعلى قمه الجبل ويشاهد جنود الملكة المعركة ألطاحنة بين ملك الظلام ,الأمير ولكن لم يتحرك أحد منهما حتى ترســل لهم الملكة أمر ألتحرك من موقعهم ، و اصــبحا حلفين امس عدوين إلى الأبد... لم يرث الأمير الصغير أقوى أنواع السحر عن أمه فقط بل كان يجيد فنون القتال ،وكيفية التعامل مع الجن والســحرة المهرة ، والقاتلين من معلمه الكاهن الحكيم، كان لدى ملك الظلام القليل من قواه الســـحرية ألتي

ضـعفت مع الوقت ، وقد اقتراب موعد القمر الثاني فكان يعلم أن قواه أبدا لن تنتصر على قوة الأمير السحرية في ذلك ألوقت ، ولكنه قاتل بشراسة و ضراؤه طامعا في الصندوق الصغير وكيف لا وهو الأمل الأخير له قبل بزوغ ألقمر .حتى يستعيد ملكة و مجده المفقود عند أبواب النهاية، و في لحظة كهذه يتأرجح بقائه فوق حبل يشرف على هاويته ونهاية عالمه مواجها غريمه ، ومسكونا بنوايا الاقتصاص والانتقام من الملكة وأبنائها كان يتعطش لدمائهم .لم يكن السطو على الصندوق فقط ما يريده... بل الرغبة ، الحاجة الشديدة المؤلمة في الإيذاء ، و نشر الخراب في هذه المملكة ، والممالك الأخرى ،والسيطرة عليها ويبتسم صاحب العينين المظلمتين والقلب الأكثر ظلاما ، وهو يعلم حجم الأذى الذي لحق بالأمير الثائر الذى قد اطبق بيده على الصندوق الصغير ، واصبح يقاتل باليد الأخرى وقد وضحت أمامه النوايا الخبيثة لملك الظلام الذى لم يستطيع المقاومة كثيرا أمام ما يملكه الأمير من قوه رهيبة فهوى من قمه الجبل إلى أسفله ، و خارت قواه فلم يستطيع حتى الإمساك بصخور الجبل ثم عادت اليه قوته فجأة وتهلل من فرط دهشته و صدمه سعادة بالصندوق الذى أخذ يسبح بجواره في الفضاء الفسيح ،وقد أختفى الأمير تماما ، فنظر لقمه الجبل أثناء سقوطه للأسفل ليجد طيور البوم قد أحاطت بالأمير في أعداد كبيره حتى أحتجب الأمير تماما عن الرؤية ، وتم القبض عليه وأسره ، والعودة إلى ساحه العرش الملكي ، ولكن لماذا لم يتم القبض عليه هو أيضا ؟ولماذا لم يسترجع جنود الملكة الصندوق الخطير ؟ لم يحاول أن يفكر في أي تفسير لما يدور حوله ولكن قبض بكلتا يديه على ذلك الصندوق وفر هاربا.

وبينما هو يفكر من هول المفاجأة ســـمع صـــوت خلفه يطلق ضحكة ساخرة فترى من يكون صاحب تلك الضحكة الغريبة؟

انطلق ملـك الظلام إلى المكـان الوحيـد الـذي لا يعلم غيره منـذ هروبه من الســجن كما كان على علم بأن هذا المكان هو الأكثر أمانا له، وكان يعلم كل شبرا به ويعرف مداخلة وممراته فقد قضى وقتا كافيا مع الأمير فيه ذلك حتى أصـــبح يحفظ كل جزء به، وانطلق إلى كهف الصحراء الملعونة ... ولكن هذا المرة ليس إلى حجرتـه الحقيرة التي أصـــبحت لا تليق بـه الأن بل إلى الحجرة الملكيـة فقد رأى بعد القبض على الأمير هو أحق بها حيث يمتلك صندوق القوة الأن، وأصبح كل شيء لدية أكثر مما خطط له، أو كما يظن ذلك.

كان على أعتاب الكهف ذلك الطيف لصـاحب الضـحكة السـاخرة؟ والذي لم يكتفى بضـــحكاته فقط، ولكن انطلق خلف ذلك الظلام وهو ينظر ألية قابضا على كنزه ألثمين ليرى ماذا سيكون من أمره وماذا سيفعل به بعد القبض على الأمير؟

جلس ملك الظلام ســـعيدا على كرســـي الأمير بحجرته الملكية بالكهف ، وكـان خيالـه المريض قد نصـــبـه إمبراطور على كل الممالك ،ولم يكتفى بذلك بل ســـرح بالخيال ، فرأى نفســـة وقد جلس عرش الملكة ،و سيطر على قلعه المعدن ،وأشار بعيدا وهو غـارقـا في أحلامـه فـأمر بقتـل الملكـة والأميرين معـا , ويتجول بعينيـه بين الرعيـة والقادة فيأمر بقتل هذا ويعفوا عن ذاك حتى تلتقى عينه بعين الكاهن الحكيم ليشـير بيده ويأمر بإعدامه فورآ ، ولكن في تلك اللحظة تقع عينه على الصـندوق القابع في ارض الكهف وقد توسـط الحجرة الملكية تمام فأسـتيقظ من أحلام اليقظة التي كان جال فيها ، واقترب من الصـندوق ليقوم بفتح غطائه ،

ولكن نظر طويلا له فلم يتنســـى له النظر اليه منذ اختطفه من الفضـــاء حين هوى من الأمير فاذا به صـــندوق صـــغير الحجم غريب الشـكل ، ولكن ما أغرب ذلك الصـندوق ، ألذى تحيطه النقوش الغريبة من كل جانب، ولم يعلم كيف يفســـر أي من حروفها التي كتبت بها فلم تكن مثل لغتهم ، أو كتابهم ، أو حتى مثل طلاســم الســحر الذى يعرفها الملوك في ذلك الوقت ، وهى لا تشببها كثيرا فاخذ يتسأل ما هذا ؟ أهي طلاسم سحريه من حضـارات مختلفة؟ أم هذا سـحر خاص بملكة مملكة الشـمس هي فقط ما تعلمة دون غيرها من الملوك؟ واقترب من الصـندوق ليحمله ولم يعنيه امر حجم الصـندوق كثيرا فهو يعلم جيدا أن اقل جزء المعدن النفيس ســـيكون كنزا تمناه كثير من الملوك ِ – ولازال يفكر في امر تلك الطلاسم والعلامات الذي جهلها تماماً – واقترب من الصندوق لقيوم بفتحه ومد يده في هدوء. ولكن هيهات يحاول نزعة من الأرض ... حاول وحاول وقد اتســـعت فجوات عينية من ألدهشــة واخذ يســأل هل التصــق الصــندوق بالأرض؟ فاحذ يحاول عده مرات وحاول كثيرا وكل محاولاته باءت بالفشــل فقد أصـــبح الصـــندوق والأرض قطعه واحده والتحما معآ، ولكن كيف تم ذلك الأمر؟

حاول نزع الصـــندوق من أرض الغرفة مره ثانيه، ولم يســتطع كما حاول استعمال ما تبقى من سحره، ولكن أيضا فشل فشلا زريعا، ومضـى كثير من الوقت حتى أصابه الإرهاق والتعب. في محاوله نزع الصــندوق من الأرض وهنا ارتفعت الضــحكات الســاخرة مره أخرى من خارج الكهف فاســـتدار حوله فلم يجد غير الظلام أنيســـا في هذا المكان فجأته خاطرة حين تذكر أن لا حاجه له

بالصندوق ولكن الأهم ما بداخل الصندوق اذا فليتم فتح الصندوق في موضعه الذى لصق فيه، واقترب بحرص شديد ليفتح غطاء الصندوق الصغير ومده يده في رهبة، وقلق ففتح الغطاء معه في يسر في موضعه فشعر بالغبطة والسعادة ألتي لم تلبث أن تحولت إلى صرخة عظيمه انطلقت منه من اثر المفاجأة الهائلة، الذى وجدها داخل الصندوق ...!

وتقدم ألمنتظر صاحب الظل الجالس خارج الكهف، وأطلق وابل من الضحكات الساخرة فقد كان ملاحقا للص الهارب بشيء ثمين وقد استحواذه خياله انه يستطيع النجاة بما فعل، هيهات لم يتسنى لأقوى الملوك فعل هذا من قبل واقترب صاحب الظل إلى أن أصبح وجها لوجها أمام ملك الظلام ألذى فزع وأطلق صرخة مدويه تفر من هولها الوطاويط الذي سكنت المكان إلى الخارج، وتراجع قليلا إلى الخلف من هول الصدمة وقال في ذهول: الكاهن الحكيم! وتراجع أكثر إلى الوراء يحاول الفرار مخافة أن يتم القبض علية ويقيده الكاهن الحكيم بصولجانه الذي يستعمله في الدفاع عن الجهة الغربية للمملكة، والذي يقوم بحمايتها، وانتبه الكاهن لما يقوم به ملك الظلام وتراجعه ألي الخلف في خطوات بطيئة متأهبا للفرار فقال ساخرا، ولما الهرب والى أين؟ اطمئن لن اقبض عليك بل سينتهي أمرك سريعا فور بزوغ القمر الثاني في السماء ونظر له وقال ساخر كما تعلم أيضا لم يتبقى ألا ألقليل من الوقت. ثم نظر إلى الصندوق وقال أسرفت في أمالك وأحلامك كثيرة. ولكن كما ترى كل أحلامك ذهبت أيضا كما ذهب ما بدخل هذا الصندوق... فلم يجد ملك الظلام سوى قطع من الطمى بداخل الصندوق الصغير الذي التصق بأرض الحجرة الملكية. ثم استدار وسأله قائلآ: أتعلم لماذا تعد الملكة اقوى

الملوك، ولم ينتظر إجابته بل أجاب على سـؤاله أيضـا لم تكمن قوه الملكـة في هـذا المعـدن كمـا تظن أنـت، وغيرك من الملوك، ولكن قوتها فيما تملك، وتحسـن أدارته. فهي تمتلك العقل، والراي ألرشـيد، وألاهم تلاحم رعايتها، وأشـياء أخرى لا أظنك تعرفها كملك مهزوم هارب من سـجنه، وأن كنت تظن أن زلـة الأمير ألصـغير سـتجعلك تخترق هذا الكيان فأنت واهم فخلف كل جدار يوجد أمير ويوجد محارب عمره فداء لتراب وطنه. وأن نصـبك خيـالـك ألمريض إمبراطور على الممـالـك، أو قـادك تفكيرك قتـل الملكة كما كنت تتخيل منذ قليل، وأبتسـم في سـخريه، وقال فانت واهم. وتخطى خيالك حدود قدرتك وألتي مكانها سـجن الظلام أن نسيت.

– ثم قال: كانت الملكة على علم بما يدور بينك، وبين الأمير كما كنا نرى ما لا يراه هو وما لا تراه أنت أيضا، وكان الكاهن الحكيم قد أباح للمملكة كل ما دار بينه بين الأمير الصـغير حين ذهب اليه في الكهف لأول مره، حين رأى طيف ملك الظلام فقام بإبلاغ الملكـة عن هـذا الأمر الخطير فـاجتمعـت بقـادة البلاد مجلس لمناقشة الأمر"

لذلك قامت فالملكة بحفظ المعدن بطريقه ما.

وهذا ما حصـل عليه الأمير وهذا ما تراه هنا في ذلك الصـندوق وعاد معتدلا ونظرة نظره مخيفه لملك الظلام الذي فر هاربا خارج الكهف، ولم يهتم الكاهن الحكيم بأمر هروبه فقد حان بزوغ القمر الثاني وهنا سـيتحول إلى الأبد طيفا اسـود يسـبح في ظلام الكون إلا إذا استدعاه أحد مره أخيره فقط.

****

انتبه جاجان وتسارعت ضربات قلبه من فرط الهول مما سمع من عمه ميلاد الذي إنتبه أيضـــا إلى اهتمام الفتى بباقي الأســـطورة فسال نفسه ترى أي كارثه كنت ستفعل هذه المرة؟ وما هو الشيء الذي جعلك تتراجع في تلك القصـة؟ همس عوني وميلاد همسا لم يصــل ألي ســمع ألفتي، وكان يبدو حديثا عابر لأحدى الذكريات التي مرت بهم أثناء بعثتهما منذ زمن بعيد إلا أن الفتى لم يمهلهما للإســـهاب في هذا الحديث، واخذ يلح على عمه ميلاد أن يكمل باقي أحداث الأســـطورة وما حل بالأمير، وملك الظلام لاحقآ ...فارتشف عوني رشفه من فنجان قهوة كان أمامه ثم قال:

أنطلق ملك الظلام هاربا خارج الكهف منتظرآ مصـــيره الذى يعلمه مســبقا، و انهارت أحلامه، وخططه تمامآ مع القبض على الأمير، وأيضــا قصــه المعدن الذى أخفته الملكة بطلاسـم من السـحر القوى حين سـمعت عن تحالف الأمير مع ملك الظلام ، فرســـمت على الصـــناديق المحتوية على قطع المعدن بعض الطلاسم الخاصـة ، فلن يستطع احد سرقتها ، و لن تفتح إلا في مكانها داخل حدود المملكة أما ، واذا تمكن أحدهم من ســـرقتها فســـيختفى المعدن بداخلها تمامآ ، ولن تبقى إلا قطع من الطمى وضـعت بجوار المعدن ، وكان الطمى حاجز سـحري اسـتعملته الملكة ليمنع ألســارق من رؤية ،أو ســماع أي شــيء في وجودة ،وســـيكون مخفيا ومكبلا عن عيون الأخرين فلن يســـتطيع أحد مسـاعدته لحين البث في أمرة ، وقد قام الأمير بسـرقه الصـندوق ولم يعلم عما قامت به الملكة ، و كما سمعت ترك ألكاهن ألحكيم ملك الظلام يهرب أمامه فلم تكن به حاجة لمحاكمته ، فقد أقترب انتهاء أمره ألي ألابد ، ولكن بقى صندوق المعدن ملاصق ارض الكهف لم يســـتطيع احد انتزاعه أبدا . **حتى عادا الكاهن الحكيم وفتح الصـندوق مره أخرى، ووضـع به شـيء صـغير بقي قرون**

عديده باخل الصـــندوق الذي التحمل بأرض الغرفة الملكية بالكهف

وعادل الفتى يســـال عمه هذا ما حدث لملك الظلام فماذا حدث للأمير؟ فقال: أحاط العشـــرات من طيور البوم الأمير ،و قامت بإخفائه كاملا فلم يظهر منه شـــيء حتى القى به داخل البلاط الملكي الـذى خوي إلا من الملكـة ، والكـاهن الحكيم فقد كـانـا الاثنين في انتظاره ،و التقت عيناه بعين الملكة التي لم تر أمامها ابنها بل رأت مجرم يجب عقابه فلم يعد الأمر صـراع شـخصـي بل اصـــبح الأمر أخطر من ذلك، أمر يخص أمن المملكة ، و يخص سـمعه الأسـرة المالكة منذ قرون طويلة – أيضـا لم يرى فيها ألام بل رأى الملكة فقط ، والتي رأت منصـب الملكة أهم من منصـــب أمومتها ، ونســـيت أن ألام هي من تغرس ألود فيخرج عظماء، وهى من تغرس البغض لتخرج شياطين ، وأشارت الملكة إلى الكاهن الحكيم بأصـــبعها ، ترمق أبنها ببغيض فتنزل عليه كالسياط الملتهبة فكان يبادلها ذات البغض لما وصل ألية ، وقام الكاهن بفتح وثيقه مطويه بيده ثم قرائها على ســـمع الأمير كان بالوثيقة توثيق لكل ما قام به من مخالفات منذ اخترق ســـجن الظلام ، وتحرير ملك الأرض المظلمـة، والتعـاون معـه ضـــد المملكة لســرقه ثروتها ، وكانت هذه الاتهام هو الأعظم أم غير ذلك من ألمخالفات ألتهم فقد رأتها الملكة مخالفة يمكن نقاشـها ، وهنا أطلق ضـحكة سـاخرة وقال .. مخالفه يمكن نقاشـها. كيف؟ ومتى أيها ألكـاهن كـان لـديكم وقت لمنـاقشـــه الأمور مع أمير الشعوب؟

لم يرد أحد عن سـؤاله بل قام ألكاهن بسـؤاله: عن صـحة ألتهم ألموجه له مما ســمع. فلم ينكرها بل أزداد عنادا وســيعيد الأمر حتى ينتقم ممن سـرق حقه في أداره البلاد، وجعل الرعية تسـخر

منه واخذ يصـــرح، ويكيل اللعنات، ولم تنتهي ثورة غضـــبه ألا، وأمتلئ المكان بطيور البوم فإشـــارات لهم الملكة فقادوا إلى خارج قاعه العرش حيث المكان الذي اخترته الملكة وتم وضـع الأغلال بيديه وقدميه وقيد بسـلاسـل حديديه، وأصـابه الذهول مما حدث، فاطرق راســه إلى أسـفل، ولم يعلم من حوله اهى أطراقه ندم؟ أم إطراقه حقد وعناد. وابتعدت طيور البوم بعيدا بالأمير، وهنا اطرق الكاهن الحكيم حزناً حين رأى تلك الخصـــلة الذهبية الصـــغيرة، وألتي لم يرها أحد بين خصـلات شـعره التي أصـبحت تقطر دماء وتـذكر ذلـك اليوم الـذي جـاهـدا ليعيـد الأمير ويعيـد معـه نقـاءه وخصـــلاته الذهبية التي تقطر خيرا ونماء، وباء ســعيه بالفشـــل فكان هناك قوى شـــريرة تحالف معها لنهاية الطريق ولم يســتطيع إثناء الملكة عما تقوم به تجاه الأمير ألصـــغير، وعدم الأقســـاط بينـه وبين أخيـه فقد كـان يعلم تعنتهـا وعدم تراجعهـا عن أي قرار تم اتخاذه.

وكان هذا هو قرارها الوحيد منذ أبيها الملك السابق الذي لم تشارك فيه الكاهن الحكيم فكما كانت الســـلاســـل الحديدية مفاجأة للأمير كانت اشـد مفاجأة له، فألتجم عن الكلام، وتسـأل في صـمت: فهل سـتبقى لمحه النور الصـغيرة بداخلة والتي ظهرت في خصـلة شـعره الذهبية؟ أم ستنطفئ أيضا ليمتلئ قلبه بالظلام؟

قـاد طيور البوم الأمير إلى حيـث أمرت الملكـة، وفي هـذا الوقـت أيضـــآ أعطت أمرها المباشـــر لقاده الجيوش للاحتشـــاد باكرا في الساحة الكبرى لتدريب الجند، ولم يمضـي وقت قصيرا حتى امتلأت جميع الطرق المؤدية إلى هناك بمعدات القتال الثقيلة والعربات التي تجرها الأفيال، والخيول، والســباع، والقلاع العالية تمشـــى أمامها أفواج كبيره من الخيالة الذي يســـبقها عشـــرات المئات من الجنود

المشـاة أما فوقهم فقد امتلأت السـماء بطيور البوم والصـقور خشـيه أن يكون هناك مكائد، أو سحر من الأمير الصغير.

كان الجنود يسيرون ببطيء، وكانت أصواتهم مثل قعقعه صخور الجبال القوية أن لم يكن هذا الجند اقوى من الجبال نفسـها ،و كان الليل قد انتصـف وظلمته قد أصـبحت اشـد سـواء ، و أخذت الجيوش في التدفق ليكونوا صـباحا بسـاحه ألكبرى سـاحة المعارك كما كانت الأوامر الملكية ،و رغم طول الطريق ، وصـعوبة المكان المؤدى لتلك الساحة في الصـحراء الكبيرة على اطراف المملكة ، لم يكن هناك قلبا بينهم يشـعر بالخوف ، أو الرهبة ، و أن كانوا على علم أن الجيوش لا تتجمع معـا في تلـك المكـان إلا لحـدث جلـل عظيم فمضت الألسن تتهامس فيما بينهم وتسأل ما سبب الاحتشاد ؟ وارتفعت الهمسات لتصل إلى أسماع قاده الجيوش الذي اتخذوا مواقعهم في الأمام وعيونهم يملئها الأسـى والحزن فقد كانوا على علم بما يدور داخل العرش الملكي، واشـفقوا لوضـع الملكة في تلك الكارثة الكبرى – انقشـعت ظلمه الليل، وأرسـلت السـماء خيوطها الرمادية معلنه قدوم يوم جديد قاسيا على المملكة، و اصطف الجند الـذى خرجوا مجموعـات من الطرق المختلفـة للتتقـابـل معـا في الساحة الكبرى كما اصطفت العربات التي تجرها الأفيال والخيول وعربات الحرب الثقيلة والقلاع العالية الذى تضـاهى الجبال طولا وحجمـا فكـانـت منظرا مهيبـا يثير الرعـب والخوف في من يراه ،وعاده الهمسـات مره بين الجيوش عن سـبب حشـد الملكة لهذا القوى الذى غالبا ماكنت تقوم به في حاله اسـتعراض قوى بلادها عند وجود أي خطر يدور حول المملكة فكانت تلك رسـالتها الصـامتة لمن تؤل له نفسـه المسـاس بالمملكة – وليس اسـتعراض الجند والعتاد هذا اليوم ككل مره تستعرض الملكة قوتها أمام غيرها من الملوك فتوجس الجميع شـيء ما فالحكيم منهم قد رأى أن

الملكـة يمكن أن تتنـازل عن العرش لابنهـا الأكبر ...والأخرون يخـالفوهم الرأي فـالملكـة لا يمكن أن تقوم بمثل هذا الأمر حيث سـيشـعل ذلك المعارك داخل البلاط الملكي ... ثم انتظر الجميع ليروا ما هو الأمر .

واصـطفت الجيوش في منظر مهيب أمام كرسـي العرش الحربى، والذى اتخذته الملكة لمقابله الجند في سـاحتهم كما كان لها أيضـا كرسـي العرش الملكي بالقصـر لمتابعه شـئون البلاد، واصـطف أيضـآ كبار المسـئولين ، وكبار القوم ، وعامه الشـعب ، وكان مكان الأميران بجوارها على أليمين وعلى اليسار، ولكن اليوم بقى مكان الابن الأصغر جهة اليسار خاليا ، ولا يوجد غير ابنها الكبير أمير الجيوش ...كما يوجد بالقرب منها في سـاحه العرش الحربى الكاهن الحكيم "مسـتشـار الملكة وحافظ السر الملكي " فاتخذ مكانه بجوار الملكة وبيده الصولجان العظيم وأيضـآ حامى الركن ألرابع من أركان المملكة فقد امتلك قوى سـحريه عظيمه تضـاهى قوه الملكة قد وهبها له أبيها الملك السابق كما أهدته الملكة أيضا بعض من القوى السحرية الخاص بها نظير ما يقوم به سـواء للأسـرة الملكة، أو خدمه البلاد ، لم يكن هذا الحشـد جديد على الجيوش ، أو الرعية ، فقد رأوه من قبل في مناسبات ، أما ما أصابهم بالدهشة والفزع اليوم هو أقامه هيئه القضـاء التي كانت بكامل هيئتها و اتخذ الجميع مجلسه ، وانطلق حامل البوق معلنا الانتباه ، فأشـارت الملكة بأصـبعها لاحد الجند الذى ذهب ، و اسـرع الخطى بطريقه رسـميه يملاها الهبه والوقار، فأتى حاجب السـجون ، وقد احضـر معه صـندوق حديدي ضـخم تسحبه الخيول وخلفة عدد من الجنود لم يظهر منه سـوى عجلاته المتحركة ، وباقي أعمده حديده ظهرت من اسـفل ذلـك الغطـاء الـذى يغطى القفص الحـديـدي ويخفى مـا فيـه عن

العيون المتلهفة لمعرفه ما بداخل هذا الشـــيء ؟ترى ماذا يكون بداخل هذا القفص ؟ أســـئلة كثير تم طرحها بين الجند والعامة ... فانتاب بعض الرعية الوجوم وتجلى على وجوه كبار القادة، وصـاحب الذبول وجه الملكة فكأنها كبرت بالعمر سـنوات عديده فور دخول القفص الحديدي إلى ســـاحة المحكمة حيث مجلس القضـــاة، ومجلس الجيش، والكاهن، وأمير الجيوش، وكبار رجال المملكة لتحديد مصير ما بداخل الصندوق... ثم انطلق البوق مره أخرى ثلاث مرات متتالية ليعلن بدأيه المراسم الذي يجهلها الجميع فتقدم كبير الجيش يحمل ســـيفا عظيما وبيده وثيقة قام بقراءتها ....

****

صاحت فريده بأعلى صوتها فاسرع ثلاثتهم يقطعون الدرج المؤدى للطابق الثاني في هلع إلى حجره فريده فشـاهدو بمنتصـف الحجرة وعلى مقربه منها ذلك الشبح للكاهن الحكيم، و الذى صـرخوا فور ظهوره بالغرفة فلم تمضـــى أيام قليله منذ اختطاف رضـــوى ، وهاهو الأن يعود مره أخرى ترى ماذا سيحل عليهم اليوم مره أخرى ، وترقب الجميع ، وسـاد الهرج فأخذت سـاره وفريدة يلقيان الكاهن بأي شـيء بالحجرة تصـل اليه أيديهم من أنيه للزهور، أو أكواب المياه لمحاوله أبعاده وإخراجه من الغرفة ، ولكن وقف الكاهن صـــامدآ لم يهتز له طرف ،وتلقى كل ما قذف به في صـــمت ، وتحمل الكثير اللعنات صامدا لم يتكلم مما أصاب عوني وميلاد بالدهشة فسألة ميلاد : من أنت ؟ وماذا تريد مره أخرى؟ إلا يكفي ما حدث منك؟ فأجاب العجوز قائلا: جئت مســـاعدا وأنى حقا الكاهن الحكيم وليس ملك الظلام. نظر اليـه عوني متوجســـا ثم قـال لـه: لو حقا مـا تقول

صـــحيحا ابتعد عده خطوات إلى الخلف ... فنظرت اليه فريدة وساره ولازال الرعب،

والخوف يتملكهم وأحاطت فريدة صـغيرها بقوه فمازال تحت سـحر الأمير الهارب راقدآ في غيبوبته باليد الأخرى أطبقت يدها بابنة أخيها ابتسـم الكاهن الحكيم ابتسـامه خفيفة ثم قال: وهل تعلم هذا الأمر؟

أعلم أنه ليس من الأنصاف ما حدث معكم منذ فترة بدون فصل. وأنا أعتذر مسبقا على هذا الشيء وأتمنى أن ينتهي الأمر فلا ذنب لكم فيه إلا بسبب أنكم حماه السر كما أتمنى إلا تموت ابنتكم أيضا. فصرخت فريدة، وقالت في اسـتجداء للكاهن الحكيم – هل تعرف أين ابنتي؟ اطلب ما شـئت وان كنت أنا الثمن في عودتها سـأقبل ما تقول. هنا اطرق الكاهن ووضع عينه إلى أسفل، وتأثرت ملامحه بما قالت فريدة التي تريد أن تفدي ابنتها بنفسها. واخذ يسال نفسه في صمت ترى لو كانت الملكة مكان هذه الأم أكانت ستفعل ما فعلت ... ثم تذكر أن ما فعلته الملكة هو احدى الأسـباب الذي كانت سـببا مما تعانيه تلك الأسـرة الأن، وهم أن يتقدم للأمام فاسـتوقفه عوني مره أخرى، وأعاد عليه نفس الطلب أن يعود للخلف عده خطوات –فقال الكاهن: أعلم ما تريد معرفته أيها الباحث في امر التاريخ والأمم السابقة. فجحظت عين الدكتور عوني من الدهشـة التي شـاركه فيها ميلاد. فابتسـم العجوز مره أخرى ثم قال: أعلم كما تعلم أيضـا ... لم تفهم فريدة أو أحد من المتواجدين بالغرفة ما يقول الكاهن وما يقوله عوني سـوى الدكتور ميلاد فقط.

كان جاجان غارقا في دوامه أفكاره بعيدا عن الجميع يحاول أن يتذكر أين سمع هذه الصوت من قبل؟ نعم لقد سمع هذا الصوت عده مرات ولكن ماذا كان يقول؟ وهل كان ذلك في اليقظة أم في النوم؟ ولم ينتبه لما يدور حوله بالغرفة، بل يحاول أن يتذكر، ولكن. تبخرت كل

الأفكار، ولم يعد هناك أي ذكريات مستقرة بعقله منذ اختفاء خطيبته وابنه خالة وحنا طرفي شفتيه، واخذ يعتصر جبينه بأصبعيه مطرقا إلى حيث الفضاء الواسع بالقرب من النافذة.

فاستدار اليه الكاهن وقال

هنا الطريق إلى مدينه الحزن

هنا الطريق الذي يوصل إلى الألم الأبدي

جحظت عينة على وقع هذه الكلمات. فقال بصوت عالي يجسد الصدمة التي تملكته من الرعب نعم أنت هو صاحب الصوت الذي كاااااان بالحجرة الممنوعة، ونظرا إلى أفراد أسرته وقد انخفض صوته قليلا فقد كان يشعر بالخزي والعار لما هم فيه الأن –ثم أسرع إلى عمه قائلا انه هو من قام بإنذاري أكثر من مره، ولم انتبه لما يقول لقد كان حقا هو الطريق إلى مدينه الأحزان مدينتهم هم، وهنا بقي لنا الألم على هذا الطريق. فقال الكاهن: نعم كنت هو صاحب الصوت الذي أتاك من بعيد، وليس من داخل الغرفة كان يأتيك عبر الصحراء، وجبالها، وصخورها، ورمالها.

حاول الكاهن أن يخفف قليلا على قلب الفتى الملتاع وأفراد الأسرة ولكن أنذره عزمي من الاقتراب من أي فرد منهم مره أخرى إلى أن يتحرك للخلف كما طلب منه، ولم يعقب الكاهن على ذلك الأمر فكان يعلم جيدا أن الأحداث الرهيبة التي تعرضت لها هذه الأسرة في فتره قصيره لا يحتملها أحد هذا الزمان.

كانت فريدة قد انكمشت أكثر على فراشها بجوار يوسف، وسارة كان شبح الكاهن يذكرها بيوم خطف ابنتها، و الكلمات تخلف ورائها شظايا في قلبيها فتجعله ينزف كما لم ينزف، وقد شردت هي الأخرى فأغمضت عينيها، و اخذ الألم يعتصرها فأحنت رأسها

ليلاصق جبين ابنه أخيها الملتصقة بها والمكتسي بتجاعيد الوجيعة وسلسبيل دمعها الملتهب يتسابق فوق وجنتيها على تلك الغالية المفقودة ، و الذي صـــاحبته الحرقة والحنين، وهنا تقدم الكاهن الحكيم خطوات إلى الخلف كما طلب منه الدكتور عوني الذى اسبل عينه إلى مكان الكاهن الذى كان متوقف فيه منذ لحظات ... وجحظت عينه من الدهشـــة ... وقال بصـــوتآ مرتفعآ موجهه كلامه إلى الدكتور ميلاد . هل بعد كل هذا القرون يمكن أن يكون لازال موجودا؟ ولكن كيف ...؟ لم يكن الدكتور ميلاد أقل دهشـــه من صـــديقه، فقد وجد كشـــفا أثريا رهيبا مره أخرى منذ ســـنوات تضيف لذلك الأسطورة أشياء جديده

فقال الكاهن ردا على تســـاؤلات العالمين نعم كل شـــيء يمكن أن يكون أنتم أيضـــا تملكون الدليل فلما التعجب مما ترى –فنظر ميلاد وقال: إذا كيف؟ فقال الكاهن: أو ليس لديك حضـــارة منذ الألاف السنين، وقد شاهدتها في الطريق اليكم هنا أوليس بها بقايا من أشياء إذا تحكم بها المنطق والعقل لا استحال أن تصدقها؟ ولكن مازالت قائمه، وكلما اكتشف شيء منها سترى بعد ذلك أنك لم تعرف سوى القليل، والقليل جدا أيضـا. كما هي أسـطورتنا لم تكشـف منها سـوى القليل جدا، وأيضـا كان ذلك حين أردنا نحن ذلك، وكان أيضـــا يمكن إلا يكون أبدا، وكنت حينئذ لن تعلم أنت او غيركما أي شـــيء عنا. فلكل تاريخ حكايته، وأســاطيره وعلومه أيضـا ... ثم ابتسم وقال: قد تكون أنت أيضـا أسطورة بعد مئات السنين من يعلم إلى أن تأخذك سراديب أسرار العلم... فكما قلت لكل عالم أسطورته الخاصة ثم أتبع قائلا مثلا

لو قال لنا أحد أن هناك من صعد إلى القمر كنا لن نصدقه بالرغم أننا نملك الكثير من السحر، والخوارق الأخرى، ولكن هذا الأمر لم يطرق ببال أي منا من قبل، ولكنكم الأن قد صعدتم إلى هناك إلى

حيث المستحيل والغريب لنا. اترى أن لكل عالم أسراره. فلا تتعجب من وجود تلك القطرات الذهبية التي تسقط من خصلاته شعري ألي ألان كما ترى، وكما شـــاهدت من قبل قطرات الدماء تســـقط من خصـــلات الأمير ... ثم نظر إلى الفتى وقال أما أنت أيها الأمير المخلص سـينتهي أمرك أذا حصـــل الأمير الهارب على تعويذه العفو، فلا تقرأها أبدا لان الأمر ســـيكون أكبر مما يحتمله عالمكم ... وليس أســـرتك فقط ثم نظر إلى عوني قائلا: كنت تعلم أن الكـاهن من يمتلـك القطرات الـذهبيـة أمـا ملـك الظلام فلن يخلف وراءه شـــيء أبدا سـوى الظلام فإنتبه لا سـرتك أيها العالم الجليل. ورفع صـــولجانه إلى اعلى ليقوم بلمس أرضـــيه الحجرة ليختفي في الحال كما ظهر هكذا، ولكن قبل اختفاءه قد وعد فريدة بشـــيء لم يســـمعه غيرها حيث اقترب من أذنيها وهمس ببعض كلمات لتنفرج أســـاريرها وتهبط واقفه متعلقة به لتقوم بســـؤاله _ لتجده قد اختفى تماماً فكادت أن تطير من فرحتها، ولكنها لم تخبر أحد كما قال لها قبل اختفاءه ...!

****

انطلق البوق مره أخرى ثلاث فانتبه الجميع لذلك الأمر إلا الكاهن الحكيم فقد ذهبا بعقلـه إلى تلـك الليلـة الأخيرة. ليلـه علم بتحـالف الأمير مع ملك الظلام، و ذهب الجميع، ولم يتبقى ببلاط العرش سـوى هو فلم يسـتطع أن يتركها في وضـعها الذى راها عليها تلك الليلة فلم تبرح كرسي العرش، ولم تشعر أيضا إنني لازلت بجانبها لم ابرح قاعه العرش كنت أرى أن عقلها الصارم ربما يكون قد قهره الحزن والندم فقد ظهرت أخيرا دموع في ذلك الوجه الذى كان في وقت من الأوقات لا يعرف الدمع ، ولا يشـــعر بالندم ، واقترب

متلعثما فقال لا تبكى يا مولاتي ... فنظرت لـه وقد كان يرى أفكارها فقالت : لقد أرســـلني ابنى إلى الجحيم وقادني إلى هذا الخطر العظيم ها هو قادنا إلى ما نحن عليه الأن هل ترى أن كان لهذا الوضـــع من ضـــرورة إلى ما نحن فيه الأن ؟ وأخذت تصرخ وكان شياطين الدنيا قد أمسكت بها – ثم سكنت مره ثانيه وقالت: وقد نالها القهر فظهر في نبرات صـــوتها. أن ســـلالتي وســـلالة أجدادي الملوك العظام ســـتنتهي. لقد نالت مملكتي القهر الذي لم يقدر عليه أعدائي–ثم قالت ســـاخرة، وقد امتلأت عينيها بالدمع يبدوا أننا وأنت ســـنكون أخر من يحكم هذه المملكة أيها الكاهن فقال مســـرعا محاولا أن يهدئ روعها ومصـــابها، ولكن يـامولاتى مـازال هنـاك الأمير الأكبر أمير الجيوش وولى العرش أيضا يا مولاتي مازال هناك امل.

فقالت: سـاخرة أين هو الأمل تعلم جيدا أن سـر قوه مملكة الشـمس يمكن في ترابط أسـرتها أفراد الأسـرة المالكة كما تعلم أيضـا يامعلمى ومعلم أبنائي أيها الحكيم أن ذلك من أسـرار دوام ملكنا. ثم ابتسـمت نصـف ابتسـامه حزينة وقالت الم تعلمني ذلك السر؟ حين أمرك أبى بذلك ... كما تعلم أيضـا أن انشـقاق الأخوة ستكون معه النهاية تعلم ذلك أيها الكاهن كما اعلم جيدا ... فقال لها يامولاتى ولكن لم يطلع الأميرين على هذا السر بعد فذلك السر يعلموا في وقت لم يحين إلى الأن ... فالت: وما الفائدة منة ألان لقد انتهى كل شـــيء، وأطرقت حزينة وكأنها في عالم غير عالمها –ثم سـألها، ولكن ماذا سـتفعلين الأن يامولاتى. فنظرت بعيدا شارده ولم تجيب سؤال الكاهن الحكيم، وقرعت الطبول بعد النداء الثالث للبوق فانتبه الكاهن لهذا الصـــوت وأيضـــا قد علم الإجابة على ســـؤاله التي لم تجابه وهاهو الأن يرى أجابتها وسـط الحشـود المنتشـرة في كل مكان من جند وعوام وكبار القادة.

أخذت الطبول تدوي بصـــوت اعلى في جموح كأن لم يكن بالمكان غيرها حيث لا صــوت ولا ضــجيج ثم هدأت قليلا لتعود معلنه عن النداءات الثلاثة فكان الرنة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة، ألتجم الجميع ورابطت السناتهم، وتجمدت أنفسهم، وتحجرت العيون على ذلك الصندوق الحديدي الضخم المغطى أمام منصة القضاة كان الجميع في ترقب لمعرفه متى يتم نزع الغطاء على هذا الصـــندوق عدى هي فقط من بينهم جميعآ كانت تنتظر هناك حيث الفضـــاء الفسيح شارده النظرات وقد علا الحزن وجهها فكانت تبدو أكبر من عمرها.

ثم انتهى الدقات الثلاثة للطبول لتطلق صـيحه في سـاحه الجند ترتفع بعدها قعقعه السـلاح ويتقدم احد الجند ليرفع السـتار عن الصـــندوق الحديدي وهنا ينزل الخوف العظيم على الجميع وتكاد تخلع نبضـــات الرعب قلوبهم وتمذقها تمزيقا حين رأى الجميع من يكون بداخل القفص الحديدي الكبير ... وعلى الرغم من وجود حشود الجند ،والقادة، والرعية ، إلا أن اليوم بدا ساكنا لا هواء فيه ولا رياح ، و لا أصـوات إلا من همسـات بين الحين والأخر تتناثر من بين العامة ، ولكن بقيت جميع العيون مترقبه ما بداخل القفص فكان هناك يراه الجميع، ولم يســتطيع أن يرى احد ممن حولة فكانت يديه مكبله بسلاسل حديديه شد وثاقها إلى أعمده القفص الحديدي فارتفت إلى اعلى كما كبلت أيضـا قدماه و شـــد وثاقها إلى أعمده القفص مثل يديه فكان منكس الراس إلى اسفل لا يظهر من وجهه شيء حيث غطى شعره الأسود الطويل كسواد الليل المطبق على المكان فراح ينسدل على كتفيه يتخلله بعض الشعيرات الحمراء التي تقطر دما على ملابسه الباليه ، وان كانت تبدو مثل ملابس الشـــخصـــيات الهامه بالمملكة فمازال بها لمحه من مجد قريب أما في نهاية قيوده الحديدة توجد قطعه كبيره

من معدن اصـفر اللون كتبت عليها رموز وطلاسـم مثل الرموز الذى أعلى تاج الملكة وأيضـا صـولجان الكاهن الحكيم ، وتبادل القادة بعض النظرات المبهمة فيما بينهم ، وكانت العيون المترقبة للملكة في ذلك الوقت تحمل كثيرات من تعبير المواسـاة والعزاء، وان كانت لا تنظر لتلك أليهم، ولكنها إثارات الشـك والقلق بين عامه الرعية فتعالت الهمسـات السـائلة مره أخرى من يكون ذلك الشخص المسجى بالقفص الحديدي بهذا الوضع ؟

تقدم الحاجب حيث مجلس القضـاة، واخذ من كبيرهم وثيقة ملفوفه بعنـايـة تـامـه وتم ختم أطرافهـا بختم ملكي ثم وقف في مكـانـه المخصص له بجوار مجلس القضاة الذي تكون من خمس أشخاص مهابي الهيئة كانوا قد اصـطفوا بجوار بعضـهم البعض بالقرب من مجلس الملكة وتوسـطهم أكبرهم عمرا رئيسـآ للقضـاة، والمحكمة الكبرى. تلك المحكمة التي اختصت بالقضـايا العليا لشئون المملكة كما كانت هناك المحكمة الصـغرى لباقي القضـايا المتداولة لفض المنازعات بين عامه الناس، وذلك أيضا ما أثير التساؤلات كثير من يكون بداخل القفص الحديدي الذي سيحاكم في المحكمة العليا؟ هل هو أحد الغزاة من الملوك حاول السـطو على المملكة؟ وارتفع النداء ليلتزم الجميع الصـمت التام رفعت رأسـها أخيرا. وكان الانكسـار ينعكس على مقلتيها، والذي أثار التعجب ثم أغمضـت كالأطفال عينيها. وحبست أنفسها. وأطلقت أشاره من أصبعها .. وهي تخنق أناملها المتشابكة فشاهد ذلك الوقفين بالقرب منها لتبدأ المحاكمة دون أن تلتف لهيئة المحكمة او لذلك السـجين الذي لم يفصـله عنها سـوى خطوات قليل من مرمى البصـر بينه وبينها والذي ظل مطأطأ رأسـه فهل كان العار والخزي يثقلها أم ترى هناك شـيء أخر؟ وانتظر الجميع حتى يرفعها ويكشف هوايته ومن يكون؟ وفض

الحاجب الختم الملكي وبدى في قراءه نص حيثيات الإدانة بتلك الوثيقة ...

الذى بدا من حيث اطلاق الأمير لملك الظلام من سجنه ثم التعاون معه لسرقه ثروه المملكة من المعدن النفيس _ فتعالت الأصوات غير مصدقه لما يقال ، وكيف حدث ذلك، وساد الهرج بين الجميع فانطلق البوق عاليا مره أخرى معلنا للجميع التزام الصمت التام ، وهنا قام ذلك السجين برفع رأسه المطأطأ لأول مره منذ دخوله لهذا المكان في بطئ شديد لتظهر عيناه الحمراوان كالنيران المتقدة وقد علا راسه شعره الطويل الأسود الفاحم الذى تخللته تلك الخصلات الحمراء التي أخذت تقطر بالدماء فتناثرت على ثيابه وبعض من وجنتيه فكان بهذا الهيئة اكثر شبها بمرده وشياطين الأساطير والحكايات الخرافية او مثل شبح من أشباح الجحيم .. وقد سلسل بتلك السلاسل الثقيلة المكبل بها، وبالرغم من ذلك المشهد المهيب الذي ترتعد له الأوصال إلا أن ذلك السجين لم يبدو خائفا أبدا مما يرى أو يسمع، أو من أي أحد من المتواجدين، ورفع رأسه المحمل بجراح الماضي الآتي أضيفت لها جراحا أعمق حين وطأة قدماه ذلك القفص الحديدي بأمر من امه الملكة فنظر اليها، وقد أدركت راسه كل الذكريات الأليمة وكيف أوصلته إلى هنا إلى هذا السجن فتسال الم يكن لديها بعض الوقت لا بنها؟ لو نسيت أمرها كله وتذكر لحظات حالها كأم فقط هل كنت سأكون هنا الأن؟ وارتسمت ملامح الغل على وجهه فقال يبدو أن الأمر لا يعنيها أبدا وما يعنيها فقط شان ملكها وقوتها التي تتباهى بها دائما في ذهو وافتخار ... لم يسمع كثيرا لهمسات العامة او صيحاتهم التي تعالت أحقا هو الأمير؟ أحقا هو أمير الشعوب؟ ايكون هذا حقا ابن الملكة؟ لم يستمع لاحد، ولم ينظر لاحد كانت فقط عينيه قد أوقفها الزمن والذكريات الأليمة فلم تعد تتحرك عن هذا الوجه هناك؛ وجه الملكة التي مازالت مطرقه لم

تلتف، ولم تســـتطيع النظر اليه حيث الأغلال قد قيدت وثاقه، ولكن تلك النظرات المملؤة بنار الحقد والكراهية لا تريد التخاذل والاستسلام أرد بأن يصرخ بأعلى صوته. ولكن كانت الذكريات الثقيلة تكتم على أنفاســه. فلم يقوى على رفع صــوته فمنذ طفولته لم تقدر على احتواء خوفه الكامن في صـــدره، أو احتواء طفولته البيضـــاء الذي كانت السبب في سوادها وضياعه معها فكانت عيناه ترسل شرارا – وكان الكاهن الحكيم يرقب ما يحدث في صمت تام متنقلا ببصره في هدوء غير ملحوظ لاحد من المتواجدين بين الأمير الســـجين والملكة التي عصف بها الانكسار –فهل تراها قد انكسرت على صفاء صفحات مجدها الذي لوثها أميرها الصغير أم ترها قد كسرت على فلذه كبدها السجين، والتي تعلم جيدا ما هو المصير الذي ينتظره من امتثاله أمام للمحكمة الكبرى؟

أنهي الحاجب قراءه حيثيات الإدانة ومازال الصـــمت يطبق على هذا المكان بشكل مخيف حيث قد كتم الجميع أنفاسهم لسماع حكم المحكمة فلم يرى أحد من قبل منذ مئات الأعوام التي توالت فيها الأســـرة المالكة الحكم من الأجداد والإباء تم اعتقال أي من أفراد أسرتها او أمرائها فقد سمع الجميع حيثيات الحكم ولكن لم يعلم أحدا منهم السبب الذي أدى بالأمير ليقوم بذلك، وان كانت العيون لازالت تسال في صمت، وارتفع البوق معلنا – حكم المحكمة على الأمير السجين

****

الفصل التاسع

كان الكاهن الحكيم قد وعد فريدة بمفاجأة. لكن طلب منها في مقابل هذا مطلبان اثنان أولهما: ألا تخبر أحدا بما وعده لها إلا حين أن يسمح بذلك والأمر الثاني: هناك شيء ما سيطلبه منها في مقابل المفاجأة التي أعدها لها من قبل والتي ستُسعد قلبها المفطور، وبدون تردد وافقت فريدة ما قيل لها، وها هو قد قام بالوفاء بوعده وقد أتى لها كما قال سابقا، فهتفت على أخيها فأسرع مُلبى ندائها، وانطلق إلى حجرتها مسرعا يعدو خلفه صديقة ميلاد، وباقي أفراد الأسرة؛ خشية أن يكون شيء ما قد حدث لها أو لابنها يوسف الذي مازال تحت السحر.

ودفع عوني باب الحجرة ففتحه مسرعا ودخل خلفه أفراد الأسرة يتملكهم الخوف مما سيكون داخل الحجرة هذه المرة أيضا.

فكما ظهر وأختفي منذ أيام ها هو قد أتى زائره من العالم الأخر فأسرع عوني بسؤاله في دهشة ككل مرة يرى أحدهما فقال: من أنت؟ وإنتبه الكاهن الحكيم أن الريبة، والخوف قد سيطر على أفراد الأسرة منذ أن أتخذ ملك الظلام ألتخفى في صورته فلم يعد الجميع يثق فيه وأختلط عليهم الأمر بين الكاهن الحقيقي وملك الظلام من يكون الاتي لهم من العالم البعيد، ورفع يده إلى أعلى قائلاً: ها أنا هو سأذهب بضع خطوات إلى الخلف لترى ما يكون حتى تتأكد أنه أنا وليس أي أخر كما فعلت سابقاً، وتقدم خطوات للخلف، فرأى الجميع تلك القطرات الذهبية فهدأوا قليلا. لم يتيح لهم الحكيم فرصة أخرى للحديث، وتوجهه بحديثة لفريدة قائلا: كنت قد وعدت سابقا أن هناك مفاجأته ستسعدك بخصوص ابنتك، ولكن لن يرى المفاجأة إلا أنت فقط فهل توافقين على ذلك ...فقالت والهفه تملأ كل كيانها

نعم نعم أوافق–قل ما تعرفه عن ابنتي وأين هي هل مازالت حيه وكيف صحتها وكيف تز. ...؟ لم يدعها الكاهن تكلم وابل الأسئلة التي طرحتها والتي ظلت بدون أجابه ولكن قال لها ستعرفين كل شيء كما سترين بنفسك كل شيء .... انظرى إلى هناك .... فنظرت فريدة حيث أشار الكاهن ولكن بهتت وتراجعت للخلف وأصابتها الدهشة فقالت له متسائلة إلى ماذا انظر تريدني أنظر لحائط الحجرة؟ فقال لها انظرى وانتظرى قليلا دون كلام واعلمى أن ما ستريه لن يراه غيرك هنا. أنت فقط كما وعدت. ونظرت فريدة للحائط مره أخرى فاذا بالحائط، قد تحول إلى شاشه عرض وظهرت عليه صوره جبل عظيم غريب الشكل أحد يقترب من الشاشة شيئا فشيئا فاعتدلت فجاءه وحدقت إلى شيء ما، وقالت في دهشه ورعب. ما هذا؟ ماذا هناك الحائط ماذا به؟ وحاولت أن تقوم بلمس الحائط ولكن منعها الكاهن الحكيم فظلت مكانها تنظر ... تشاهد في رعب ولهفه .... حتى ظهر هناك ذلك الظلام الدامس في دائرة كبيره غير مستويه فكان بابا لكهف ما داخل الجبل ... فشهقت فريدة، وقالت مره أخرى أهذا كهف؟ فأما لها الكاهن بالإجاب، وقال نعم هذا باب كهفا عظيم داخل الجبل .... فشهق عوني وميلاد عند سماع هذه الكلمة ونظر لهما الكاهن بطرف عينه فقد كان يعلم ما سبب شهقة الرعب التي علت وجهة كلا منهما فور سماع كلمة الكهف، وهذه أيضا سبب ما جعل فريدة ترى وحدها ما يكون هناك خشيه أن يتدخل أحدا منهما في حرب الملكة والأمير. إقترب الظلام كثيرا فانتشر بداخل الصورة التي يبثها الكاهن لداخل الكهف إلى أن لاح هناك ضوء قليلا. كان هناك شخص ما. لا تظهر ملامحه ولكنه كان مثل ظلاً عظيماً لرجل مخيف قد نظر نحوها فلم

تظهر منه سوى عينين حمراوين مثل قطع الجمر المتقدة، فصرخت فريدة من الرعب وابتعدت قليلاً إلى الوراء، وقالت مرة أخرى مندهشة ما هذا الذي أراه؟ فرد عليها الكاهن تملهى قليلا ولا تخاف. ما جئت إلا لطمأنتك، فصاح عزمي على أخته ماذا تشاهدين بداخل الحائط؟ ماذا تشاهدين؟ فنظرت إليه ولم تستطع الإجابة على سؤاله حيث وعدها.

الكاهن أن ترى ابنتها، ولكن فقط وحدها من ستراها وها هي قد رأت كثيراً مما يدمى القلب على ابنتها رعبا وقلقا، ولكن انتظرت قليلا فظهر من خلف الظل المخيف الذي تحرك قليلا إلى الأمام قطرات من الدماء الحمراء ا تناثرت خلفه، قد تساقطت من شعره أينما ذهب، واقترب الظل المخيف للمخلوق البشع من أحد أركان الكهف التي كانت تبدو من هيئتها الفخامة ، وقد انتشرت بها عدة وسائد حريرية وبعض الأطعمة والفاكهة كما كان هناك مكانا لم يظهر قليلا من بعيد يبدو أن فراشا صغير الحجم لا يتسع سوى لشخص واحد ، وقد اكتسى بالحرير رغم أن حوائط الكهف تبدو غريبة الشكل ككل الكهوف التي تعليها بقع الرطوبة والصخور الجبلية ، فكانت شيء غريب وسط هذا المكان البغيض فقالت متسائلة هل يوجد من يسكن هذا المكان ؟ ولماذا يسكن أحد هذا المكان ألا يوجد مكان في الأرض للحياة غير هذا المكان البغيض الذي أشبه بالسجون؟ وكيف تكون الحياة في مكان لا حياة فيه؟

فقال الكاهن: انتظرى سيدتي ستعرفين كل شيء، وهنا صاح الظل قائلاً: يجب أن تتناولين طعامك يجب أن لا تموتي هنا اعلم كل شيء عنك، وقد أتيتك بطعامك الذي تفضلين في عالمك، وهنا صرخت فريدة من الرعب وتسارعت ضربات قلبها، وقالت أتكون ابنتي؟ أتكون هي من يكلمها هذا الظل

البشـع؟ ... وتعالت صـرخاتها، فاحتضـنها أخيها، وقد أوشـكت على السـقوط فأجلسـها على حافه فراشـها بجوار أبنها ألممدد، ولم يعي شـيء حتى الأن، فعاد الكاهن يقول: انتظرى سـيدتي، ولا يسبقك الخوف مما ترى انتظرى.

فصـــرحت فريـدة وقـالـت: انتظر مـاذا؟ هـل ابنتي مع هـذا المخلوق في كهف داخل الجبل؟ إنها تموت رعباً كل لحظه هناك. ألا ترى؟ وتوهج ضـــوء بالحجرة من نار حمراء بداخلها أضـــواء برتقالية لامعة مما أضـــفت بعض الهدوء والســـكينة على هذا المكان الموحش، واقترب الظل قليلا من ذلك الفراش الذي إكتســـى بالســـرر الحريرية، فمده يده بانية الطعام الذي تناولته في هدوء تلك الفتاة ألجالسة هناك.

وظهر وجهها قليلاً فكانت ابنتها رضـــوى، والتي رأتها فريدة فكادت أن تتوقف نبضات قلبها، وكانت ستفقد وعيها في الحال. أخذت رضـوى الطعام من صـاحب الظل المخيف ، وقد توارت مره أخرى حيث مجلسـها في فراشـها، ثم تتناول طعامها ببطيء شـديد، وقد أخذت تتذكر أسـرتها وضـحكة يوسـف وسـاره حين قامت برسمها أثناء نومها، وأمها ، وهى تتقدم تسبقها ضـحكتها الحلوة الدافئة ، فكانت ليالي الشـتاء الباردة تتحول في حضـنها إلى ربيع ، وسعادة ، وحكايات عمها عوني وميلاد ، وصرخات أم محمود من شقاوة يوسف حين يمسك بأطراف غطاء رأسها الطويل الذى يكاد يمتد إلى أطراف قدميها ، ولم تكن تسـتطيع فعل شيء حيث كان يفعل ذلك معها وهى محملة بأواني الطعام ... وزهور أبو محمود الذى لا يكاد يمر يوما إلا وقد أخذ منها لكل منهم زهره فاطلق عليها اسمه قبل أن يعطيها له . أسرتها تفتقدها بشـــدة وهو مازالت لهفة عينيه الملحقة بها حين خطفها الظل الأسـود ترى ماذا يفعل الأن جاجان؟ كان واقفا على عتبه

الباب. حين أخذ يدنو مني بخطى صـــغيرة، وأنا أتتبعه بعيني شـــبه المفتوحتان الذي امتلأ رعباً وهلعاً حيث ذهبت إلى المجهول الذي لا اعلم ما هو إلى الأن. يد اعتصرت أصابعي، وقادتني مجبرتا للهرولة نحوه. رفعت رأســـي لأرى هوية قائدي، فاذا به ظلا اسود لم اعلم أكان هذا لونه أحقا؟ أم هذا هو سواد قلبه البغيض؟ وهو محدقا بصـره الذي يطلق سـودا إلى للأمام ولم يرق قلبه لما أصـــاب أســـرتنا في ذلك اليوم ألم يكتفى بما فعله بيوسـف؟ وتسـألت في صـمت ترى هل مازال تحت سـحر هذا الظلام؟ ولم تكن تدري ماذا حدث لأسرتها بعد ذلك؟

ورق قلبها لحال أمها حين تذكرت يوسـف أيضـا فإنزلقت دمعة من عينيها كـانـت مثلها أيضـــا على وجنتي أمها وهي ترى ابنتها وقد أصـــاب وجهها الذبول وإمتلآ عينها بالحزن. أطرقت رضوى إلى الأرض في نظرة آسى ونظرت إليه من بين دموعها التي كانت تغشي عنها النظر، ولكنها كانت تستطيع لمح طيفه وهو يتحرك في أنحاء الغرفة بعصبية شديدة. كانت تنتفض في كل مرة إذا تحرك خشـــية أن يقبل إليها في الغرفة أثناء ذهابه وإيابه فيها. قبل أن يتوقف فجأة، وينظر للأرض ثم إلتفت إليها بعد أن توقف ليجدها تنظر اليه بصـمت، وهلع وخطواته تقترب منها. تابعت إقترابه منها بصمت حتى توقف بالقرب منها قائلا: ســأغادر الأن، وســأغلق عليكى الباب مثل كل يوم، ولم يكن هناك أبواب للكهف سوى أبوابه الذي صـنعها بقواه السـحرية ثم قال: وإذا أردت شـيء فقط نادى سـأسـمعك أينما كنت، وتحرك ليخطو خارج الكهف مغادرا. إعتدلت، وقالت: ومن تكون حتى انادى باسـمه. فالتفت اليها وامتلأت عينه بالحزن العميق فقال: أنا لا اسم لي ولكن قريبا سأسترد.

أسمي واسترد حقي، وأحطم قيودي. لم يكن الأمير الهارب يهتم بخطف أحد ما، أو قتل أحد ما، فما زالت يده لم تلوثها الدماء من قبل وحتى الأن كان حريصا كل الحرص ألا تصيب يديه دماء أحد من حافظين سر المخطوطة كان يعلم جيدا سبب ذلك كما يعلمه الكاهن الحكيم، وأن هناك دائما مفتاح للأمل في إصلاح أي شيء، أو خطأ أما إذا ما تلوثت يده بدماء الأبرياء كما يعلم، ويعلمه الكاهن والملكة فلن ينال عفوه الملكي وسيصبح منبوذ ألي الابد.

وفى حالة حصوله على تعويذة العفو فسيتم عقاب كل ما حمل سر التعويذة والمخطوطة الملكية، ولكن لم يعلم أيكون عقابهم بيده هو؟ أم هناك غيره من سيتولى ذلك الأمر؟ كما يجهل تمام من قام بوضع هذا البند في بنود العفو الملكي، ولماذا تم وضع هذا الشرط المجحف لأحد لم يكن يعلم عنة حين سجن وحين كتبت الملكة تعويذة العفو ؟!، ولكن هل يعلم ذلك أيضا أيا مما حملوا سر التعويذة؟، ولذلك كان رافضا كل الرفض مما قام به ملك الظلام من خطف الفتاة ولذلك قام بالاعتناء بها وحده، كما منعه من دخول حجرتها حتى ينتهي هذا الأمر. أما ملك الظلام فكان يتخبط فيما يقوم به في ذلك الوقت ليس داعما له أو حبا في الأمير الهارب، ولكن من أجله هو وهو فقط فمع اقتراب ظهور القمر للشهر الثاني يصبح لا أمل له أبدا سيتحول بعدها إلى ظلام فلا نداء أخر ولا فرصه قادمه ....

سألت فريدة ترى لمن هذا الظل البشع؟ وهل هو من قام بخطف ابنتي؟ وهو أيضا من أصاب يوسف بهذا السحر إلى الأن؟ ولأول مره يجيبها الكاهن على إحدى أسئلتها ، فقال : لا سيدتي لم يكن هو من قام بخطفها ، فحمدت الله وقالت : اذا من يكون من يعتنى بابنتي؟ وماذا يريد منها أيكون أحد من الجان؟

ثم صـرخت وقالت هل الأمر كذلك؟ فرد عليها أيضـا وقد هدأ من روعها: لا ليس الأمر كما تظنين. انتظرى قليلا وشـاهدي بنفسك ألا ترين أن ابنتك بخير، وإن ابتعدت عنك قليلا. فقالت: لم أعد أحتمل" شقت كلماتها المنبثقة من رحم الوجع طريقها إلى أذنه، فقال لها صـبرا سـيدتي ألم يطمئن قلبك قليلا عن قبل؟ فقالت: نعم لا أنكر ذلك ولكنى من يكون هذا الظل؟ فرد عوني، وأصابه القلق على أخته، وقال: صفيه لي كي عرف من يكون هذا الظل فأخذه تصـفه كما رأته قبل أن يرحل، ويترك ابنتها التي مازالت سـاهمة في أفكارها. حتى أن وصـلت إلى قطرات الـدم قـد علم عزمي من يكون، فحمـد اللـه أن لم يكن ملـك الظلام، فقد كان يعلم أيضـا بنود وثيقة العفو الملكي التي ينتظرها الأمير ليعود حرا طليقاً إلى عـالمـه. لـذا هو يقـاتـل قتلا شـرسـا للمحافظة على الفتى من أن يصـعب أو يسـتحوذ عليـه الأمير وحده ليقرأه التعويذة ... كـان يعلم عدم أن يتمكن من ذلك هو حماية للأسـرة وأصـدقائه جميعا أسـتعد الكاهن الحكيم للرحيل وقد فقام بغلق النافذة السحرية على حائط الغرفة مشـيرا لها بالصـولجان الذي يحمله فأنطلق منه شـعاعا أزرقا لامعا وعاد كل شـيء كما كان، مازالت فريدة تناشـده أن يتركها ترى ابنتها بعض الوقت ولكنة رفض، ووعدها أن يقوم بذلك مرة أخرى. فجلست تحتضن ابنها ونزفت عينها دموع قلبها المحترق على أبنائها، فإقترب منها جاجان وقام باحتضـانها وبكيا معآ لفقد الحبيبة الغالية، ودق الحكيم الصـولجان بأرض الغرفة دقه واحده ليختفي بعدها.

****

مازالت عيون الرعية تسـأل في صـمت كيف أقدم الأمير الصـغير للقيام بهذا؟ ولماذا؟ هل يمكن أن يسـرق أحد ملكه؟،

وأصـــابت الحيرة الجميع بين مصـــدق وبين غير مصـــدق لهذا الحدث. وارتفعت الأصـوات تتسـاءل لماذا تبدل الأمير الحنون وصار يفزع الرعية؟ وانطلق البوق ليعلن حكم المحكمة.

وهنا انتفض وافقا في قفصـــه الحديدي الذي وضـــعته به الملكة فأصـبح كالأسـد الجريح الذي لو إنطلق لم يبقى في هذا اللحظة على أحد فأخذ يتنقل بعيونه الحمراء الذي أطلقت شـــرارها على الجميع بنظرة سـريعة ليرى لأول مره الحضـور الذي أتى من كل مكـان بـالمملكـة ليحـاكم أمـامهم مثـل أعتى ألمجرمين، فكـان حقا منظراً مهيبا لا تقوم بـه الملكـة إلا لأمر جلـل، وكـان هو الأمر الجلل في ذلك اليوم. وها هي قد اسـتعرضـت قوتها فهل لتلقنه درسا دون قتال كما كانت تفعل مع الملوك السابقين؟ حيث إذا أراد أحدهما شـراء جزء من المعدن كانت تجالســه هنا ثم تقم باســـتعراض قوتها قبل أن ترفض طلبه حتى لا تؤل له نفســـه إستعمال القوة، أو إعادة الطلب مره أخرى، فهل تراه الملكة كذلك هل كانت تخشـــى قوته وهو جزء من قوتها أما كانت تخشـــى الأســـرار التي يعلمهـا، فمن يعلم كـل شـــيء ثم تحول إلى عدو أصبح أشد خطرا على الجميع، وتجمعت العبرات في عيني الملكة التي تسـبح في الفضـاء بعيون لم تسـتطيع أن تخفى ما بهما من قهر وألم فكانت تنظر في ذلك الفضاء الشاسع متحاشية النظر إليه، وإن كانت نظراته اليها تلهبها فإرتجفت.

وســـرت رعشـــة باردة في أوصـــالها وحســـيت أنها تمر بحلم مزعج، فأخذت تصـــغى إلى الســـكون الذي يســـبق حكم هيئه القضـــاة. أما أميرها الأكبر، فلم يعد يدري أيسـعد بوصـوله إلى تلك المكانة، وتفرده بكرسـي العرش في الحكم الذي سـيكون بعد ذلك لأبنائه دون شـريك في الملك؟ أم يحزن على الخزي والعار الذى دنس ثوب الكبرياء لديه بين الممالك الأخرى؟ ، وتعالت

الوجوه وتلاقت عينيه بعيني أخوه داخل القفص الذى قد رأه سببا أخرى للوصـول إلى ما هو فيه الأن فلم يكن ينصـره مرة واحدة أمام الملكة منذ صـغرهما بل كان سـبباً من أسـباب معاناته إلى أن شـابا أقوى فرسـان المملكة ، فقد كان يتميز بالقوة والبطش ، وكنت أتميز بالرقة والحلم كان فقط العقل من يحركه في كل الأمور ، وكنـت أشـــعر حتى بـالألم الـذى يصـــيـب الطير والدواب كان أخي يحب الظهور وســـط العامة ملكا ، وكنت غير ذلك حتى انخرطت معهما حتى النخاع فأعيش في أفراحهم وأحزانهم فنظرات عيونـه الحمراء الملتهبـة لم تكن تنظر في وجهه أخيه، ولكن كانت تخترق نبضـــات قلبه، وتســـاءل في صـــمت حين تذكر يوم تســـابقا معا في الغابـة ، وكـانـت صـيحتهما الفتيه تسـبق طيور السـماء حين أخذ الأمير الكبير يطارد إحدى الغزلان البرية ، وهو يتوسل إليه إلا يقتلها ويتوسل إليـة مســـتعطفا أن يتركهـا ترحـل ، ولمـاذا يقتل هذا الجمـال البريء ولكنـة يأبى لـه فجذب القوس من يده ، وانتهى الأمر وفر الغزال لداخل الغابـة بعيده عن ملتقى عينيـه. وكـان ذلـك سببا من أسباب ثورة الملكة حين رجعنا، واستقبل أمه بوابل من الشـــكوى لمنعه عن التدريب للصـــيد، فقلت لأمي: تعلمنا أن نصـيد الحيوانات المفترسـة، وليس الحيوانات المسالمة فقال: في ذلك الوقت: دخلنا إلى عمق الغابة، ولم نرى حيوانات مفترســـة إلا ذلـك الغزال ونســـى أخي الأكبر.أننـا قد تجـازنـا كثير من الذئاب والثعالب، والسـباع أمامنا، وأخذ يسـترسـل في كثير من الكذب، ولم أكن أدرى لماذا يفعل ذلك؟ حتى علمت الســـبب الرئيســـي وراء مـا يفعـل، فهـل لم تنتبـه أمي لهـذا الأفعـال؟ فأصبحت تغدق عليه من الرعاية والأمومة ولم تسأل يوم هل ما قاله الأمير صـحيح أم لا؟ فلم يتسـنى لها سـؤلي، وكيف تسـأل

وهي المصدقة له في كل شيء، وأن الأمير الأكبر يكذب أبدآ؟ التهمت نظراته أخيه الذي أطرق رأسه إلى الأرض وحاول أن لا تلتقي عينيه بعين أخيه مرة أخرى، فتوقفت عينيه الحمراوين، والتي أخذتا تلمعان ببريق خاص. أعاد عليه ذكرى ما فعلته أمه وأخيه والتي أخبرها بحقائق كثيرة كانت لا تصـــدقها. عن ذلگ القصـر وسـاكنة .... ماذا سـتكون ردة فعلها إن علمت بالحقيقة؟ وإن ما كنت أقوله حقا ولكنها ترى ما تريد وتصدق ما تريـد؟ ولكن لمـاذا تفعـل هـذا الأمور؟ فهـل كـانـت على علم وتمادت في غيها أما ماذا؟ كان الخوف يملاني بعد كل لقاء أدافع به عن نفسـى أمامها ، لزمت حجرتي لأيام كثيره وأنا أقنع نفسـي بأن الأمر سـننتهي و سـيختفي ذلك الصـراع الطفولي مع نضـــوجنا من الوجود فكانت بالنســـبة لي مســـألة وقت لا أكثر كنت أحاول إقناعي نفســى بهذا ، وعشــت كثيرا أيام من الوحدة لا يشـــعر بوحدتي أحدا ثم أعود كما كنت ســـعيدة مع نفســي متناســيا ما حدث ، وأقول لذاتي حتى وأن كنت ســترى نفسك ملوما من الأخرين بسبب خطاء لم تقرفه واضح كوضوح النهار لا ذنب لك فيه حتى أن صمتك الضعيف أصبحت تُلام عليه حتى كانت الإهانات القاتلة والتهكم الذى يصـــيب القلب مباشـــرا ، ومن رحم الأنين ولد العناد والاحتجاج الذى كان كالســـوط يلهب النفس ليلا ونهار ذلك الأنين الكريه الفياض بالحقد والكراهية والبغض والبشـاعة غير مسـتكين يلهب العقل والفؤاد ملتاعا للإنتقام ليقلق الجميع ويذيب قلوبهم ويذهب النوم من عيونهم فكانت نفسى تشتاق إلى الإنتقام ..

كم كان يدهشـــني أولئك اللذين يســـتطيعون أن ينتقموا ممن يهاجمهم وأن يدافعوا عن أنفســـهم وترى كيف يفعلون ذلك، وقد تملكتهم رغبه الإنتقام تملكا بحيث لم يبقى فيهم أي دوافع أخرى

غير الإنتقام فكان يندفع إلى هدفه مثل الثور الذي يقاتل، ولا يقف أمامه أحد في ميدان المعارك كثيرا، ما كنت أرى هذا الشـــخص أحمق لا يميز بين طبيعة المخلوقات، فينتقم دون وعى حتى كاد أن يكون أقرب إلى مخلوقات الغابات منهم إلى البشـر كنت أندهش كيف يموت الأنســان كريها، وقد مقته كل من حوله؟ فهل حقا العاطفة طرف فائض عن الحاجه؟ ولم أكن اعلم أيضـا أنه سـيكون هناك وقتا ما أكون فيه أشـبه بشـياطين الأرض ، وليس مخلوقات الغابات فمخلوق الغابات ، لا عقول لها، أما الشياطين ، فلم يكن لها إلا قلوب من ظلام...

هل تعرضـــتم يومياً إلى الاختيار؟ أتعرف ماذا يعنى الاختيار؟ الشـــيطان تعرض للإختيار، ويعلم ما هو الإختيار؟، وكذلك أنا اعلم نتيجة ما أقدمت عليه، ولكن من أنا؟ لقد ولد شـخص أخر أتى من رحم الأنين هل كان بدا من إظهار بعض الفوضـــى لينتبه الجميع؟ ولكن هل الفوضـــى تتفق مع القوانين الطبيعية للحياة؟ ولكن هناك من يحبون الفوضـــى فليكن ما تريدة الملكة وابنها المدلل، ولقد أعطيتكم جزء صـــغير مما تحبون، ولكن مازالت هنا على قيد الحياة، وإن كنت مكبلا بالسـلاسل، فعندي الكثير لم ترونه بعد.

وكلمـا تـذكر زاد إحمرار عينيـه حتى كـادت أن تقتلع من مكـانها كـان يتمنى أن تطرف عينيها في تلك اللحظـة وتنظر إليـه. كـان يتمنى أن ينظر في أعماقها ليقول أنـا هنـا أنـا من عدلتي صـــناعته، وأدخلته عليه كثيرا مما تحبين، فلماذا لم يعجبك ذلك؟ نظر إليها وقد قال أبدا وقت الحســـاب لن يمر بعد، ولو بعد مئات الســـنين. أما الكاهن الحكيم فقد أخذ ينظر للجميع بطرف عينيـه، وقد علم أن الأمر لن ينتهي هنـا، ولن ينتهي ابدآ. وكان بصـــفته أحد أركان حكماء المملكة الأربعة

كان له حق نقض الحكم أو التماس التخفيف أو إضـافة شـيء أو إسـتثناء شـيء منه فيتم المداوله بين القضـاة للموافقة أو الرفض إلا إذا تدخلت الملكة، أو الأبن الأكبر بالموافقة على ذلك كانت لهم الكلمة العلى، ويتم الموافقة على ذلك، وهنا انتظر الكاهن الحكيم نتيجة الحكم الذي كان يرى أن في كل شر شعاع من النور، وفى كل خير شعاع من الشر، فهل كان هناك متسـع من الوقت لما يفكر فيه الكاهن الحكيم؟ فنرى ما يكون أولا من هيئة القضاء التي سُتدلى بحكمها، فترقب الحكم كما كان يترقب الجميع ذلك أيضا.

إصطفت هيئه القضاة التي توسطها كبير قضاة المحاكم الذي يمثل " العدل "و" الحق و" الخلق الطيب"، وهنا رفع القاضـي صوته، فأطرق الجميع ليقول:

حكمنا بالعدل على أمير الشعوب الأبن الأصغر لملكة البلاد وحامية مملكة الشـمس العظيمة بالنفي إلى مملكة الظلام نفياً دائما إلى الأبد.

وهنا أرتفع الأصوات في كل مكان، وساد الهرج حيث لم ينالها أحد قط تلك العقوبة كما أنها القضـية الأولى من نوعها التي يحكم فيها على أحد أفراد الأسـرة المالكة ورأى ألبعض في هذا الحكم إجحاف كبير، وأطرق بعضهم صمتا، وانتهى القاضـي من قرار حكمه، ودق الكاهن الحكيم بصـولجانه ثلاثة مرات فإنتبه إليه الجميع.

فقال الحكيم مخاطبا هيئة القضـاة بما له من صـلاحيه نقض الحكم للصـالح العام فأثنى الكاهن الحكيم على هيئة القضـاة وعدالتهم ونزاهتهم التي ليس عليها أي شـائبه في هذا الحكم أو

الأحكام السـابقة ثم أكمل حديثه قائلا: ويحق لي من مركزي في حماية الأركان الأربعة للبلاد أن انقض الحكم للأسباب التالية:

سيدى القاضـي لو تم إرسال أمير الشعوب إلى منفى الظلام ، فســـيكون نتيجـة هذا الحكم الاتي : مقابلـة الأمير هنـاك مع الملوك المهزومين من مملكتنا العظيمـة وذلك ســـيمثل خطراً عظيماً على المملكة لسببين الأول : قد يقوم أعدائنا اللذين تم نفيهم هناك بقتل الأمير انتقاما منا وسـتكون بذلك وصـمة عار لنا جميعا وسيسجل تاريخنا أن أعدائنا لم ينالوا منا على أرضنا ، ولكنهم قتلوا أميرنا ، والخطر الثاني : قد يقمون باســـتغلال الأمير لما يتمتع به من قوى ســحرية عظيمة لا تزول بســجنه ولكنها تضـــعف قليلاً ويصـــبح هناك تحالف آيا كان نوع هذا التحالف فلن يكون في صـــالح أي منا ، ولذلك أرى أن نضـــع سجيننا هنا داخل بلادنا ، وليس مع أعدائنا هناك.

كما أقترح ســـيدي القاضـــي كما قلت من قبل وحتى لا تكون وصمة عار في تاريخنا القوى. كما أرجو أن تكون هناك فرصه أخرى للأمير ولكن، وتعالت الهمهمات والصـــيحات المؤيدة والرافضة من الجميع ليختلط الأمر فكان أقرب إلى الصياح.

فإنتظر الكاهن قليلا ليهدئ الجميع ثم عاد وقال : لم أعنى بذلك رد حكم هيئة القضاة نعلم جميعا أن لا رد لحكم قضائنا ، ولكن سيكون الأمر مختلفا قليلا سيتم سجن الأمير داخل أرض المملكة للأسـباب التي قد ذكرتها سـابقاً ،أما الأمر الأخر وهو تقديم فرصـــة أخرى للأمير ســتكون فرصـــة مشـــروطه، وكما ذكرت سيكون ذلك في صـالح تاريخ البلاد – أما الفرصـة التي أقصدها هي أن يتم سجن الأمير داخل سجن من سجون الملكة الخاصـة ، وليكن سـجن الصـحراء حيث الكهف الأحمر بجبل

الهلاك ســـيكون هناك مقر ســـجن الأمير الإنفرادي حيث لا سـجناء إلا هو أما الفرصـة فهي مخطوطه العفو الملكي ، وهى تعويذة سـحرية سـيكون هذا في حالة أن هناك من قام بالنداء وإستدعاء الأمير كما يكون في سجن الظلام من إعطاء فرصـه أخرى للسجين للحرية . وسيكون ذلك الشخص الذى يبحث عن الأمير وينـاديه هو الأمير الذى سـيحرره و يخلصـه من سـجنه كما سـيقوم بقراءة رموز التعويذة بمسـاعدة أمير الشـعوب ليعود حرا بعد ذلك إلى مُلكه ومملكة ، وقد عفى عنه من الجريمة نهائيا ، ولكن هناك شـــرط أخر ، وهو عمر الأمير المخلص يجب ألا يتعدى العشرون عاماً وإذا مر يوم واحد على ذلك قبل أن يتمكن أمير الشـــعوب من جعل الفتى المخلص يقوم بقراءة حروف التعويذة الســحرية و يعود إلى ســجنه مرة أخرى مكبلا كما كان في قيود حتى يمر مائة عام أخرى فقط فرصـــة واحده كل مائة عام يســـتطيع الخلاص فيها فقط عند نداء أحدهم أو البحث عنه في أي زمان وأي مكان.

ثالثا: إذا وافقت هيئة القضاة على ذلك.

فسيكون تأمين سجن الأمير تحت حراستي الشخصية وجنود الملكة الشخصيين أيضا ، وذلك تحسبا لأى أمر فقد يعلم أحد أعدانا ذلك السجن ، فيقوم بإيذاء الأمير أو خطفه، ولن يستطيع في ذلك الوقت إستعمال سحره الذى تبقى لديه القليل منه داخل سجنه وسيكون ذلك أيضا ضمن مخطوطة العهد حيث لا يعود إلى الأمير قواه الســحرية كاملة إلا في حاله النداء عليه ، وهنا تعالت الأصـــوات بالموافقة على رأى الكاهن الحكيم كما راق الأمر إلى هيئة القضـــاء فوافقت على ذلك ، وتم اقتياد الأمير السجين إلى حيث موضعه الجديد بالكهف الأحمر بجبل الهلاك

فترى ماذا سـيجد هناك في قلب الصـحراء ؟ ابتعد قليلا بداخل قفصـه الحديدي ومازال ينظر للملكة، وقد زاد حقده إلى اقصـى درجاته والتي كانت تتفادى النظر إليه نهائيا لكيلا ترى هاتان العينان فهل كانت تخشـى ألا تسـتطيع أن تغمض عينيها بعد النظر اليهما أم كانت تخشـى أن تحترق بلهيبهما –انطلق موكب السـجن بالأمير إلى حيث جبل الهلاك، وانطلقت هي مسـرعة إلى الخارج حيث موكبها الملكي لتنطلق عائدة إلى قصر الحكم.

لم تنتظر أمير الجيوش أو الكاهن الحكيم الذي صـاحبها للحضـور في الموكب الملكي منذ قليل، ولكنها هاهى تعود وحدها كما ذهب هو أيضـا وحيدا إلى عالمه الجديد في قلب الكهف فلم يدري هل سـيعود يوما؟ أم سـيظل هكذا باقي عمره؟ انطلق أمير الجيوش، والكـاهن الحكيم في موكبهما أيضـا عائدين إلى قصـر الحكم فقد كانت هناك الكثير من الأمور لم تكتمل بعد. كما كان يعلم أن الأمر أقوى ما يكون الأن على الملكة الأم.

****

تمتمت محدثة نفسـها، وهي تنظر إلى هذه المرآه الكبيرة التي تتوسط غرفة نومها الملكية قائلة: نعم أنا بالتأكيد أنا. ثم لمست أطراف أصابعها إحدى زجاجات العطر المنتشرة على حافة مرآه التزين الخاصـة بها فقضـبت عليها بيديها في حنق وقام بقذفها في إحدى حوائط الغرفة لتتناثر شـظياها في كل مكان، وقد انسـكب ما بها من عطر على بلاط الحجرة فنظرت إليها قائلة نعم، وأنا أيضـا مثل زجاجتي هذه اليوم فقد إنكسـر قلبي وتناثر فؤادي وإنسـكب دمه كما إنسـكب هذا العطر. ثم هدأت

قليلا من غضبها وقالت: وأنا تناثرت كلى أيضا وان انسكبت كل دمائي، وليس دماء قلبي فقط أكون قد استحققت هذا منة؟ او أكون من فعلت ذلك به؟ ... أنا من قدته إلى النهاية ولم أرمي له يوما حبل النجاة. لغبائي، وكبريائي.

ثم صرخت مرة أخرى، وهي تجوب غرفتها ذهبا وآيبا كالوحش المجروح أنا من يجب أن تعاقب؟ نعم فقد قمت بصناعة هذا الوحش يوما بعد يوم. كنت أراه يوما بعد يوم يزداد سوءاً ولم أكن أكترث للأمر، لم أكن أدرى يوما أنى أشارك في نهايته نعم فنحن الأمهات قد نصنع الأبطال، وقد نصنع أيضا الوحوش نعم نحن صناع الأجيال وهذه عملنا الأهم حتى، وان كنا ملكات. كانت صورتها في المرآه أمراءه شديدة الجمال مليحه البشرة كحيله العينين كثيفة الرموش التي كانت تقوم على حراسه هذه العيون التي تفيض سحرا وفتنه كان كل شيء فيها يوحى بالفتنة والجمال والكبرياء أيضا كان جسدها البديع كأنه يقاوم الشيخوخة كانت ايه من آيات الحسن الأنثوي الفاتنة ، ولكن هذه الملكة كانت غريبه الأطوار فبرغم من فتنتها وأنوثتها الطاغية الظاهرة كانت لا تلبس سوى عباءه الرجال في تصرفاتها ، فقد نشأت كمنشاء الفتيان وليس مثل الفتيات في سنها والذى قام بذلك ولدها الملك السابق حيث لم ينجب من الأبناء سوى الإناث ، فلم يحظى بوريث للعرش من الذكور ، فقام بتدريبها كتدريب الشباب حتى أصبحت فارسه من أمهر الفرسان وقائدة من أمهر قادة الجيوش في عصر أبيها ، ولم يكتفى والدها بذلك ، فألبسها ملابس الرجال فلم تعد تعلم من تعليم النساء شيء ولم يبقى لها سوى قوة الرجال وتذكرت حين وقع في غرام أمير قذر ، وقد إعترض أبيها على ذلك الزواج حين كانت لأول مره تحس بما يحسه به الفتيات في مثل عمرها

من عطف وحياة، ولم يشـــاء أبيها أن يقتل هذه المشـــاعر لصــغيرته وإن كان يعلم أنها ســتكون حياة زائفه مع الشــخص الغير أمين عليها ، فوافق على ذلك بشـــرط ألا تترك ابنته قصـرها وعاش بعض الوقت معها ذلك الأمير الذى أختاره قلبها ذلـك الأمير المخـادع إلا أن ظهر وجهـه القبيح وأطمـاعـه في ملكها وملك أبيها ، فعانت الكثير مما تعانى منه القلوب المنكسرة إلا أن انتهى الأمر بقتله في إحدى المعارك ، فعادت راضـيه إلى لبس عباءه الرجال من جديد وأقسـمت الأ تعود مرة أخرى لمســـالـك النســـاء وإنكبـت على حكمهـا وتربيـه أبنـائها بطريقه تظن إنها تليق بـأبنـاء الملوك بعيداً عن أي عاطفة وأي مشـاعر فقط القوة وصـوت العقل ونسـيت تماماً أن الأزهار حين تتفتح تحتاج إلى الهواء وإلى الماء ونور الشـــمس ودفئها ، ولم تكن الملكة تمتلك ســـوى غابات من الجليد قد أحاطت مشـاعرها وسـدت أبوابها قلبها البارد – وإن كان بعض الأزهـار يســـتطيع مقاوم برودة الثلج إلا أن هنـاك أزهـار لن تســـتطيع أن تزدهر إلا في وقت الربيع – ذلك الوقت الذى لم يكن يعرف بلاط الملك إلا الشـتاء حيث كان يسـكنه الضـباب الدائم وبروده الثلج القاتلة.

وهاهى الأن ترى بعينيها أن إحدى أزهارها قد زبلت إلى الأبد، ولكنها تذكرت الكاهن الحكيم، وما قام به هناك. فقد مر على ســـمعها بعض الكلمات، ولكنها لم تتنبه إلى كل ما قيل هناك، وأطرقت في صـــمت وقالت لنفســـها. حتى إنني لم أنظر إلى عينيه، ثم اندفعت إلى خارج حجرتها منطلقة إلى أســـفل البهو تتلفت يمينا ويسـارا عسـى أن تجده قد عاد فقد كانت تبحث عن الكاهن الحكيم.....

أمر ذلك الحارس المنتصب أمام بوابة السجن الكبير، فقام على الفور بفتح البوابات أمام الكاهن الحكيم الذي أخذ يسرع الخطى يتعبه إثنين من حراس السجن في زيهما الرسمي، وكلا منهما يحمل بجانبه سيفا كبير قد وضع في غمده وإنطلق خلف الكاهن الذي فاقت خطواته خطواتهما، فكان يسرعا خلفه في خطوات أشبه بالهرولة السريعة إلى أن وقف أمام إحدى البوابات، فقاموا بفتحها لينطلق إلى داخلها، ويقوم بغلق الباب خلفه مرة أخرى. نظر إلى السجين الذي مازال واقفا في سلاسله الحديدية، وقد ألصق وجهه إلى حائط زنزانته. لم يلتفت خلفه عندما سمع فتحها ولم يقيم للأمر إهتماما ولمن دخلها أيضا، ولكن تسأل من يكون ذلك الذي غلق باب زنزانته ولم يأبى شيآ حيث كان جميع الحرس يهاب تلك الحجرة، ويخشى من بها أيضا. إقترب الكاهن من الفتى متسائلا: يامولاى حتى هذه اللحظة لم اعلم كيف أقدمت على هذا الأمر؟ فإستدار إليه الأمير وابتسم إبتسامه يملأها الحقد والسخرية، وقال: ألم تعلم بعد أيها الكاهن الحكيم ؟! نظر إليه الكاهن قليلا، ولكنى أريد أن أسمع منك حيث إنك لم تنطق كلمة واحدة أمام المحكمة، أو تدافع عن نفسك من التهمة المنسوبة إليك. كان الكاهن الحكيم على علم بكل ما يدور داخل القصر أو خارجه في كل شبر كان يعلم ما يدور بالمملكة.

ولكن كان يريد من الأمير أن يتكلم أن يعلم منه ما يريده، فهناك شيئا أخر دار بخاطره وأتى ليعلم هذا الشيء، وأجاب الأمير: –اعلم أنه فعلا مزموم ثم نظر للكاهن قائلا: وقد إقترب منه فعلت أصوات جر سلاسله الحديدية بالأرض، فنظر لها وقد إمتلأت عينيه بالغضب الشديد، وقال غاضبا ولكنى كنت اعلم كما كنت أنت أيضا على علم بذلك كما هي تحب السطوة

وتحب القوة، كما تحب أن يراها أيضـــا الأخرين وها أنا ذا كما ترى أصـــبحـت أقوى مـا بـالمملكـة جميعـا كمـا أرادت ذلك دائما فلماذا اللوم إذا؟

ثم تراجع إلى الوراء قليلا وقد إســـتند إلى حائط زنزانته، وقال ســـاخراً: ليدهشـــني قليلا تلك التعاســـة التي قد إرتســـمت على وجهها أثناء المحكمة ثم ارتفعت ضـــحكاته المتقطعة الســـاخرة لتهتز لهـا أركـان الزنزانـة، وأكمـل حـديثـه قـائلا: ولكن كيف لها بهذا التعاسـة ؟! فقد إسـتعرضـت جيشـها وشـعبها كان أقوى إســـتعراض للقوة لم تراه المملكـــة منـــذ زمن بعيـــد فهـــل اشتاقت لاستعرض قوتها؟ فقد كانت لا تقوم بهذا الأمر إلا أمام من تريـد إرهـابـه من الملوك الأخرين أو من يحـاول أن يعلو صـوته فوق صـوتها، وأيضـا تقوم بإرسـال تلك الرسـائل الناعمة دون حروب لمن يحاول أن ينال منها. حتى وإن حاول أحدهم التقرب منها كأنثى غلقت كل الأبواب.

إلى أن مات الحب داخل قصـــرها الملكي. طرق الكاهن قليلا في أســـف فقد كان يعلم أن أبناء الملكة لا يعلمون عن أبيهم ســـوى قتله في أحد المعارك ولم يدري منهم كيف عانت معه ويلات الخيـانـة الكثيرة التي لا تتحملهـا أي امراة مهمـا كـان شأنها، وأصبح ماضيها سرا من أسرارها لا يعلمه سواها والكاهن الحكيم الذى انتبه لضـــحكاته الســـاخرة قائلا ترى مما خافت الملكة فأخذت تسـتعرض قواها بهذا الأمر في أكبر سـاحة من ســـاحات التدريب على المعارك؟ هل كانت تخاف قوتي؟ أم كـانـت تخـاف أن يعلو صـــوتي على صـــوتهـا فلا تعـد تسـتطيع إصـدار الأوامر لي بعد اليوم؟ أما ترى إنني أصـبحت أقوى مما تريد، ولن تســـتطيع بعد ذلك التنازل عن ولاية العهد

لأحد الأمراء دون الأخر؟ أما كانت تخشـــى أن يفقد ابنها الأكبر مكانته فلا يستطيع بعد ذلك أن يحكم شبرا واحداً بالبلاد؟ وإنطلقت منه ضحكة أشبه بضحكات الشياطين.

أســهم الكاهن قليلا في الأسـئلة التي طرحها الأمير السـجين، وقال هامسـا: ليس أي مما طرحت من الأسئلة، ولكنها تعلم أن أخطر الأعداء من كان جالســا في دارك، ويعلم كل أســرارك وخفاياك ثم يتحول إلى عدو وهنا تكون ضربه اكترها الأما واشد وجعا. ثم ســـكت قليلا كان كمن يبحث عن الكلمات، فكان مضـطربا بعض الشـيء، ولكن كان لابد من إكمال مهمته التي جـاء من أجلهـا فقـال هنـالـك أمرا أخر يـامولاى أود الحـديـث بشــأنه ثم أطرق ســاكتا مره أخرى، فقطاع الأمير عليه حيرته، وقال تقصـد الحديث بشـأن سـجن الصـحراء تفضـل أيها الكاهن أســمعك جيدا كما أود أن أشــكرك إنك قمت بمنع تنفيذ عقوبة سـجن الظلام، فاتسـعت عيني الكاهن بالدهشـة، وقد علم مدى قدرة الأمر على تحمل هذا الموقف الشـــاق ولكن تراه هل كان الأمر كذلك؟ أم ترى ماذا كان يدور بعقل الأمير السـجين ...؟ ثم أكمل حديثه قائلا: نعم يا مولاي ســـجن الصـــحراء، فكما تعلم ونعلم جميعـا لا أحـد منـا يعلم تحـديـدا المـدة الـذي ســتقضــيها كانت قصــيرة أم طويلة بجبل الهلاك حيث هناك مخطوطة بها بنود فك أسـرك كما تعلم أن هناك سـتكون تعويذة سحرية لن يستطيع قراءتها إلا من يناديك، أو من سيبحث عنك لتنال بعدها حريتك حسب بنود المخطوطة. التي سيتم وضـعها هناك داخل زنزانتك، وإذا شئت معرفة أي شـيء عن هذا الأمر ســـأكون هناك من حين لأخر كي أتفقد جنود حراســـتك التي أتولى أمرهم شـخيصـا –أيضـا تعلم أن عبور سـجن الصـحراء نادرا ما يتم طبقا لتقديرات كثيرة كما سـتكون هناك وحيداً فأنت

السجين الوحيد إلى الأن الذي تطأ قدمه سجون الملكة الخاصة فنظر بحقد كامن إلى الكاهن قائلا: اعلم سجون الملكة.

الخاصة لا يدخلها سوى مجرمي الدرجة القصوى ، وهاهى تراني كذلك ، لم يعلق الكاهن على ذلك ولكن أردف قائلا : أن الأمر لن يدوم إلى الأبد كما تعلم ، وسيكون ذلك الوقت كافي لمراجعة أمركما أنت والملكة أيضا لن تكون وحيدا فقط داخل سجنك البعيد ، ولكن ستفقد جزء كبير من قواك السحرية أما إذا نادى أحدهما أو بحث عنك هنا يجب أن تتبع أميرك المخلص ، فان إستطعت جعله يقرأ نص تعويذة العفو الملكي كاملة سيعود بعد ذلك ملكك كاملاً كما ستسترد رتبتك الوظيفية بالمملكة ، وأيضا ستسترد قواك السحرية كاملة مرة أخرى كما أتمنى أن تسترد نفسك أيضا ، فقد قسوت عليها كثيرا وذلك أفقدك الكثير ، وهنا انطلق تاركاً الأمير وقد أغلق حارسه باب الزنزانة مرة أخرى مسرعا ، فقد كان يخاف الجميع النظر إلى عيني ذلك السجين الذى تتقدان باللون الأحمر مثل لون الجمرات المشتعلة إلى أن يتم رحيله من هذا السجن المؤقت إلى سجن جبل الهلاك في اليوم التالي.

كان بالخارج رذاذا لمطر خفيف بدا ينهال، رفع الكاهن الحكيم رأسه إلى السماء فكانت زرقاء بلا غيوم فأصبته الدهشة من وجود المطر في ذلك الوقت من العام ثم أردف قائلا: يبدو كل شيء غريبا هذا اليوم ثم أستسلم للأمر، وعاد إلى مركبته وإنطلق مسرعا إلى القصر الملكي، لمتابعة باقي إجراءات السجين من ختم تعويذه العفو التي لم تقم بختمها الملكة حتى ألان، والتي لابد أن يتم وضعها داخل غرفة الأمير السجين بالكهف الأحمر.....

أخذت تجوب البهو الملكي ذاهبا وآيبا يتملكها التوتر والعصبية في إنتظار الكاهن الحكيم الذي لم تعلم أين يكون حتى الان؟ ولماذا تأخر بساحه المحكمة إلى هذا الوقت؟ أيضا لم يحضر أمير الجيوش فأين يكون ذهب الجميع؟ وبينما هي كذلك عاد إلى ذهنها إقتراح الكاهن الحكيم على هيئة المحكمة حيث قد وصل إلى سمعها بعضا من الحديث الذى لم تستطيع الإنتباه إليه كاملا، فلهذا تريد أن تسأل في بعض التفاصيل كانت أيضا قد تذكرت بوضوح وجوه العامة والجنود حين نطق القاضي بحكمه على الأمير حيث سجن الظلام، فلمعت عيونهم ببريق من الصدمة فور وصل إلى سمعهم حكم القاضي حيث يعلم الناس أن سجن الظلام هو أشد السجون التي لا يسكنها إلا من أرسلته الملكة شخصيا إلى هناك ، فارتفع الهمس والتساؤل فيما بينهم أتكون الملكة من أرسلت الأمير لهذا السجن ؟ حتى عرض الكاهن لهيئة القضاة أرتفع معها الصيحات مره أخرى بين مؤيدة ومعارض لطرح الكاهن الحكيم، ثم انتهى كل شيء. ثم انتبهت أن هناك خطوات قوية تخطو نحو قاعة العرش، فتنهدت فقد كانت تنتظر صاحبها على أحر من الجمر، ثم قالت فور ظهوره: – أتيت أخيرا هذا أمر غير معقول وغير مقبول و .... لم تكمل جملتيها ليرد عليها الكاهن الحكيم مولاتي لم يكن الأمر كما تظنين وأخذ يقص عليها كل ما قام به في ذلك الوقت كما قص عليها أمر المحكمة بالتفصيل ، وأيضا مقابلته مع الأمير السجين فور انتهاء المحكمة ، وأخيرا يامولاتى لم يبقى إلا وضع الختم الملكي على مخطوطة حكم المحكمة ، وأيضا تعويذة العفو الملكي فمن خلالهما سيحصل الأمير على حريته مرة أخرى كما لكل سجين فرصه ثانية في العفو الملكي

والعودة إلى حياته سـواء بالمملكة او سـجن الظلام ، ولكن قد يختلف الأمر مع قضـيه الأمير قليلا حيث لا وقت لها فقد يمتلك حريته غدا ، وقد يمتلكها بعد عشـرات السـنين حيث لا وجود للزمن داخل مملكة الشـمس ، ونظرت لـه عندئذ قائله: ولكن أيها الحكيم أليس لديك أسـباب أخرى قد جعلتك تقوم بهذا الرأي على المحكمة ؟ فقال لها نافيا: لم يكن هناك أي شـيء أخر، ولكن قد أطرق ببصـره بعيداً فقد كان يعلم جيداً أن هناك سـبب أخر قد أقدم لفعل ذلك من أجله بجانب الأسـباب الأخرى التي ذكرها للهيئة القضاة.

أخذ الكاهن المخطوطة ووثيقة العفو، وقد قيام الملكة بوضـع ختمها الملكي عليهما، وأنطلق سـريعا حيث جبل الهلاك وحيث السجن الملكي للأمير الصغير ....

****

تحرك الركـب بـالسـجين الملكي أول سـجين بـالأسـرة الحاكمة ، فاصـطف عامة الرعية بجميع الطرقات التي أخذت مسـار موكب السـجون منطلقة إلى سـجن جبل الهلاك على وجههم الدهشـة مما يحدث بالمملكة ، وإنطلق الموكب عابر المملكة إلى حيث الصحراء الشاسعة حيث جبل الهلاك فبدأ في الأفق سـلسـلة غامضـه من الجبال والهضـاب المنتشـرة على مرمى البصـر أيضـا كانت هناك بعض الحيوانات التي تسـكن الصـحراء تفر هاربة عند اقتراب الموكب منها ، ثم لا تردف تقف سـاكنة ، وقد تعلقت عيونها بالموكب الملكي الذى أخذ يعبر عبر ديارهم بهذه الصـحراء وكانت أيضـا الحيوانات تتعجب من ذلك الأمر كما بدت بعض الشجيرات الشائكة على مسـافات بعيده ، وكثيرا من الكثبان الرملية ، وانتشـرت أشـعة

الشـــمس الحـارقـة فيمـا عـدا كـل هـذا لم يكن هنـاك غير العدم – كان يجلس سـاكنا داخل موكب السـجن بدون إبداء أي شـــيء من الاهتمام مما يدور حوله أو ما يقابله في طريقه فقد كان بعيدا جدا عن الواقع الذى هو مقبلاً عليه كان شـارداً في شيء أخر شيء أبعد من ذلك الصحراء ، ثم توقف الموكب أمام جبلا هـائلا كـان هـذا جبـل الهلاك الـذى بـداخلـه الكهف الأحمر سـجنه الخاص الذى سيتم وضـعه به إلى حيث لا يعلم أحدهم سـيقضـــى هناك. انزله الحارس في اهتمام بالغ فقد كان يتوخى الجميع الحرص والحذر الشـــديد عند القيام بهذه المهمة مع هذا الســـجين الملكي أما هو فترى هل أســـتســـلم للأمر بعد؟ نزل ببطيء شـــديد حث وطـأت قدمـاه تلـك الرمـال الحـارقـة، فنظر لهـذا الجبـل الكبير الـذي يعملـه جيـدا فكم من المرات إتخذ من قمته مجلسا هادئا حيث كان يريد الاختفاء عن الجميع.

تقدم حراس السـجن إلى ذلك الجبل العجيب، وكان يسـمى جبل الهلاك لم يكن يعلم الجميع نبأ عن ذلك المكان حيث كان من سجون الملكة السرية التي لا يعلم أحدا شيء عنها سوى بعض الأشـــخاص المقربين للملكة والقائمين على نظام الحكم وحماية أركان المملكة من العدوان. مشـــى الجميع عدة أمتار بداخل الصحراء الحارقة وقد بدأ التعب على الوجوه حتى إقترب الجميع ومعهم الســـجين من حـافـة الجبـل الـذي بـدا مثـل كثيرا من الجبـال إلا فتحـه كـانـت تلـك الفتحـة هي بوابـة الكهف الغريـب بداخل الجبل، والذي اتخذت صـــورة على هيئة مخلوق بشـــع فـإقترب الموكـب، وقـد أصـــابهم بعض الخوف من أثر ذلـك المنظر ولكن مـازال الجميع يتقـدم حتى دخـل الجميع لـذلـك الكهف حيث كـان يتمتع بـألوان غريبـه تمنحـه شـــكل جذاب،

ومثير للرعب. في نفس الوقت.مشـــى الجميع في دهاليز طويلة داخل الكهف المظلم الكبير والذى يبدو أن قوى الشـــر قد اجتمعت فيه كان السكون يخيم على المكان ، وإن كان الجميع قصـــد أصـــاب ببعض الخوف إلا أن هذا المكان لم يبدو قط غريبـا على الأمير الســـجين كـان هنـاك ممران بـداخـل الكهف فكانـت بعض الأنوار الخـافتـة في إحـدى الممرات قـد علموا منها أن هذا الممر هو الذى بنهايته ســـجن الأمير كان هـذا الممر طويـل يؤدي إلى حجرة مجصـــصـــــه ومطليـة بالطمى كان يتوســط الحجرة صــندوق صــغير قد كتبت على جوانبه بعض الطلاســم والحروف كالتي توجد فوق صـــولجان الكاهن ، وأيضـــا كالنقوش التي على تاج الملكة ، هنا بإحدى أركان تلك الغرفة إتخذ الأمير مجلسه الأمير فوق مقعد وبجواره فراش صــغير ، وقد ترك له حرية الحركة في ســلاســله المقيد بها داخل هذا الكهف الذى انتشـــرت حوله حراســـة مشـــددة خاصـــه تتبعه الكاهن الحكيم وجلاله الملكة ، وانطلق الجميع إلى الخارج . عائدين من حيث أتوا حيث الســـجن الكبير داخل المملكة.

وانتشـــرت طيور البوم بأعداد كثيره، وأحاطت بكل جوانب جبل الهلاك، وكان هناك يترقب، ويتجســس محاولآ الدخول إليه إلى حيث الأمير السجين.

****

لم يهتم أحدآ بأمر ملك الظلام الذى أطلقه أمير الشـــعوب من ســـجنه البعيد، وقام بعقد تحالف شــيطانى معه لمســـاعدة في إفشـــال خطط أمير الجيوش لكى يتم وضـــعة في موقف مهين

أمام الملكة، وأيضـا أمام العامة، ولكن قام ملك الظلام بوضـع خطة حقيرة بدلاً من ذلك تتناسب مع أطماعه، وما ترغبه نفسه من عوده ملكه وهلاك الملكة وأبنائها، فأقترح بسـرقة قلعة المعدن إلا أن تم القبض على الأمير وفر هاربا حيث إكتسـى بالظلام، فلم يراه أحد الحراس ولكن هذا ما كان يظن، وكانوا على علم به، ولم يهتم أحدا بأمره بناء على تعليمات قادتهم.

حيث يعلمون أن مع ظهور القمر الثاني بالسـماء تنتهي الفرصـة الممنوحة لملك الأرض المظلمة الهارب بمسـاعدة الأمير من سـجن الظلام ليتحول بعدها إلى ظلام يجوب الدنيا، ويكون انتهى أمره إلى الأبد إلا إذا ساعده أحد الملوك أو الأمراء مرة أخرى، ومرة وحيدة فقط. فهل يترك فرصته فمازالت باقيه حتى ظهور القمر الثاني؟ فاخذ يتتبع أخبار الأمير، ألي أن وصل ألي هنا حيث سجنه بجبل الهلاك، فأنتظر حتى رحل موكب السـجون، وعاد يحوم حول جبل الهلاك منتظراً فرصـة للدخول للكهف الأحمر حيث سـجن الأمير الصـغير، ولكن باءت أحلامه بالفشـل الزريع حيت أحاط جنود الملكة وجنود الكاهن الحكيم كل شـبر حول الجبل فلم يسـتطع الإقتراب من فتحه الكهف، كما لم يستطع الإقتراب منه جنى أو أنسى حتى حيوانات الصـحراء تخاف تقترب من هذا الجبل الذي أصـبح يتلحف بحراس أشداء قد أحاطوا كل شبراً به.

إقترب الكاهن الحكيم من الكهف، فابتسـم سـاخر فقد كان يعلم أن هناك من يراقبه كما يراقب هذا الكم الهائل من جنود الملكة، واقترب الكاهن الحكيم حيث السجن الملكي، وتقدم نحو صندوق صغير كان قد التصق بأرض الحجرة، فنظر الكاهن إلى الأمير قائلا: أتذكر يا مولاي هذا الصندوق؟ ولكن كيف له أن ينسى

هذا الصـــندوق الذي أخذه من قلعه المعدن ثم ظهر الوجهة القبيح لملك الظلام فذهب سـويا في صـراع دموي كي يسـتحوذ وحده على الصـــندوق، ولم يعلم بعد ذلك ما حدث له حيث تم القبض عليه وهروب ملك الظلام، فنظر وقد اندهش من الأمر وقال متسـائلا: أهو ذلك الصـندوق؟ فقال الكاهن: نعم، فتسـال الأمير مرة أخرى: ومـاذا حـدث لملـك الظلام؟ هـل تم القبض عليه هو الأخر؟ هل أعيد إلى سـجن الظلام؟ فقال الكاهن: كلا لم يتم القبض عليـه، وأخـذ يقص لـه مـا حـدث من أمر ملـك الظلام إلى أن يظهر القمر الثاني في السماء، فيتحول إلى طيفا من الظلام الهالك يجوب الدنيا، ولكن أتعلم لماذا لم تســـترد الملكة الصندوق حيث قلعه المعدن؟ سترى بنفسك ما قد يحتويه الصـــنـدوق ومـا قـاتلـت من أجلـه، ومـا جعـل ملـك الظلام يصاب بالهول مما رأى بداخلة. ولكن قبل أن نقوم بفتحه هنـاك صـــنـدوق أخر يحتوى مخطوطـة الإدانـة ، وحكم القضـــاة في أكثر قضـــيه مثيرة للجدل تمر بالمملكة حتى الأن ، وقام بوضـــع الصـــندوق في إحدى حوائط الكهف الذى إلتصق به فور وضعه كما قام بتغطيه بكثير من الطمى فتوارى الصـــندوق داخل فتحة حائط الكهف الأحمر ، وإقترب الكاهن من الصـــندوق الذى إلتصـــق بأرض الكهف فقام بفتحه ، و إتســـعت عين الأمير في ذهول حيث وجد أن الصـــندوق قد إمتلاء بقطع من الطمى الجاف ، ولم يكن بـه أثر لأى قطعـه من قطع المعدن النفيس ، وهنا أدرك أن الملكة كانت على علم بخطـه ملك الظلام نعم فقد كـانـت تعلم كل شـــيء ، ولكنهـا أنتظرت أيضا ، ولم تقم بمنع أي شيء .... نظر الكاهن إلى الأمير الذي بدت عليه الدهشـــة مما رأى، وقال ها هو الطمى الذي يمنع أحداهما من أن يسرق السمع أو يرى شـيء هنا كما

يعمل كذلك على حجب كل شيء خارج المكان عن السجين في ذلك الكهف، حتى ينفصـــل عن العالم وينفصـــل العالم عنه ليعيش في وحدة تامة، وهاهى تعويذة العفو الملكي ســـيتم وضـــعها بجوار الطمى، وســـنرى متى ســـيتم النداء؟ ومن سيستجيب له؟ ثم قام بغلق الصندوق، ووقد وضع كثيرا من الطمى حوله، فقال الأمير: وان كنت لن اسمع او أرى ما يكون وكذلك الأخرين فكيف سيتم النداء؟ فنظر له الحكيم وأبتسم وقال قد يكون النداء عليك مما يعرفك او لا يعرفك وقد يكون النداء اليوم أو بعد حين.

وانطلق الكاهن الحكيم خارجا الكهف الأحمر عائدا إلى البهو الملكي وهنا أدرك الأمير الســـجين أن الأمر أصـــبح حقا وأن هناك فرصه أخرى قد يحصل عليها فيستعيد حريته وملكه مرة أخرى، ولكن لم يكن يعلم أن هناك أمرا أخر حيث سـيتم النداء أولا على من يستطيع حماية المخطوطة، وحماية تعويذه العفو حتى لا يستعيد الأمير الصغير حريته مره أخرى فترى من قام بوضـــع هذا الســـحر، وهذا البند وهل تعلم الملكة بأمر هذا الشيء؟ ولماذا؟ وماهوا مصير من سيقوم بحفظ سر التعويذة أيضا؟

****

كانت العائلة مجتمعة كعادتها عقب الإفطار في حجرة المعيشة الحجرة المجاورة لحجرة الطعام، وقد توقفت كل الأجهزة الالكترونية بالبيت كما توقف ساعات الحائط منذ سيطر ملك الظلام على المكان، وعزلهم عن العالم الخارجي، فكانوا لا يعلمون شـــيئا عن الأحداث الدائرة أو حتى كم مضـــى من الوقت ســـوى تعاقب الليل والنهار الظلام والنور. أما الدكتور

عوني قد غير جلسته الصباحية بالحديقة كعادته دائما ، وقام باستبدالها بالذهاب إلى حجرة المكتبة فور انتهاؤه من قهوته اليومية على طاولة الطعام ومعه صديقة الدكتور ميلاد يتبعهم الأمير المخلص أو الفتى جاجان ، فيبدأ في مراجعة المخطوطات وأجنده الملاحظات القديمة المحتفظ بها منذ سنوات منذ البعثة الإستكشافية بجبل الهلاك والكهف الأحمر وأيضا المعلومات التي أمدهما بها كبير القبيلة الإفريقي ، أما فريدة فكانت تتناول إفطارها على عجل دون شهية لتنطلق مسرعة إلى غرفة يوسف ، فتظل بجواره إلى نهاية اليوم لتتبعها ابنه أخيها ساره ، فتظل برفقتها أينما ذهبت إلى قد توقفت تماماً عن النزول للطابق الأول ، وبقيت بجوار ابنها الصغير وقد إنتبها حزن عميق. كما كانت ساره تفتقد صديقتها وابنه عمتها رضوى

كانت السعادة التي غمرت هذا المنزل قد ذهبت بعيدا ، وذهبت كل ضحكة وبسمة كأنتا تملآن المكان حتى شقاوة يوسف التي كانت كثيرا ما تعانى منها أم محمود قد إشتاق إليها الجميع ، فلم تعد العيون تلمع إلا بالخوف ، ولا الشفاه لا تتحدث إلا رعبا ، اثر صرخات الفزع ، وأطبق على المكان صمت غريب ، وأسدلت ستائر الحزن والوجد لصوت الاحبه ، وفجأة ارتفع ضجيج صاخب اهتزت له جنبات البيت صوت طرقات عنيفة تكاد تدمر البوابة الحديدية للفيلا ، والتي كانت مواجهة تقريبا للباب الرئيسي وقد تجمع عدد من أهل القرية بجوارها يحاولون معرفة ما يجرى وإين كان أبو محمود ، فأسرع الدكتور عوني وصديقه يتبعهما جاجان في خطى سريعة خارج المكتبة لمعرفه سر هذا الضجيج ، فشاهدو الجنيني يسرع اليهم إلى حجره المكتبة ، ففزع الجميع من هيئته فقد كان مرتعش الأيدي

يضـــحك ، ويبكى في أن واحد في صـــورة هســـتيرية يكاد لا يصدق مارأي ، وإلتقطا نظرات الجميع ، و ساد الصمت لحظه إبتلع خلالها ريقه الذى جف من فرط المفاجأة ، فقال عوني متسائلا بتوجس : ماذا حدث ؟ ما حدث؟

فأشـــــار خلفه دون أن يلتفت قائلا: الباب ياد كتور – الباب – باب الفيلا موجود وجيراني جاءوا للسؤال عنى ... إنهم بالحديقة الأن بجوار الباب. إنطلق عوني يهرول، وقد علا وجهه الدهشة يتبعه ميلاد وجاجان أما فريدة وسـارة، فقد إندفعا أيضـآ لأسـفل الـــدرج درجـــات لـــمـــعـــرفـــة مـــا يـــدور وانـــطـــلـــقـــوا خـــلـــف الأخرين، لمعرفة ســـــبب هذا الضـــــجيج، ولماذا يهرعون إلى الحديقة خلف الجنيني؟ وتملكتهم ألدهشـة والفرحة فقد كان هناك عدد من سكان القرية بداخل الحديقة حضروا للسؤال عن جارهم الجنيني وتوجسوا خوفا من رؤية دكتور عوني وأسرته فهم على علم منذ زمن طويل أن الدكتور لا يختلط بأي أحد منهم منذ أن أقام في هذه الفيلا ولذا ابتعدوا قليلا للخلف، و هموا بالذهاب ومغـادره المكـان إلا أن صـــــاح عليهم عوني وأوقفتهم بـل وطلب دخولهم إلى حيث المنضـــــدة التي يجلس عليها بجوار حمام الســـــباحة، فكانت هذه أول مره يتعامل مع جيرانه بالقرية كما إنها أول مره أيضـا يدخل أحدهم إلى حديقة الفيلا. أجلسـهم الدكتور عزمي ، وجلس أيضـــا بجوارهم ميلاد وجاجان فنظر بعضـــهم لبعض توجس القرويين بالريبة فقال أحدهم : عفوا يا دكتور فنحن منذ أيام لم نعلم ما قد حدث لأبو محمود فلم نراه منذ مدة حتى السـوق لم يعد يذهب إليه كعادته الأسـبوعية منذ ســـــنوات منذ أن أغلقت أبواب الفيلا نظل يوميا نأتي فنطرق أبوابها ، ولم يســـتجيب لنا احد حتى ظننا أنكم مســـافرون إلى القاهرة واليوم كعادتنا قمنا بطرق الباب ففتح لنا أبو محمود

فعرفنا أنكم أتيتم من سفركم ، وحمدا لله على سلامتكم كنا فقط نريد الاطمئنان على جارنا وفتح عوني والأخرين عيونهم ، وأفواههم من الدهشـــة ثم قال احدهما :عفوا ياد كتور هل يمكن أن يأتي أبو محمود معنا ليلا ؟ ففي اول هذا الشهر العربي من كل عام يقوم الشـــيخ محروس بعمل وليمة لآهل القرية منذ أن إســتجاب الله دعائه في أن يرزقه بالولد إلى أن تضـــع زوجته هذا المولود، فهل يمكن أن يأتي معنا؟ فأومي برأسه بالموافقة ، ومازال لا يصــدق ما حدث ولكن نظر للســماء قائلا : إذا هذا ميلاد القمر الثاني كانت السماء ترسل خيوطها الرمادية معلنة عن حلول دخول الليل ، فجلس الجميع حول المنضـــدة بجوار حمام الســباحة ، وقد ارتفعت عيونهم إلى الســماء في إنتظار ظهور القمر الذى يحمل معه الأمل ، ولأول مرة منذ أيام بعيدة ارتفعت صوت ضحكة أمل قد أتت داخل أركان هذا البيت فمع ميلاد القمر الثاني كانت الفرصـــة الممنوحة لملك الظلام قد إنتهت إلى ألابد فلن يســتطع مســاعدة الأمير بعد ذلك في الحصــول على قراءة طلاســم التعويذة كي ينال العفو الملكي ويســتعيد هو عرشــه مرة أخرى وأيضــا هذا المرة هي الأخرى حيث لا نداء أو استدعاء و سيبقى دائما إلى الابد ، وقد تحول إلى ظل اسود يجوب الدنيا دون أي قوة يمتلكها فقط أصبح مثل الأشــباح التي تملأ الكون ، وهاهو ســحره أيضــا قد فقده إلى الأبد ، وهاهو سحره التي ألقى به على أسوار الفيلا أيضا قد انتهى ثم تذكر عوني يوسف فأخذ يجرى جريا سريعا كأنه قد أصبح شابا في ريعان الشباب وصعد الدرج يعدو خلفة أفراد الأســـرة في ذهول ، ولكن ميلاد وحده كان يعلم ما يفكر فيه صـــديقه حتى إقترب من حجرة يوســـف فاقتحم الباب وقام بفتحه ليرى المفاجأه التي فكر فيها فأخذه بين أحضـــانه

وذهب يقبله في كل مكان بوجهه الصغير ، وتعالت الصرخات لتملأ المكان ولكنها كانت لأول مره منذ أيام بعيدة صـــراخات سـعيدة ، وليس صـرخات رعب فقد ذهب السـحر أيضـا عن يوسـف واسـتيقظ من غيبوبته مع اختفاء ملك الظلام ، والتقفت فريدة صـغيرها بين راعيها وراحت تحتضـنه بكل خلجات قلبها ونفسها أما الصغير ، فقد علا وجهه الدهشة لما يحدث له ، فلم يكن يعلم ما يدور حوله سوى أنه قد استيقظ منذ وقت قصير وأخذ يتطلع إلى وجوه الجميع التي كانت بين ضـاحك وباكي ، والجميع ينظر اليه في سعادة.

****

تقدم عوني من أخته الذى مازال وجهها يعلوه سمات الحزن ويبدو ذلك واضحا جليا في نظرات عينها ، فإقترب منها قائلا : حمد لله على عودة يوسف ، وإن شاء قريبا ستعود رضوى ، وتنقشع الغمه عن المنزل ، فلم تتمالك أعصـــابها وإنطلق الدمع هاربا من عينيها فإحتضـــنها أخيها وأخذ يهدئ من روعها قليلا إلى أن هدأت فقال لها : وهنا نادى على ابنه أخيه سـاره فجلسـت على كرســـي بـالقرب من حـافـه فراشـــهـا بجوار عمتهـا فقـال عوني محذر : أن الخطر مازال قائما لم ينتهى بعد حقا قد إنقشع السـحر عن أسـوار الفيلا ، ونسـتطيع الدخول والخروج إلى أي مكـان ، ولكن أتمنى أن لا يحـدث ذلـك فورا يجـب أن ننتظر بعض الوقت فلا ندرى ماذا ســـيكون بالخارج ، فهنا نحن تحت حراسـه الملكة والكاهن أما في الخارج فلا نعلم من سنواجه وأكمل قـائلا : نعم لقد شـــاهدت وميلاد أســـراب البوم التي مـازالـت اعلى فروع الأشـجار ، وأيضـا سـنرى هل مازال الصـقر بجوار نافذة جاجان أم رحل ؟ وكما نعلم أن الصـــقر هو جند الكاهن ،

وأحيانا يكون هو شـــخصـــيا كما تفعل الملكة كذلك مع اســـراب البوم قد تكون احداهما ، ولذلك مع وجود حرس الملكة فحتما مازال الخطر موجود حيث لم يتم القبض على الأمير الهارب الذى سـيعود ويحاول الحصـول على تعويذة العفو الملكي ، ولن أخفى عليكم ، وأذكركم مرة أخرى إذا نال الأمير ســـر المخطوطة ونال عفوا ، ســـنكون جميعا من الهلكة لن يبقى منا أحد ، و الأمر متروك لنا في الحفاظ بكل ما أوتينا على جاجان حتى يتم الأمر ، فاذا انتهى الأمر بخير ستعود رضوى أيضا إلى هنا وسينتهى كل شـيء فقالت سـاره ، ولكن ياعمى قد قلت من قبل أن الظلام قد انتهى بوجود القمر الثاني ، وهاهو قد زال سحره عن يوسف ، والبيت فليس هناك من سيساعد الأمير ، فكيف سيعود إلى هنا مره أخرى فرد قـائلا : لا نعلم إلى الأن مـاذا حـدث لـه ، ولكن الأمر أخطر مما ترون فذلك الأمير يمتلك قوة ســحرية هائلة وإن تبقى له القليل منها فمازالت بالنســبة لنا قوية ولا نعلم كيف يفكر، فقالت فريدة ولكنى اعلم أن ابنتي داخل كهفه بعيدا جدا ، ترى ماذا سيفعل معها هناك ؟ سكت عوني قليلا ثم قال أرجو أن ينتبه الجميع الفترة القادمة ويجب أن تهتمي بيوســـف، ولا تجعليه يبعد عن عينيك أو يتجول بالحديقة وحيدا فلا نعلم ماذا سيكون غدا.

****

كانت رضــوى مازالت حبيســه ذلك الكهف المخيف لدى الأمير الهـار ب الـذى لم يظهر لـه أثرا داخـل الفيلا منـذ هلاك ملـك الظلام بظهور القمر الثاني في ســماء الدنيا ، وكان لذلك الأثر قد أبطل تعاويذه الســحرية فقد عاد يوســف إلى طبيعته ، وعاد النور إلى الفيلا أيضـا ، وانسـحبت الظلمة المحاطة بها ، والتي حجبتها على العالم فإســتطاع الخدم الدخول والخروج لقضـــاء

حاجات الأسرة مره أخرى من الأسواق كما إنتظم عمل الأجهزة الإلكترونية التي توقفت عن العمل أيضـــا ، فلم يســتطيع أحد إرجاء يوســف وســارة عن ألعاب الكمبيوتر الذى قضـــى وقتا طويلا في ألعبهما ســويا ، فعادت بعض البهجة المفقودة داخل البيت من جديد أيضـــا كان هناك الكمبيوتر الخاص بالعمل والأبحاث بالمكتبة فإنكب عليه وصــديقه الدكتور ميلاد يبحثان عبر شـــبكه الانترنت ، وأخذ يتواصـــلا مع أحد أفراد البعثة الإفريقية الذى كان معهم لمعرفة بعض التفاصـــيل الخاصـــة بتعويذة العفو وهل هناك بعض المعلومات التي تم تدوينها بواسطتهم يمكن الإستفادة منها إلى جانب معلوماتهم هنا وأرسل البريـد الإلكتروني وانتظروا على أحر من الجمر ردا على رســالتهم ولم تمضـــى عدة دقائق حتى ، أرســل إليهم بعض الوثائق والمعلومات والملاحظات المدونة بخط اليد حيث تم تصــويرها ، وإرســالهم لهم في الحال ولكن مع الأسـف لم تكن تحمل أي إضـــافه أو جديد فقد كانت مثل ما معهم من معلومات ثم ظهرت رسـاله أخرى على شـاشـه الكمبيوتر فقام بفتحها على عجل وإذا هي مجموعة من الصـــور صـــور تم أخذها لجبل الهلاك قبل دخول البعثة إلى الكهف الأحمر وذلك فور إختفاء ركاب "الســـيارات "في ذلك المكان ، فنظرا إليها طويلا ... نعم فقد شـــاهدا الجبل أثناء البعثة البحثية مع فريق العمل ذلك الوقت ، ولكن كانت تفاصـــيل الصـــورة قد اختفى بعضها مع مرور السنين فلم يعد يتذكر كل شيء عن شكل هذا الجبل ، فأخذ ينظر للصـــورة وقد جحظت عيناه من الدهشة ، وقام بمقارنة الصورة لبعض صور الصخور والجبال القريبة ، فقد شاهد شيء غريب بها ، فأشار إليها أيضا صديقه وكانت فقد أثارت أيضا إنتباهه ثم قام بتكبير الصورة.

فشاهد تلك العلامات السوداء المنتشرة على حدود الجبل، وكثير من جنباته، وأيضـــا تلك العلامات الحمراء على قمته ثم قام بعمل تكبير أخر للصورة على أعلى قمة الجبل فتظهر الصورة أن العلامات الحمراء ما هي ألا بقايا قطرات دماء متناثرة، أيضا كانت هناك الكثير من قطع الطمى التي سدت بها كثير من الفجوات بين الصخور بالجبل فظهر كثير من قطع الطمى المتناثرة على جنبات الجبل، وهنا علا وجهم نظره انتصـــار لمعرفة معلومة قد طمستها السنين من أوراقهم.

تنحى الدكتور عوني جانبا، وقد ابتعد عن الجميع قليلآ ، ثم همس ببعض الكلمات في أذن صديقه فلم يُسمع أحد جاجان ما قاله ، ولم يلتفت إليه أيضـا ثم انطلقوا إلى الحديقة ، فقد كان هناك شيء ما يريدون التأكد منه أولا – سار الصديقين بجوار أوعية الزهور والأعشـــاب يتفقدون أثار الأتربة والأغصان المكسورة التي ملآت فناء الحديقة لم يندهشا من هذا الأمر ، فجميعا يعلمون عدم اســـتطاعة الجنيني التخلص منها منذ أن عزل ملك الظلام الفيلا بســـحره عن العالم الحقيقي ، وتم أسرهم داخل عالمه الأسود المظلم و كان من قبل يدفع بها إلى أصدقائه من أهل القرية ليستعملوها وقود لمخابزهم الريفية حتى دنوا من أسوار الحديقة ، وجزب أحد الأغصان المنتشرة حوله ، فتســاقطت من أثرها بعض أزهار الياســمين التي انتشــر عطرها بالمكان ، ونظرا الصديقين خلف أفرع الأشجار ، فشاهدو أضواء القرية البسيطة لأول مره منذ أيام تصل اليهم ، فشاهدوها كما هي يتلألأ أنوارها حول ســـور الحديقة من كل مكان ، فعاد إلى المنضدة التي بجوار حمام السباحة ، وقد اطمئن قلبهما ، فمازال لديهم الريبة والشـك فهذا الأحداث لم تنتهى بعد ، ثم نادى على

الخادمة لأعداد القهوة ، فهناك ما يردون معرفته أيضـــا في تلك الليلة ، وانتظروا معا في الحديقة حول حمام السباحة.

ومضـت سـاعات الليل الأولى و قد أطبق بسـتائره ، فانتشـر الظلام الدامس يعلو قمم الأشـجار ، فاختفى معها الوان الزهور والوان الأعشـــاب الخضـــراء التي انتشـــرت بـالحـديقـة ، فتوارى جمال ألوانها خلف ظلمته الموحشة إلا ما قد سلط عليه بعض الأضـــواء الخافتة من مصـــابيح الإضـــاءة على الباب الرئيسـي للمكان أو بعض أعمده الإنارة الخافتة في أحد الأركان البعيـدة وتبـادل عوني وميلاد النظر كثير إلى السـمـاء ، وهـاهو يظهر من خلف بعض الغيوم الرقيقـة المنتشـــرة بالســـماء ، فكانت تحمله برفق مثل الوليد في مهده كان القمر الثاني قد ولد في السـماء كما قال جيران أبو محمود ، واطمئن حين شاهده بنفسه ثم عادت دقات البوابة لحديدية فنظر طويلا ولأول مرة منذ أيام يســـعد بهذا الصـــوت صـــوت طرقات الأبواب وكأنها يستمع معزوفة لبيتهوفن وتمنى أن تدوم بعض الوقت لم تمضـى لحظه وجاء أبو محمود يستأذن سيده للذهاب إلى وليمه شيخ المسجد مع جيرانه، و رحل عدة ساعات ليعود بعدها ، وقد وجدهم كما تركهم كم هما حول حمام السـباحة ، و ارتفعت أعنـاقهم إلى أعلى ينظرون شـــيء مـا .. حتى لم يشعروا به فور عودته من الخارج.

هزا الرجلان أعناقهم، الممدودة إلى أعلى ثم أطرق ميلاد وتناول رشفة قهوته التي أمامه وقد أستشعر برود الهواء حولهم، وقال: في أسي يبدو الأمر لم ينتهي بعد، فقال: عوني نعم يبدو الأمر كذلك ويجب أن ينتبه الجميع، ويظل أيضـــا الكل متيقظا، وخصـــوصـــا جاجان. ثم قام لداخل الفيلا حيث حجرة

المكتبة، فكان جاجان متكأ على أحد مقاعدها يتفحص هاتفة لعدد من لصوره مع خطيبته التي أفتقدها بشده.

إقترب جاجان من عمه الذي نادى عليه، ويحذره بشده انه تأكد أن الأمر لم ينتهي بعد، فمازالت حراسه الملكة من طيور البوم تجلس اعلى الأشجار وصباحا سنرى هل سيكون الصقر موجود أيضآ بجوار النافذة أم لا؟ وانطلق مره أخرى لحجره فريدة

كان يوسف قد بدأ يستعيد حيويته السابقة وانطلاقه الأطفال ، فاخذ يجول الحجرة ذهابا وآيبا محدثاً تلك الضوضاء والبهجة الممتعة ، فأعاد بعض السعادة إلى تلك البيت الحزين ، وأيضا كان ذهاب السحر عن الصغير وعودته مرة أخرى إلى الحياه الطبيعية قد بث بعض الراحة والاطمئنان إلى قلب فريدة الذى أضناها الوجد لغياب ابنتها رضوى ، و أعاد بعض السعادة لسارة التي انطلقت هي الأخرى تلهو خلف الصبى الصغير محاوله إمساكه فأخذ يملص منها يمينا وشمالا ، و أطلق العنان للهو الأطفال قرع عوني غرفة شقيقته برفق فأتاه صوتها بالدخول يسمح له بالانضمام اليهم ، فرق قلبه لشقيقته ولم يشأ ءان يؤد بهجتها الان ولكنه ابتسم ، وأنطلق مره أخرى إلى المكتبة حيث صديقه وجاجان ليكملا العمل

وقال: هل تفكر فيما أفكر فيه؟ فأجابه ميلاد و قال : نعم فأخذ العلمان يتناقشان في أمر تلك العلامات السوداء الكثيفة المحيطة بالجبل فقام بربط الأحداث والمعلومات السابقة فوصلا إلى استنتاج قد يكون هام وخصوصا بسبب إختفاء ركاب الأتوبيس الإفريقي فقد أوحت لهم تلك العلامات أن هناك قد اندلع صراع دامي ، وأن تلك العلامات قد تعود لملك الظلام في ذلك الوقت ، وأيضا سجن الأمير ، والذى يقوم على

حراسته جنود الملكة والكاهن الحكيم ، أما العلامات السوداء ، فقد تكون بسبب نزيف ملك الظلام الذى لم يقدر على مقاومه الحراس الأقوياء لجبل الهلاك والسجن الملكي سجن الأمير فهل كان ملك الظلام يحاول الدخول إلى الكهف لمحاوله مساعده الأمير مرة أخرى ؟ وإن كانت هذه المساعدة تبدو ضعيفة جدا من ذي قبل حيث إنه، فقد قواه السحرية كاملة ولكن يبدو أن لم ييأس بعد وكان لديه شعاع من الأمل قبل ميلاد القمر الثاني عندما تركه الكاهن الحكيم، فكان تحرير الأمير هو الأمل الأخير الذي تبقى لديه لأحياء الفرصة الثانية لعودته مرة أخرى، وأخذ يحاول كثيرا كما يبدو من الصورة المنتشرة بالكثير من السواد أن يدخل الكهف

لسجن الأمير، ولم تستطيع أيضا تلك الفجوات التي تم سدها بالطمى حتى لا يسمع الأمير ما يدور بالخارج من الأحداث الجارية، فقد كان الطمى المعد من تربة الأرض والماء هو المادة الوحيدة التي تحجب السمع والأصوات عن الأمير، ويبدو أن المحاولات قد استمرت سنوات طويلة لا يعلم عددها أحد ولكن يبدو أن ملك الظلام لم يصيبه اليأس بعد حتى أتته الفرصة الذى قام باقتناصها، وهى ركاب الأتوبيس الإفريقي، ثم أخذ يتناقشا في الأمر هل يمكن أن يكون ما توصلوا إليه حقيقة أم مجرد استنتاجات منهم؟

****

رضوى –تلك الشابة برغم حداثة سنها إلا أنها تمتلك عقلاً راجحا ونفسا نقية وروح لا تستسلم لأي ضائقة تمر بها، فكان اليأس لا يعرف طريق إلي قلبها الصغير أبدا، وإن كانت أيضا قد سجنت في ذلك المكان المخيف ومن يقوم بسجنها تذوب

منه القلوب رعبا وهلعا، كانت فكثيرا تفقد وعيها حين النظر إلى وجهه وكثيرا ولكن حاولت إلا تهتاب من أجل دنياها، ومن أجل من تحب، وهو رغم بشـاعة صـورته التي عليها لم يحاول أن يقوم بإذائها او ترويعها وإخافتها أبدا، فقد كان يعلم جيدا بأنها قد تكون أخر فرصه له.

حقا لم يفكر في أسر أحد أفراد العائلة من قبل، وإنها كانت فكرة ملك الظلام الذي لم يرضـــى عنها حينها، ولكن قد راقت له الفكرة الأن بعد أن فقد مســـاعدته، وبقي وحيدا كما كان من قبل لذلك يحاول أن يسرى عليها ويلبى لها ما تطلب، وإن كانت لا تطلب أي شـيء منذ اختطافها ملك الظلام –يحاول أن يبقها حيه إلا أن يرى ماذا سيكون من أمرها.

أما هي فكانت تعلم جزء من الأسـطورة مما قصـة لهم خالها، ولكن لم تعلم لماذا وأسرتها قد دخل هذا الصراع الغريب؟ فسألته بخوف واســتحياء كـانـت تخشـــى كثيرا من رد فعلـه عن سؤالها ، ولكن اندهشت كثيرا فقد كان يبدو أننا جميعا في الدنيا نختلف في كثير من الأشـــياء ســـواء ذلك الاختلاف كان في ألواننا ، أو عادتنا ، أو تراثنا أو عقائدنا ، ولكن يبدو أننا جميعا محملين بالهموم كلا منا يحمل همه الخاص يحتوى جنبات قلبه على بعض الألآم فنتمنى أن نجد من يشـــاركنا فيها نتمنى أن نبوح بها ، ونتقاسـم خبايا نفوسـنا مع احد ما فبعض البوح قد يكون راحة للنفوس المتألمة – لم تكن تتوقع أن يجيب على ســؤالها ، وكأنه تمنى منذ ســنوات أن يســأله أحد تمنى أن يبوح بجراح قلبه المدفونة مئات الســنين ، حتى أنه قد أجاب على الأسئلة التي لم تكن تخطر على فكرها أن تسألها

نعم هذا ما حدث بالفعل – قالها الأمير الهارب الذى سألته عن باقي الأسـطورة أو حكايته التي تحولت إلى أسـطورة فقال:– لم يكتفى ملك الظلام عن اللحاق بي داخل السـجن الملكي هنا ، واستمر الأمر كثيرا حتى مضت مئات السنين فتغيرت المدن ، وتغيرت الطرق حتى أتت تلك الحافلة على الطريق الذى ولم يخطر على فكر الملكـة يومـا أن يكون هنـاك أحـد في ذلـك المكان القاصـي البعيد ، فقام بالدخول إلى إحدى إطارات الحافلة ، فتوقفت في الحال ونزل ركابها وأخذوا يتجولون في الصـحراء إلى أن يتم إصـلاحها ، وكان بعضـهم قد لمح جبل الهلاك لما هو عليه من بقايا حروب الحرس مع ملك الظلام ، وأيضـا قطرات الدماء التي أعلى قمته ، فكان شـكل الجبل يبدو مختلفا كثيرا كما أن باب الكهف الأحمر مثيراً للرعب بعض الشـيء ، وهنـاك من تسـكنـه الرغبـة وحـب الاطلاع والمعرفة ، فقاموا بمحاولة دخول الكهف، فتخفى ملك الظلام بينهم في ثنايا ثيابهم وأشـيائهم التي كانت معهم ولم يكن هناك أوامر ملكيه لمنع دخولهم إلى الكهف فالأوامر فقط لحمايتي من بنى قومي ، ومنع دخول أي زائرين من عالمي وأيضا طيف ملك الظلام ، وهنا تخبأ ملك الظلام واتخذ صـورهم واسـتطاع الدخول إلى الكهف الذى فشـل في دخول من قبل حتى إقترب الجميع من الممرات الملكية فقام بقتلهم ودفنهم في باطن الكهف ، وهنا صـرخت رضـوى هلعا ، فقال لها كان ذلك منذ سـنوات عديدة ، ثم قال لوكان ملك الظلام مازال يمتلك قواه السـحرية لفعل أكثر من ذلك ، وأنهى أمر الجميع بطريقه أخرى ، وأتى إلى غرفتي ، وسـجنى هنا فأخبرني بأمر قد جعلني أسـتشـيط قهرا ، وحقدا من جديد فقالت رضـوى ، وهل وثقت بـه مرة أخرى منذ سـرقه صـندوق المعدن ثم قام بمهاجمتك لأخذ

الصـــندوق ، ثم تركك ليتم القبض عليك ؟ فقال: لا لم أثق به ابدآ فقد كنت اعلم ســـابقا أن هناك ما يريد القيام به ، ولكن لم أفكر أنى من ســـيكون أول ضـــحاياه من قبل ، و حين جاء إلى هنا داخل ســـجنى مره أخرى فكان الأمر يســـير عليه في الوصـــل ســـريعا ، فكثيرا ما دخله من قبل ، فعلم كل زواياه ومداخله ووصـل إلى غرفتي التي يعلمها تماما أخذ يتوسـل أن أغفر له ما قد فعل ، ولم ينتظر رد على توسـلاته ثم سـرد على سـمعي سـريعا قصـــة الملكة أمي ، وهنا صـمت قليلا ، وبرز على ملامح وجـه علامـات الســـخريـة والحقد فعـادت فكـانـت صورته اكثر رعبا مما هي عليه ، فأصبها ذلك بالخوف والهلع حتى جحظـت عينيهـا من الخوف ، فنظر إليهـا فطمئنهـا الأ تخشـى منه شـيء ثم أردف قائلا : ليعد إليها هدؤها الأ تريدي أن تعلمي ماذا فعلت أمي بعد أن قامت بســـجنى ؟ فقال نعم ماذا حدث للملكة ؟ قال لقد اســـتعملت الملكة قواها الســـحرية العظيمة ، وقامت بإخفاء المملكة عن ناظري حتى أن تمكنت من الحصـول على تعويذة العفو الملكي ، وقام الأمير المخلص بقراءة العفو لن أســـتطيع العودة إلى هنـــاك كمـــا لن أسـتطيع الحصـول على ملكي من جديد قد أكون قد حصـلت على حريتي ، وأيضـا قوتي السـحرية ولكن ، سـأبقى مثل ملك الظلام تائها في الدنيا أرى العالم يتغير من حولي ، وأظل أنا لا وطن له ، فحراس الممالك لا يموتون تبقى قواهم السحرية لحمايه الممالك ، ولذلك ، فقد غفرت لملك الظلام فعلته السابقة لأنه كان أملى الوحيد بعد كل هذه القرون البعيدة التي مضـــت على سـجنى هنا حتى أصـابني ألياس من عودتي مرة أخرى ، ولكن لم يكن الأمر هذه المرة كما كنت أريد سـابقا من إسـتعاده

ملكي وحريتي بـل كـان الأمر مختلفـا تمـامـا ... فقط أردت الإنتقام ...الإنتقام فقط من الجميع .

ثم صـــمت قليلا، وقال: تريدين مزيد من الحكاية؟ فقالت نعم جاءت إلى هنا منذ ســـنوات بعيدة بعض القبائل الأفريقية ، فســـكنت بجوار جبل الهلاك ثم رحل كثيرا منهم ، فقد كانوا يخشـون من منظر الجبل المرعب ، وأيضـا بعض الأصـوات التي كانت تصدر منه أحيانا ولم تصل إلى عيونهم وأسماعهم أن هناك أحداث دائرة ومعارك حاميه بين جنود الملكة ، وملك الظلام حول ، وعلى جبل الهلاك ولكن بفعل السـحر لا تصـل إلى أسـماعهم إلا كأصـوات مخيفة ورحل الجميع ، وبقيت فقط قبيله من القبائل كان لهذا القبيلة زعيم تهابه حتى الحيوانات المفترســة ، فكان ســبب لبث القوة ، و زوال الخوف بين أبناء قبيلته حتى أن الأصـــوات التي كانت ترعب بعض القبائل لم يخشـــاها يوما حتى كان في يوم من الأيام جاء ثعبانا ضـــخما يهدد أطفال القبيلة فقام بمطارده ففر الثعبان حتى دخل الكهف الأحمر ، فدخل ورائه حاملا مشعلا يتبعه بعض أفراد قبيلته إلى أن اقترب الثعبان من ممر الســجن الملكي الذى لم يصــل إليه أحد من القبيلة من قبل فكثيرا ما دخلوا هذا الكهف ، ولكن لم يصـــل احدهم إلى هنا ثم نظر الجميع إلى الثعبان الذى مات بدون أن يمسه احد ، وذلك بسبب الطلاسم والتعويذة السحرية الحافظة المكتوبة على جدران الممر الملكي بالإضـــافة إلى أشـــياء أخرى منها منع أي شـــيء من الإقتراب من الممر والسـجن الملكي عدا البشـر الذى لم يخطر على تفكير الملكة أنه قد يصـــل أحدهم يوما ما إلى هنا حيث الصـــحراء المهلكة من أبعد ما تكون عن الحياه ، ثم إنتبه الجميع لذلك، وقاموا بمتابعة الســـير لذلك الممر العجيب ، ونظروا لتلك

الطلاســم المنتشــرة حولهم فتقدموا ببطيء وريبه يتقدمهم زعيم القبيلة حتى دخلوا إلى حجره السجن ، فكنت أراهم ولم يستطيع أحدا منهم أن يراني.

فانـدهش الجميع وأخـذوا يجبون الحجرة التي لم يكن بهـا أي شيء سوى الطلاسم السحرية على الحوائط من كل جانب هكذا كانوا ظنهم، حتى وجد زعيمهم الصـــندوق في إحدى فجوات الحائط، وقد ظهر منه جزء قليلا.

فقام بنزعه ، وانطلق مهللا معتقدا أن بهذا الصـــندوق كنز من الجواهر الثمينة ، ولكن لم يكن به إلا وثيقه المحكمة، وأصـــدر الحكم وقام الرجل بأخذ الصندوق ، فكان أول من حمل السر ، وأيضـــا قبيلته ، وأصـــبح الســـر متوارث في تلك القبيلة ، ولم يســـتطيع أحدا منهم مغادره المكان بجوار جبل الهلاك حيث مكان الصـــندوق ، إلى يوم أن دخل ملك الظلام الكهف وقتل ركاب الأتوبيس ، وإخفاء الأخرين بدفنهم في الصـــحراء بعيدا خلف الجبل ، وهنا تداول الأمر وتم غلق المكان كما قد حكى لك خالك عن تلك الأحداث حتى جاء خالك إلى هنا فكنت ادفعه دفعا إلى أن يصـل إلى الممر، والسـجن الملكي كي يعثر على الصـندوق الأخر ، فهذا الصـندوق هو الأهم عندي حيث به تعويذه العفو الملكي ، وهاهو قد أخذها خالك ثم قالت ولكن لماذا قد أخترت خالي ، ولم تختر أحدا من أفراد البعثة حيث هنا وطنهم بجوار الجبل؟ فردا قائلا: كان لابد أن يكون حامل الصـندوق أحدا لا يسـكن بالصـحراء، فحراسـة الملكة والكاهن ليس بجوار الجبل فقط ، ولكنها تقوم بحراســه أجزاء كبيرة من الصـحراء أيضـا ، ولكن تتدرج الحراسـة حسـب أهميتها وكانت حماية الجبل والكهف الأحمر وخصـوصـا لصـندوق وثيقه العفو

هي الأهم ، فقالت : أتقصد أن الصندوق الذى به حكم المحكمة ، وأخذه زعيم القبيلة الإفريقي كان تحت حراســـه الملكة ؟ وهل القبيلة التي بها الصــندوق أيضــا تحت حراســتها؟ فقال لا بل الصــندوق فقط ، وكل ما بالصــحراء ، ولكن عندما تم وضــعه معهم بجوار الجبل لم يستطع أحدا منهم الرحيل من المكان بعد الأن فقد كانوا هم الحراس الجدد للصـــــندوق لأنهم من قاموا بنزعه من مكان ، وأخذه أيضــا ، فقالت : وماذا حدث بعد ذلك ؟ ، فقال : أخذ خالك الصــندوق الآخر ، وكان لابد من إخراج الصـــــنــدوق الآخر الــذى مع القبيلــة الأفريقيــة لخــارج الصـــحراء ليجتمعا الصــندوقين معا في نفس المكان كما كانا هنا من قبل وهنا أتت مهمة ملك الظلام حيث قد وسوس للفتى الإفريقي ، وأقنعــه للعمــل لــدى أفراد البعثــة الإفريقيــة ،ثم كــان الأمر كما تعلمي ســابقا حتى أجتمع الصــندوقان في صــندوق واحد ، وقد رحل خالك وأخذهما بعيداً عن الصـــــحراء ، وبعيدا عن جبــل الهلاك عــائــدا إلى بلاده ، وبقيــت هنــا انتظر مــاذا ســيكون من أمر ملك الظلام ؟ فانتظرنا كثيراً كل مولود بأســره خالك ســـــنوات وســـــنوات حيث لم يكن للرجل أبناء ، فقد كان يخشــى أن يموت ويتوارث أبنائه السر الرهيب وقد لا يكون على قدر حمل هذا الســـر ، ففضـــل الرجل ألا يبقى بلا زوجه وبلا أبناء ليحفظ الســـر ، وأيضـــا ليقوم بحمايه أفراد أســـرته من الذكور فمنهم ســـيكون الأمير المخلص ، حتى جاءني ملك الظلام يوما وقد أصـــابه الهلع ، فقال لي أن الفتى قد إقترب ســـنوات عمره أن تصـــل إلى العشـــرون فهل نتركه حتي يكملها لننتظر مائه عام أخرى لنعيد الأمر من جديد ، ونقوم بــالبحــث عن أمير أخر لقراءة التعويــذة ، وهنــا قــد دارت بي الدوائر وكان الأمر قد اختلف عن ذي قبل فلم أعد هذه المرة

أســتطيع الانتظار أو الصــمود كما كان من قبل فكنت انظر لتلك الأغلال والســـلاســـل الحديدية فكنت أود التخلص منها ســـريعآ كي أســـتطيع الانتقام ، فقمت بعمل خطه ، وقام ملك الظلام بتنفيذها ، فقالت : كيف ، قال : لقد ســـرق ملك الظلام مفتاح خالك لتلك الحجرة التي يدعوها الحجرة الممنوعة ثم راقــب الفتى الأمير المخلص ابن خــالــك حتى حــانــت اللحظة ، فقام بوضــع المفتاح أمامه مباشـرا. ووسـوس له كثيرا حتى قام بإنهاء الأمر وقام بفتح الحجرة ثم اخذ الصـندوق، وهنا تم النداء واســـتدعائي حين قام بفتح المخطوطة وتعويذه العفو، وإن لم يكن يعلم ما بها، وبعد ذلك ما تعلمينه من الأمر، ولكن كان بالأمر شـــيء أخر لم يكن يعلمه، فهناك من يحاول جاهدا منعه من الحصول على العفو الملكي، فلماذا؟

****

الفصل العاشر

أنهي حديثه معها فكادت الأرض أن تميد تحت قدميها، وكاد قلبها ينخلع رعباً مع ذلك المخلوق الذي تحاوره، ولكنها تشعر أحيانا أنه يعينها على وحشة هذا المكان المرعب، وان كان هو أشد رعبًا من هذا المكان.

ثم أشاح بوجهه إلى حائط الغرفة وقد انطوى على كثير من الألم الذي لا يحس به سواه، وما يشتعل في فؤاده فامتزجت نظرات الحزن بنظرات الحقد في عينيه، وظهر إحساسه بالكراهية، العجز على وجهه، وأخذ يفكر كيف يمكنه العودة مرة أخرى إلى الفيلا حيث الفتى الأمير المخلص. كم أراد أن ينتهي هذا الأمر سريعًا؛ فلم يبقَ سوى شهور قليلة ليبلغ الفتى العشرون من العمر، وإذا بقي الأمر إلى هذا اليوم فلن يستطيع العودة مرة أخرى إلا بعد مائة عام كما تنص بنود التعويذة. فكيف يمكنه وضع خطة لإجبار الفتى على المثول معه بعض الوقت دون تدخل أحد سواء من أسرته أو من جنود الملكة والكاهن؟ وكيف له أن ينجز هذا الأمر سريعا؟ وهنا توقف قليلا وقد انتبه إلى شيء ما؟ يحدث منذ مدة ولم ينتبه له. نعم فكيف ذلك؟ وسأل نفسه لماذا تقاومه الملكة بجنودها وأيضا الكاهن الحكيم؟

ولماذا يفعلون ذلك؟ كي لا يستطيع أن يحصل على العفو الملكي. وقال لنفسه: لقد وضعَت هذا العفو ووضعت معه بعض الشروط القاسية حتى أصبح الأمر مستحيلا، وقد مضى كثيرا من مئات السنين حتى فقدت الأمل لذلك.

والآن وقد تم كل شيء حسب الشروط الموضوعة، والتي هم من قاما بوضعها ... فلماذا يتم منعي ومقاومتي؟ و من إنجاز أمرى والحصـــول على العفو الملكي؟ لمـاذا يمنعـان ذلـك ويحاولان عودتي مرة أخرى إلى السجن الملكي؟ لماذا؟

وهنا قد استعرق في تفكير عميق حتى نسى وجود الفتاة بالقرب منه، فانصرف دون أن يتكلم معها كعادته، أو أن يسألها أتريد شيء كما كان يفعل دائما منذ أسرها؟ ولكنه انطلق.

نعم، يجب أن أعلم ماذا يدور؟ قالها وقد اتخذ قراره في مراقبة الملكة والكاهن الحكيم. وانطلق يجوب الصـــحراء بالقرب من الجبل الأحمر، عله يرى ما يرشـــده على بدأيه الطريق وكيف يصل إلى الملكة التي قامت بإخفاء المملكة عن عينيه حتى لا يصـــل إليها أبدا حتى وإن نال عفوه الملكي. كما قال له ملك الظلام قبل أن يصبح طيف أسود هائم في ظلام الدنيا. وهل حقا ما قال ... غداً سـأعرف ذلك وغدا سـألقى عدوى وها أنا مستعدا له وسألقنه ما يستحق.

وأخذ يجوب الصحراء وأعالي الجبال؛ عله يرى من أمر مملكته شـيء. فمازال يتذكر أنوارها السـاطعة وأسـوارها القوية ومكانه في الركن الرابع من الجهات الأربعة التي كان يقوم، وأخذت الأســئلة تدور مرة أخرى بعقله. إذا كانت لا تريد أن أنال في يوما ما العفو الملكي فلماذا قد قامت بكتابته أيضـــا؟ وإذا كان الكاهن يرى أن ما تفعله حقا ويسـاعدها على ذلك. لماذا تدخل اثناء المحكمة ولم يترك ما قد حكم به القاضي؟ وهو أن أسجن هناك بســـجن الظلام إلى الأبد ويكون الأمر قد انتهى، هناك شـيء يجب أن أعرفه لابد أن يكون في الأمر شـيء ما، وهنا تذكر أيضا الحيلة التي كان يستعملها ملك الظلام وهى التخفي

في أحد الأشـــياء للدخول إلى الأماكن الممنوعة ... فراقت له الفكرة وقرر أن يســـتعين بها في مراقبة الملكة وجندها؛ حتى يتمكن من معرفة مكان المملكة ثم يقوم بمراقبة الملكة والكاهن. وسنرى ما يكون قد حدث هناك منذ تلك السنوات البعيدة ...

****

ظهرت خيوط الصباح الرمادية، فانطلقت طيور البوم المنتشرة داخل حديقة الفيلا، أعلى أغصان الأشجار وحول المكان؛ وتصل فرقة الحراسة الصباحية بقياده الصقر وجنود الكاهن الحكيم. فأخذ يترقب الأمر عن كثب حتى انتهى الجميع من تبادل المواقع للحراسة، فأنتظر حتى رحيل أخر جند من طيور البوم بعيدا عن أسوار الفيلا، وانطلق الجميع أعلى السماء الشاسعة فانقض على أخر طائر بنهاية، وقام سريعآ بقتله واستعمل حيلة ملك الظلام وتخفى في هيئته، واتبع باقي الجند حتى اقترب من أبواب المملكة المختفية. فنادى كبير الجند كلمة سحريه كانت هي كلمة السر لعبور الحاجر السحري للدخول. فانقشعت صورة لضباب ابيض كثيف المظهر أخذ ينسحب ببطيء إلى أعلى، وظهرت معالم المملكة كما هي، وكما يعلمها أيضا لم يتغير مكانها ولم يتغير بها شيء كانت الملكة قد أخفتها بغطاء من الضباب والغمام، فأصبحت لا ترى أين هي؟ فكان الناظر اليها لا يرى سوى ضباب كثيف يملأ المكان، وفوقة غمامة كبيره مظلمة. كانت تلك الغمامة هي علامة المكان لدخول للجند وخروجه. ودخل الجميع حتى اقترب من القصر الملكي فدخل بعضهم وانتشر البعض الأخر في جنبات المملكة كالعادة منذ القدم. فلم ينتبه أحدا إلى اختفاء أي من منهم –

انطفأت الأنوار، وبقي شعاع من ضوء خافت ينير الجناح الملكي، فحجب من بالداخل إلا من بقايا طيف ضعيف

قد شاهده من بعيدا كان يبدو خلف ستائر النافذة المنسدلة للجناح الملكية، والتي أخذت تتراقص مع نسمات هواء الليل الباردة. فكانت تتطاير قليلا إلى الداخل والخارج لتظهر قليلا من بالغرفة، وكان يعلم من تكون ها هو طيفها يجوب الحجرة ذهابا وإياباً، وقد ارتدت ملابس النوم الحريرية الفضفاضة والتي انسدلت أطرافها إلى ما بعد قدميها، فكانت مثل ملكات الأساطير ببهائها.

ثم تطايرت ستائر الغرفة بفعل الهواء الليلي فشاهد وجهها وقد بدا عليه كثيراً من الغضب. كان يعلم تماما من صاحبة الغرفة الملكية فمن سواها يمكنه الدخول إلى هناك حتى الخدم ممنوع عليهم منعا باتا الاقتراب من الجناح الملكي، حتى نحن كنا ممنوعين من الاقتراب منة في أوقات كثيرة. وإن كنا نجهل السبب ولم يسأل أيًا منا عن ذلك الأمر...

لم يكن مسموح إلا لخادمة واحدة فقط من الإقتراب من حجرة الملكة، والقيام على خدمتها الشخصية والتي كانت تتلقى أوامرها المباشرة من الكاهن، وليس من كبير الخدم كما هو متبع في قوانين القصر وكانت الوصيفة الشخصية للملكة.

أخذت الملكة تجوب الحجرة في عصبية شديدة لا تخفى عمن يراها قريباً كان أو بعيدًا... وان كان يراقبها أعلى إحدى بنايات القصر في مواجهة حجرتها تماماً متخفيًا في طائر البوم التي كانت تعلم تماما إنها من جندها السرين المنتشرين بالمملكة. حيث كان لكل طيورها علامة مميزة قد وضعتها حول عينيه.

فاخذ يترقب ويستمع بدقه ويشاهد بعيون البوم التي ترى كل شيء من كل الزوايا حتى وإن كان ذلك في الظلام الشديد. فقال لنفسه: يجب أن أعلم بعض الأسرار قبل أن أعود للأمير المخلص مرة أخرى ... ولكن ترى ماذا يدور هناك ؟!!

فتح باب الحجرة الملكية، فدخلت الوصيفة تحمل كأسين من العصير وضعتهما برفق أمام الملكة، وهي مطرقة بعينها إلى أسفل الأرض في صمت تام حتى انتهت فتراجعت للخلف. وقامت بفتح باب الحجرة وكانت الملكة في ذلك الوقت مستديرة، فابتسمت الوصيفة ابتسامه خفيفة ونظرة غريبة ثم أغلقت الباب خلفها .... فسأل نفسه: ترى لماذا تبتسم تلك المرأة ولمن كانت تبتسم؟ ومع من تكون الملكة في غرفتها في ذلك الوقت المتأخر، وأيضا بملابس نومها الخاصة ترى أيكون معها أمير الجيوش ؟! نعم فقد يكون هو، ثم سأل نفسه مرة أخرى. فلماذا ابتسمت المرأه له اثناء خروجها خلف ظهر الملكة ...؟ أيكون هناك شيء خاص بينه وبين وصيفة الملكة؟

تناولت الملكة مشروبها، فأخذت تتجرعه دفعة واحدة، وكأنها تشرب كوبا من الماء البارد كانت تحاول أن ترطب غصة قد اصابت حلقها ... ثم قدمت الكوب الآخر لمن كان أمامها، والذي كان محجوبا عن مرمى البصر فلم يظهر منه شيئاً حتى يده حين امتدت لتتناول الكأس من الملكة لم يظهر لها أثر. ثم نظرت اليه في دهشة وكأنه يتحدث معها وتستمع له، ثم صرخت عاليا حتى إن دوى صرختها كان واضحا مسموعا له ألا يكفي؟ ألا يكفي؟

متى سينتهي ذلك؟ ...متى؟ ثم القت بكأسها بعصبية بالغة في أحد أركان الحجرة، ليتهشم محدثا صوتا قويا. اندفعت الخادمة

على أثره إلى الحجرة الملكية مره أخرى دون أذن. فنظرت لها الملكة التي كانت في قمة غضبها، فنهرتها لتذهب بعيداً وأغلقت الباب مسرعة في رعبا وخوف وتكمل الملكة حديثها الغاضب مع ذلك المرء الحاضر بغرفتها ذلك الوقت فقالت له: لقد فعلت لك الكثير ويكفي ما فعلته إلى الأن ... وأخذت تِصرخ حتى كادت أن تسقط، وأؤمرك بسحب ِجنودك فوراً ويكفي ما حدث، وهنا تيقن إنها تتحدث مع أخيه أمير الجيوش ... ولكن هل حقا كانت من تتحدث معه أمير الجيوش،

****

تأخر الوقت، ومضى كثيراً من الليل، والملكة لم تطفئ مصابيح حجرتها، ولم تخلد إلى النوم كعادتها في هذا الوقت المتأخر. كما يتذكر منذ زمن بعيد قبل أن تلقى به في سجن جبل الهلاك، فمازالت مستيقظة تجادل الجالس بحجرتها في هذا الوقت، متواريا عن أنظاره فلا يعلم من يكون؟

نظر إلى أسفل فكان المكان يبدو خاليا تماماً من المارة في طرقات المدينة، وأيضا حول القصر الملكي إلا من دوريات الجند الذي تجوب حوله في انتظام. فاعتدل قليلا ليعود إلى مراقبة الحجرة الملكية وما يدور بها، فقد يكابد ثورة في قلبه وفى نفسه فلم يعد يحتمل العودة إلى خارج المملكة بدون أن يعلم السر الذي جاء إلى هنا من أجله وليعلم أيضا من يكون بداخل جناح الملكة. فأخذ يستمع ويراقب بعينين قلقتين حائرتين، وقد أخذت الأفكار تدور في عقله ترى هل سيتعرض لصدمة أخرى وأي مفاجأة سيكابدها قلبه من جديد هذا المساء؟ ... ولم يكن يدور بخلده أن يرى أسوأ ما يمكن أن يتحمله كما تحمل من قبل.

فاضطرب صدره وخفق قلبه، منتظرا من يكون الجالس هناك ... ولكن هل يمكن أن يكون أخوه وماذا يمكنه أن يفعل إن كان هو بالفعل من يجلس مع الملكة؟ – فبدا عليه عدم الارتياح من تلك الأفكار التي تدور في نفسه، ولكن ظل متماسكا ساكنا في مكانه في هدوء تام؛ كي لا يلفت الأنظار إليه من جند الملكة المنتشرين في الأرض والفضاء. كانت الملكة قد اقتربت من الجالس بحجرتها فكان كمن اقترب منها فدفعته، وقالت في غضب ابتعد عنى. ثم نظرت إليه وقالت تكلم. وساد على المكان دقائق من الصمت فقد كانت تستمع إليه ولكنها قاطعته قبل أن ينهى حديثة، واستبد بها الغضب أقصاه ثم قالت كيف تجرؤ على قول ذلك. أنسيت من أكون والأمر الأول والأخير لي أنا؟ ...

لم يكن الحوار الذي يسمعه بعيدا ذات شأن هام كما يرى. فكان على يقين إنها تتحدث إلى أمير الجيوش، ولكن فجأة اضطرب صدره وخفق قلبه، وكاد أن يسقط من أعلى تلك البناية التي يجلس عليها عاليا؛ عندما انتبه إلى سمعه أصوات صهيل الخيل الذي يجر تلك العربة الملكية، فتعالت الحركة واصطف الجند في وضع رسمي، لتقترب العربة من بوابة القصر الرئيسية فتفتح لها البوابة، لتنطلق إلى داخل البهو الكبير مخترقة المساحات الخضراء من الحديقة المحيطة بالقصر قبل أن تصل إلى بوابة القصر الداخلية. تحيطها عدد كبير من الجند، وقد اتخذوا مواقعهم في صورة رسمية إلى أن وقفت الخيول ووقفت عجلات العربة؛ ليتقدم أحد الجند بفتح باب المقصورة في اهتمام بالغ لينزل منها قائدهم الكبير أمير الجيوش متجها إلى داخل القصر حيث جناحه الملكي .....

****

كانت قد استندت استنادا كاملا إلى حائط الغرفة وكانت الدموع تسيل على وجهها، وقالت بعض الكلمات في همس وأسى لم تستطع أن تصل إلى سمعه. ثم قالت بصوت أعلى قليلا متوجهة بالحديث لمن معها. ألا تستطيع أن تعرف ذلك الشعور؟ وكيف لك أن تعرفه ...؟ هل كنت أبا في يوم من الأيام؟ لم أكن أتخيل يوما إنك تحمل قلبا أعمى. اذهب. سأصلى من أجلك ... وهنا قد قام الجالس هناك، وقد ظهر ظله قليلا حتى قد وضح تماماً وامسك بمقبض باب الغرفة ونظر إليها في شيء من الحزن، وهما أن يذهب ثم لم يلبث أن عاود النظر إليها ومازالت تزرف الدمع ولم تنظر إليه. فكان يود أن يقول شيء ثم تراجع كالذي انفجر داخله بركان من العذاب والألم. فنظر لها ثم نظر إلى الأرض في أسى وقبض على مقبض الحجرة فأداره، وخرج مسرعا كأنه يهرب منها أو يهرب من نفسه الذي ذهبت منذ حين ....

خرج الكاهن الحكيم مسرعا من حجرتها. مسرعا إلى أخر ممرات الجناح الملكي في خطى سريعة ووجهه مضطرب تعلوه سمات الغضب والأسى. فطار قليلا وغير وجهته ليرى الممر الملكي بالكامل من أعلى ويرى ماذا يكون من أمر الكاهن الذي صعقته المفاجأة حين شاهده ولم يكن يتوقع أن يكون هو ولكن يبدو إنها ليلة المفاجآت!

اندفع الكاهن داخل إحدى الغرف الصغيرة في نهاية الممر. حيث كانت تلك الغرفة لوصيفة الملكة الشخصية والتي لا يدخل جناح الملكة سواها من الخدم. كما كانت تتخذ أوامرها من الكاهن مباشرةً دون أوامر كبير الخدم كما هو متبع في قوانين القصر.

اســـتقبلته الوصـــيفة في عناية واهتمام بالغين وإن كان مازال متوترا. فقام بوضـع الصـولجان الذي بيده في أحد أركان الغرفة ثم جلس مســترخيا على إحدى المقاعد الواســعة بداخل الغرفة التي كانت مختلفة عن غرف الخدم. فكانت حجرة فاخرة تحتوي على الأثاث الفاخر الأنيق، وإن كان لم يتســـن له رؤيتها من قبل عن قرب كما يراها الأن. أيضا كانت صاحبة الغرفة تتمتع بكثير من الجمـال الفتى، ولا أحـد يعلم من أين أتـت تلـك الوصـــيفة. فقد كان الأمر متروك للكاهن فأتى بها إلى الجناح الملكي، ولم يهتم أحد بـالأمر لثقة الكل بـالكـاهن الكبير كبير الكهنة والحكماء.

أخذ الكاهن يحدث الوصـيفة في صـورة ودودة ثم أخذ يلوح بيده بعض الشـيء، وهي تصـغى إليه في اهتمام بالغ. يعلو وجهها الحيرة في كثير من الأحيان، وأحيانا تعلوه ابتســـامة باهتة لتخفف بعض التوتر لـدى الكـاهن إلى أن أنهي حـديثه، وهَم بالانصـراف. هنا كاد أن يسـقط مرة أخرى من الدهشـة لما رأى فقد أحاطته الوصـــيفة بســواعدها وقبلته في وجنتيه ثم أحاطت عنقـه مره أخرى... أمـا الكـاهن فلم يعترض على ذلـك الفعل ألغريب بل ابتسم لها ... ورحل....

****

كان في ذلك الوقت ممنوع على الكهنة ورجال الدين في جميع الممالك الزواج، وعليهم البقاء كذلك إلى الأبد.

وهذا الأمر غريبا لم يعرف له سببا. إلا أنه استمر حسب العادات التي كانت تروى فالكاهن ورجل الدين يجب أن يكون بعيدا عن كل الغرائز التي يمكن للزواج أن يغير من ميوله ومزاجه كما

يحدث مع المتزوجين، وهذا الأمر لم يكن مقبولا، والذي يمكن أن يؤثر على إقامة العدل والحق. ويحيده عن واجبه المقدس، وإن لم يكن الجميع يوافقون على هذا الرأي ولكن استمر الحال على ما هو عليه إلى الأن.

وكان كثير الوقت حاول فيها أن يعدل الكاهن الحكيم تلك العادة المتوارثة ويعدل القوانين ويسمح للكهنة بالزواج وبناء أسره. فقد كان كبير الكهنة لأقوى الممالك وإن يبدأ من هنا تغير هذا القانون المجحف؛ وبعدها سيتبعه الأخرين وسينتهجون طريقه ... لكن عند مناقشه هذا الأمر يبقى شاردا ويظل صامتا ولا يجيب، فهل كان يدرس الفكرة أولا، ولو أنه أقدم على هذا الفعل يكون قد خرق القوانين الملكية الذي سيفقد بعدها كل صلاحيته العظيمة. ويواجه المحاكمة، وقد ينفى إلى سجن الظلام. ترى هل كانت الملكة ستوافق على ذلك؟ كان الأمر يحتاج إلى الكثير من الأشياء قبل الإقدام على تلك الخطوة التي قد تكلفه شرفه الوظيفي كله ووضعة الاجتماعي فتغير القوانين محال أن توافق عليه الملكة كما انه من المستحيل التحدث بشأنه ...

فأخذ يتساءل حين تذكر ذلك الأمر. ورأى مارأي بحجرة الوصيفة فاخذ يتساءل. هل اتخذها الكاهن عشيقة دون علم الملكة؟ وماهي العلاقة بينه وبين تلك المرأة؟ ....

كان الفجر قد اقترب فأطفأت الملكة مصباح غرفتها، واستلقت بفراشها. ترى هل اسبلت جفونها أم ما زالت يقظة لم يغمض لها جفن كما ظل هو أعلى البناية يراقب سكان القصر الملكي

انطلق الكاهن في ذلك الوقت المتأخر من الليل داخل إحدى الممرات لأســفل طابق الملكة، وقد تســارعت خطواته إلا أن هناك يدا قد قامت بسحبه وبشدة في عنف تام إلى داخل إحدى غرف هذا الممر ثم اغلق الباب ورائه بشدة وعنف ....

****

في تلك اللحظة أيضا قد أدركت أن هنا يكمن السر الذي أبحث عنه، فقال: يجب على أن أعرف واســمع ما يدور داخل هذه الغرفة الخطيرة. وفى تلك اللحظة فقط كنت أمنح نفســي الإذن بأن أباشر بكل ما أملكه من بعض قوتي السحرية لمعرفة ذلك الأمر الذي يدور منذ أول الليل وحتى ذلك الوقت المتأخر بين ســرادقات وغرف القصــر الملكي. كما ينبغي أن أكون طبيعيا إلى أقصــى درجة في صــورة جند الملكة الذي أتخفى به من طائر البوم، والذي اتخذته لهذا الغرض، فإن ربحت في معرفة ما يدور، فقد يكون ربحت شــيئا هاما. أنا هنا تلك الليلة لأرى كيف ســينتهي الأمر ثم أرى من أمر ذلك الفتى بعد ذلك فما زال هناك بعض الشــهور حتى يكمل عامه لعشــرين قبل أن تضيع فرصة النجاة إلى مائه عام أخرى مقبلة،

تقدم كثيراً من نافذة الغرفة، فاتخذ بعض الأشــجار القريبة من نافذتها مجلسا له، وتوارى خلال أغصــانها بعيدا عن الأنظار، فقد كان حذر كل الحذر ألا يلفت إليه أنظار جند الملكة في الأرض أو الســماء، كما كان شــديد الحرص ألا يراه الكاهن الحكيم من خلال النافذة، والتي كان ســيعرفه فورا إذا نظر إلى عينيه بفضــل قواه الســحرية العظيمة التي يعلم بها من يكون الذي أمامه حتى وإن كان متخفيا في أي صــورة أخرى. اقترب كثيرا فكان يستطيع أن يسمع، ويشاهد ما يدور في تلك الحجرة

الغريبة التي لا يبدو عليها الفخامة كباقي حجرات القصـــر الملكي ... ثم تذكر إنها تتبع الحجرات الخاصـــة بالأمير التي اتخذها مستودعا لبعض الأشياء الخاصة به، فكان لا يقربها أحد كما أنه فقط من يحمل مفاتيحها الخاصة. فلم يعلم أحد ما بها؟ أو متى يدخلها أيضا؟ وها هو قد اطرق السمع والبصر من خلال النافذة المفتوحة، والتي كانت أســـفل غرفه الملكة بالجناح الملكي. حيث كانت جناح الملكة بأعلى طابق من طوابق القصر كي تستطيع الملكة أن ترى كل المملكة وأسوارها المحيطة من خلال النظر من نافذتها إلى حيث الفضـــاء الفسيح.

وترقب ليشاهد ويسمع فقد أصبح الأمر مثيرا للاهتمام، ثم رأى اليد التي قامت بجذب الكاهن إلى داخل تلك الغرفة، ثم اطرق السمع لتلك الأصوات التي كانت تتشاحن بعضها بعض، وقد ارتفعت أصـــواتهما فبدا بالقرب من النافذة الكاهن الذي فكان مضطربا للغاية. واتخذ مجلسا بالقرب من النافذة في مواجهة شـــخصـــا ما؟ قد بدا ظله واضـــحا. فكان يلاحقه بكثير من الأسئلة بصورة مرهقة حتى اتكأ الكاهن بكلتا يديه على عصا الصـــولجان الذي يحمله واطرق ببصـــره إلى الأرض في حيرة فقال صاحب الظل في سخريه واستهزاء: مرحبا أيها الكاهن إلى أين كنت ذاهبا؟ ألم تعلم إني انتظرك منذ وقت طويل؟ حتى نفذ صـــبري فأتيت إلى هنا كي أعلم لماذا تأخرت؟ وماذا فعلت فيما قد طلبت منك؟ ولماذا لم ينته الأمر إلى الأن؟ ثم أطلق ضحكة ساخرة وقال: هيا تكلم يا كاهن القلوب ... وعاود ضحكته الساخرة مرة أخرى –

وهنا علم من يكون صـــــاحب الظل، وتأكد أكثر حين بدأ بالحديث مع الكاهن. حقا لم يشاهده إلى الأن واضحا، ولكنه أيقين أنه أخيه. أمير الجيوش ... وكيف له أن ينســـى ذلك الصوت المتغطرس !! وكيف ينسى حتى ظله !!

ونظر ببغض، وكان بالكاهن لايزال جالسا فتساءل في نفسه كيف له أن يتحدث مع الكاهن الذي يحمل تلك الرتبة الرفيعة بالمملكة هكذا، وكيف يسمح له الكاهن بأن يتعامل معه بتلك الطريقة البغيضة في الحوار.

بل ظل شاردا ولم يجب على أي سؤال مما طرحها عليه، وبدا عليه الإجهاد واضحآ. ونظر إليه وقال بقوة. يامولاى، إنك لتقتلها قتلا معنويا شديدا. ألا ترى أن ذلك يكفي؟

ولم يكمل الكاهن حديثه بعد، فصرخ صاحب الظل الذي اقترب منه بشده حتى أصبح ملاصقا له وقد يملأ عينه الحقد والسخط، وقال بصوت هادئ قليلاً كان أشبه بصوت الحمم المنسدلة في هدوء قبل أن ينفجر بركانها فيأتي على الأخضر واليابس.

- أترى يا كاهن القلوب أن ذلك يكفي؟ إًذا فأنت لم تنهى المهمة بعد! وأخذ يصرخ كيف؟ .... كيف لم تنهيها إلى الان؟ ...
لقد كنت متسامحا معك كثيرا من ذي قبل، ولكن أما أن ينتهي كل شيء هذه الليلة فلن ينتصف عليك صباح الغد إلا وأكون قد دبرت امرى دون وجودك.

وهنا هب الكاهن واقفآ واستشاط غضبا وقال:

-أبعد كل ما قدمت من خدمات وتنازلات لك ألم تكتفى بعد؟ ....
وأيضا تقوم بتهديدي أيها الأمير.

- وبكل قسوة وكل غضب قال: أهددك .... أنك لم ترَ شيء من بعد من تهديدي أيها الكاهن.

- وهنا قاطعه الكاهن قائلا: بكثير من الهدوء والصبر.

ياموﻻى، أعلم أن المرء في وسعه أن يقتل في خفية وهدوء حتى أقرب المقربين إليه ليصل إلى هدف ما، وقد يكون ذلك في شيء من الخجل بينه وبين نفسه. فاذا وصل لما يريد كان بدا له أن يتروى كثيرا في إعادة الكره فاذا فعلها أصبح يتعطش أكثر وأكثر لكثير من السلطة، فاذا وصل إلى درجة عدم الاكتفاء باع نفسه إلى الشيطان مقابل شهواته ثم باع نفسه للشيطان مقابل لا شيء.

قال ساخراً: أبيع نفسي للشيطان مقابل شهواتي! أما أنت أيها الكاهن يا رجل الدين والعدالة فلمن تبيع نفسك؟ وضحك في استهزاء وقال هل تبيعها إلى العشق والهوى؟

ثم قال مرة أخرى دعك بما تلقيه على أسماع العامة، وأجبني ماذا قلت لها هناك؟ وبماذا اجبتك؟ وإلى أي مدى قد انتهى الأمر بينكم؟ هيا تكلم، –تحدث سريعا فلم أعد أستطع الانتظار أكثر من ذلك ولم يتبق كثيراً من الوقت كما تعلم سوى القليل لهذا الفتى الذي لم تستطع تدارك أمره، أو رهبته قبل أن يقوم بما قام به هناك داخل الحجرة السرية سوى بعض الكلمات التي لا تخيف حتى حشرات الأرض. ترى أين كانت قواك السحرية؟ لماذا لم تستعملها لإرهاب الفتى؟ كان يجب أن أعاقبك على ذلك، وأنك لتعلم كيف هو عقابي أيها الكاهن الوسيم ثم ضحك ساخرا وقال: ألا تقول لك محبوبتك أيها الكاهن الوسيم، ونظر إليه ساخرا واقترب منه إلى أن أصبح ملاصقا لوجهه ونظر في عينيه فاطرق الكاهن إلى أسفل، ووجهه تعلوه سمات الغضب، ولكن لم يتكلم وظل صامتا. فقال: تحدث قبل أن ينفذ جلدي معك.

كان هناك يرى ويسمع ما يدور واتسعت عينيه وكان يفكر في أمرا أخر. ترى لو لم ينتهي الأمر هذه الليلة وظهر الفجر، حينذاك ستقوم الملكة بتغيير جنودها من طيور البوم إلى جند النهار من جند الكاهن من الصقور، فماذا هو فاعل حينئذ؟ يجب عليه أن يعلم ما هي القصة كامله. يبدو أن هناك الكثير من الأمور قد حدثت منذ سجنه في الكهف الأحمر بجبل الهلاك، و ها هي كل هواجسه تتراءى أمام عينيه، ويسمع بأذنيه كثير من حقيقتها التي أصبحت واضحة الأن كوضوح الشمس، ولكن لم يكن يتخيل يوما أن الأمر بهذه البشاعة.

ثم انتبه إلى الحديث مرة أخرى، وقد رأى الكاهن الذي بدا له أن استسلم لأوامر أمير الجيوش، فكانت تلك المرة الأولى الذي يراه منهزما مكسورا هكذا .... فسأل نفسه: ترى من تكون محبوبة الكاهن؟ وماذا يقصد بذلك أمير الجيوش؟ هل يقصد الملكة أم يقصد المرأة التي رآه بحجرتها؟

ثم انتبه إلى أن الكاهن قد تحدث أخيرا فقال:

-ليس لدى ما أقوله الأن، وليس لدى أي رغبة في الكلام حاليا، وسوف أراك غدا في وقت مبكر بعض الشيء. فهناك الكثير من الأحداث التي مررت بها اليوم فأنهكتني، ولا حرج إن تأخر الأمر بعض الوقت فمازال لديك عدة أشهر أخرى كما تعلم غير هذه الليلة، وأيام أكثر من اليوم التالي. فلماذا أنت غاضبا كل هذا الغضب؟ واحسب أن يكفي هذا اليوم ...

ونظر إلى وجه أخيه من خلف الأشجار، فكان يراه واضحا، وقد تحول إلى كل الألوان التي تقود النهار إلى الليل. وقد جحظت عيناه واحمرت من الغضب ... ثم اندفع نحو باب الغرفة فقام بغلقه بالمفتاح المعلق به في سرعة وعصبية شديدة

ثم التف مرة أخرى إلى الكاهن قائلا في حزم بدا واضـــحا على صوته.

لا أيها الكاهن، إما أن ينتهي كل شيء الأن إما أن ينتهي كل شيء غدا بدونك! فجلس الكاهن مرة أخرى وقد استسلم للأمر.

كما ابتهج هو أيضـــآ، فكان يتمنى أن ينتهي كل شـــيء قبل حلول الصـــباح، فلا يعلم ماذا ســـيحمل له الغد من مفاجآت أخرى.

جلس الكاهن وأطلق تنهيدة انطوت بداخل قلبه المهموم. الذي لم يتبق فيه مكان إلا لظفرات الألم الذي سكنه منذ أن علم ذلك الأمير بسره.

نعم أيها لكاهن، أنت من بدأت ذلك الأمر منذ ســـنوات طويلة وأنت عليك أن تنهيه اليوم. أتذكر أيها الكاهن المحكمة كان الأمر يســـير طبيعيا كما خططت له من قبل بهدوء تام إلى أن وصـــل الأمير إلى هناك كما أردت ذلك، وقد حكم القضـــاة بحكمهم الذي أثلج صـدري إلى أن قمت أنت بإفسـاد الأمر في اسـتعمال حقك في تغيير الحكم.

وقاطعه الكاهن غاضـبا. وتعالى وجهه التعجب فكان يجهل أن يكون أمر أخية مخططا بواسطته. كان يعلم أن هناك صراعات بســـيطة بينهم، ولم يتوقع أن يصـــل الأمر به إلى المؤامرات الخفية – فقال له:

نعم تغير الحكم لصـالح الأمير وأيضـا لصـالح البلاد كما قلت سابقا. لم يكن الأمر يستعدى النفي الأبدي، أيضا كانت هناك فرصة أخرى لأي سجين كما هو متبع في قوانين المملكة فكيف لا يحصل عليها الأمير أيضا!

فقال ساخرا: تعلو صوته الغطرسة والغضب

ماذا سـيفيد وجود أمير ضـعيف إلى المملكة ؟! كان يجب على أن اتخلص منـه حتى أقوم بـالحكم وحـدي. يجـب أن تتغير القوانين ويجب أيضـا أن استغل المعدن النفيس في التوسـع، والاستلاء على ممالك أخرى، وقال واســتبعد به الغرور فظهر في صــوته إن كنا نملك كل هذه القوة فلماذا أظل ملكا يجب أن اصـــبح إمبراطورا، وأضـم كثيراً من الممالك إلى ملكي ويكون جيشـي أقوى الجيوش ألا ترى إننا لا نحارب منذ ســنوات بعيدة تحت حكم الملكة ، التي لا تريد أن تستغل قوتها كما يجب أن يكون ، ولكنك أضعت كل شيء بسب فعلتك أثناء المحكمة .

وصــاح الكاهن غاضــبا بعد ما ســمعه لأول مرة من تصــريح بما يجوب في خاطر أمير الجيوش، وكان الأمر لهو خطيراً ليس عليه فقط، بل على امن البلاد أيضــا. فقال: يا لك من قاســى لا يعرف معنى الحزن ولا الألم لقد تملك غرورك أيها الأمير وامتلاك عقلك جنون الملك وجنون العظمة، التي لم تكن يوما في أحد أجدادك العظام. فأي نبت أتيت منه، وكيف يجول بخاطرك تدمير أمان تلك المملكة، وهي من أعظم ممالك الأرض، وملوكها من أعظم الملوك. فنحن قوم لم يعرف الخوف يوماً طريقا إلى نفوسنا، ولم يذل كبرياؤنا أحد من قبل، والكل يهاب حتى سماع اسمنا. فلماذا الحروب ولماذا القتال واحتلال ممالك أخرى، وما حاجتنا إلى أســـر الأخرين، وما حاجتنا إلى الاسـتحواذ على ما ليس لنا، ونحن يفيض عطايانا على الجميع. أيكون هذا من أجل حلمك المريض؟ أم من أجل أهوائك البغيضة؟ !! لم أكن أعرف نواياك كاملة من قبل كنت أعلم إنك تريد الحصــول على العرش لذاتك فقط دون شــريك في الحكم، ولكن لم أتصـــور يوما أن يكون تفكيرك هكذا إنك بذلك ســـتأخذ البلاد إلى الجحيم، وهناك لن يكون لديك مكان ليطلق عليك الاسم الذي تبتغيه حتى المقربين منك لم يسلموا من دسائسك أيها الأمير.

ألم ترى عذاب الملكة الأم التي قامت بتنفيذ القانون، ولكنها لم تستطع النظر إلى ابنها مقيدا في الأغلال والسلاسل لم ترَ كم كانت تعسة حزينة ؟؟؟

وصرخ في الكاهن قائلا في قسوة أكثر من ذي قبل كانت تعاستها ستستمر سنوات ثم تنتهي.
ولكنك أفسدت كل شيء كنت أخطط له في صمت منذ سنوات

فقال: الكاهن وفتح فاه من الدهشة متسائلا أكنت تخطط؟ هل كان لك دورا أيها الأمير في الجريمة التي قام بها أخيك؟

فقال ساخراً: كنت أراقبه عن قرب حتى أتت لي الفرصة التي قدمها هو حين اتفق مع ملك الظلام على سرقة المعدن ، فأرخيت له الحبل كي يفعل ما يشاء ، كنت أيضا أعلم صفقته مع ملك الظلام الذى أتأنى ، وقد علم أني أراقبه كما أراقب أمير الشعوب ، وهنا عقد اتفاقا آخر معي وهو أن ينسحب ويكشف الأمير فور سرقة صندوق المعدن ثم اتركه ويتم القبض على الأمير متلبسا بالسرقة ويفر هو ، ثم قال بغل، وحقد ، ولكن الملكة كانت اذكى من الجميع ،ولم تكن تعلم مما أقوم به وما قد اتفقت عليه مع ملك الظلام سابقا فقامت بسحر صناديق المعدن ، كما علمت أمر الصندوق الذى سرق، وإلى أين استقر داخل جبل الهلاك .

فقال الكاهن: إذًا فكنت تقود الأمير إلى الهاوية؛ مستغلا قوتك السحرية، ومستغلا عملك في قيادة الجيوش، ومستغلا ثقتي وثقة الملكة أيضا

ولكنك افسدت الأمر أيها الكاهن. فلو كنت تحدثت للملكة فيما أريده من توسعات في المملكة لرفضت وبقوة كانت أيضا ستجتمع بمجلس الحكم الذين كانوا أيضا لن يوافقوا على الأمر، وكان قد انتهى أمري

ولن أستطع إعادة الكره مره أخرى، وكان بدآ من التفكير بعض الشيء.

أما أخي فكان أمير ضعيف يبكي لبكاء الأطفال ويستمتع بصوت البلابل المغردة كم كان فتى ضعيفا بائسا.

وابتسم بدهاء ثم قال: كنت أعلم أن لكل شخص أخطاءه، وأيضا لكل شخص أسراره، فقمت بمراقبتك جيدا أيها الكاهن وأيضا الملكة واخى وكل من رق قلبه لهذا الأمير السجين، ومرت السنوات ومئات السنوات حتى أتت لي الفرصة التي كنت انتظرها، ولم أيأس أبدا. فكنت على علم أن أول أخطاء الرجل تبدأ عند امرأة و أول أخطاء المرأه تبدأ عند رجل فأخذت اتابع كل النساء حولك حتى علمت بأمر الوصيفة الفاتنة، وهنا ضحك ضحكة مدوية ضحكة المنتصر المظفر؛ وعلمت لماذا تتناول أوامرها منك شخصيا، وعلمت أيضا لماذا جلبتها للملكة على إنها وصيفتها الشخصية الحافظة للسر، وكما كانت الملكة تثق فيك أيها الحكيم فلن تجادل أبدا في أي شيء تقوم به ، فكنت تقوم بإعطاء أوامرك للوصيفة الملكية في حجرتها الخاصة دون أن ينتبه إليك أحد أو يشك فيما تقوم به هناك ، وأعلم أيها الكاهن كم هي محبوبتك جميلة الطلة ... وضحك ساخرا .. ولكنك تعلم القوانين جيدا فهل كان جمالها ساحرا فأنساك بانك قد تقدم للمحاكمة، وتنزع منك كل قواك السحرية، ويحكم عليك في سجن الظلام الأبدي إذا انكشف أمرك؟ فكان يجب أن يبقى الأمر سرا، وكان هذا الأمر سرك الرهيب أيها الكاهن الحكيم. وضحك ساخراً ثم نظر إلى الكاهن وقال: ولكل سر ثمنه أيها الكاهن الوسيم. فاطرق الكاهن. فقد كان يعلم أن بعض الأشياء مما قال أمير الجيوش صحيحة أما البعض الأخر فمازال لا يعلم عنه شيء، ولكن أكثر شيء اذهله مما سرد هو كيف جرؤ وقام بمراقبة الملكة ومراقبته

شخصيا. ثم قال غاضبا: أعلم. وكان الثمن لتلك المعرفة أنك قمت بتغيير بنود وثيقة العفو الملكي دون علم الملكة، وقد قمت بأخذ ختمها الملكي للتوقيع على بنود جديدة للوثيقة الملكية حتى لا يصل الأمير أبدا إلى المملكة مرة أخرى حتى وإن حصل على تعويذه العفو الملكي ، فوضعت حراسة حول الوثيقة ، وهى القبض على الأمير اذا استجاب للنداء الأول وتم تحريره من سجنه ، والثانية: أن تكون هناك جنود لعدم وصوله إلى غايته أبدا، والثالثة: موت من يقوم بحراسة وثيقة العهد في أي زمان، أو مكان حتى يحارب الجميع في الحماية لها ، وتدور حربا شرسا لمنع الأمير من الحصول على تعويذة العفو .

ثم قال: الأمير ساخراً: وللأسف لم تنجح في الأمر إلى الأن لم يقبض على الأمير الهارب ولم ينته الأمر بعد.

فقال الكاهن: ولكنك قد نسيت أمراً هاما أيضا.

فقال: وما هو؟

لقد نسيت أنك قمت أيضا بأقناع الملكة بإخفاء المملكة بصورة سرية حتى إن بحث الأمير عنها فلن يجد الطريق إليها، ولم تفكر أبدا في مشاعرها كأم ولكنك كنت فقط تنظر إلى جنون العظمة والملك لذاتك أنت فقط.

فقال وقد زاد حقدا وارتفع صوته: ونسيت أنت أيها الكاهن أنك إلى الأن لم تقنع الملكة بترك فكرتها في سحب جنودها وإعطاء الحق للأمير لينال حريته مرة أخرى، وهنا يجب أن تنهى الأمر سريعا حتى لا تتشبث أكثر بما تريد. أما أنا فيجب أن أكون بعيدا عن قراراها بهذا الشأن، يجب أن أظل الأمير المنزه عن الأطماع. وظل يقهقه في صورة هستيرية متقطعة حتى كاد يصبه الجنون، ثم قال: منذرا الكاهن مرة أخرى يجب أن تنهى هذا الأمر، أو أقوم أنا بأنهاء أمرك أيها الكاهن الوسيم ....

فقال الكاهن: يامولاى، ألا يكفي ما عاناه أخيك منذ سـنوات طويلة دعه فاذا اســتطاع العودة فســنرى ما يكون من أمره فربما تغيرت أفكاره؟ أما بخصوص الحكم فتعلم أن هذا الأمر يمكن تداركه

لم يجبه، والقى له بمفتاح باب الغرفة ليعود من حيث أتى، فكانت الملكة قد اتخذت قرارها بسـحب جنودها حول الأمير الهارب، وهذا ما جعل ملك الجيوش يسـتشـيط غضـبا فكرة عودة أخيه مرة أخرى حيث سيكشف وجود أخيه خططه الإجرامية فيما ينوى القيام به من مهاجمة الممالك الأخرى والاســتيلاء عليها كي ينصــب ذاته إمبراطورا. فترى ماذا سيفعل الكاهن الحكيم؟

****

نظر خلال أغصان الأشجار التي توارى في جوفها بعيدا عن العيون، فسمع ما قد سمع وشاهد ما شاهد، مالم يخطر على قلبه وخلده من قبل، فكانت هذه الليلة أطول أيام عمره جميعا؛ فقد تجرع فيها كأس الألم حتى خيل إليه أن الألم قد خلق له هو فقط دون أحد سواه فكل الألم الذي مضى عليه سابقا لم يكن بهذه القوة. وكل هذه القسوة، وكان هناك من يشاركه هذا الألم منذ سنوات بعيدة، وإن لم يكن يعلم بالأمر من قبل. نعم قد أيقن الأن أن أمه ما هي سوى جزء صغير في اللعبة الخطيرة التي يديرها أخيه من أجل جنونه، ومن أجل شهوة الحكم المفرطة. فالتمس لها بعض الأعذار وإن كان في قلبه غصة مازال يتجرع مراراتها إلى الأن. كما يبدوا أنه تعلم من هذه الليلة التأني والصبر قليلا، فعلم أن الأمر لم ينته بعد فظل متربثا ساكنا، وقد اتخذ قراره في مواصلة مراقبة أخيه طوال الوقت مهما كلفه ذلك الأمر. وأيضا قد تعلم أول دروس أخيه في أخذ الحيطة والحذر في كل خطواته، فلم يكن يريد أن تنتهي قصته

هنا بين جنود أخيه ولكن الأمر قد أخذ شكل أخر، ولابد له أن يكمل الأمر لنهايته. فظل مراقبا حجرة أخيه وقد انطلق الكاهن الحكيم منذ قليل وظل وحده فيها... ومن خلف فروع الأشجار أخذ يلوم نفسه على قراراته المتعجلة الغير مدروسة بعناية في كثير من المواقف التي أدت به إلى السجن، وتسببت في الألم لبعض المحيطين به الذي عانى كلا منهم، فهل أيضا كانت هي سبب تلك المعاناة لعدم إدارتها أي حديث أو مناقشة الأمور بصورة أكثر حكمة مثل كل الوالدات. كان يعاني الألم وأوصله عدم مناقشة الأمور في حينها إلى تعالى طبقات الصراع النفسي الذي أصبح فيه؛ فلم يعد يريد سوى القهر للجميع وخيبة الأمل في أعمالهم؛ كما فقد هو أمله وتم قهره فاتخذ قرارته التي كانت متهورة ثم أصبح خطرا حين التقته عدوا له وعدوا لمملكته وكان ما كان بعد ذلك. ولم يكن يدري من هو خصمه الحقيقي أحقا هذا أخيه؟ الذي قد شاهده وسمعه. كم هو قاسيا وأعمى واثقا من نفسه إلى حد الجنون. وإن كان ليس حادا للذكاء مثل ذكاء وحنكة الملكة. ولكن كانت أفكاره مرتبة مدروسة بمهارة شديدة أيضا كانت أفكاره توحى بهبوط رياح الدمار على المملكة والممالك المحيطة من حولنا. ولكن لا يبالي فقد تملكته نشوة العظمة والكبرياء. ثم نظر إلى الأسفل قليلا ليرى الحركة الدائرة حول القصر وفى السماء، وهل من مراقب هنا أو هناك؟ فكان قد هدأ قليلا وأخذ يتحاشى خطط وأفكار أخيه ثم فكر قليلا وقد أخذ يتروى بعض الشيء، فتلك الثمة كان قد فقدها منذ زمن بسبب ما تعرض له. ولكنه يبدو قد استعادها الأن فأصبح واثقا من نفسه ولم يكن قط واثقا من نفسه بهذا الشكل أكثر من هذه المرة. ففكر عدم ترك هذا المكان ومراقبة أخيه جيدا فما بدأ هنا سينتهي هنا حيث اتضح الأمر وظهر أكثره، وانتظر بعض

الوقت ثم طال وقت الأنتظار قليلا وإن كان نفذ صبره إلا أنه تعلم درس من دروس هذه الليلة وهي أن الأمر قد لا يبدو واضحا في أوله ولكن قد يكون خطيرا في النهاية. فتمهل وانتظر وهاهو يرى أمامه قد علت طرقات الباب فأمر من بالباب بالدخول، فاذا جندي من جنوده الشخصي فتقدم هذا الجندي حتى اقترب أكثر، فهمس له أمير الجيوش بعض الكلمات برغم إنها كانت هامسة بعض الشيء إلا أنه قد استعمل بقايا سحره وقد سمعها بالكامل فأسدى أمير الجيوش أمرآ عاجلا إلى الجندي لم يختص هذا الأمر بعمله بل كانت أمرآ خاص، وهو مراقبة الملكة، والكاهن الحكيم مراقبة تامة ليلا ونهارا على أن يتفرغ فقط لهذا الأمر. ويأتيه بتقرير في نهاية الصباح ونهاية المساء وأن يكون هذا الأمر سريا لا يعلم أحد، أو يلاحظه أحد، ونظر للجندي بطرف عينه في ريبة وشك بالرغم من الولاء التام لهذا الجندي، وقال بهدوء مفتعل: تعلم أيها الجندي الأمين أن هناك أخطار تحيط بنا من أجل ما نملك من المعدن النفيس وأنى أخشى على الكاهن، والملكة من التعرض لأخطار، أو أصابتهما بأي أذى. فنظر الجندي، تعلوه سمات وجه الفخر لاختياره لحماية الملكة، والكاهن الحكيم. ثم انطلق، وانطلقت ورائه نظرات أمير الجيوش سعيدا. ثم أطفاء مصباح غرفته وأوصد بابها وأخفى في ملابسه مفتاحها، وانطلق إلى الحجرة الملكية.

****

لم يعد الأمر جديدا على الكاهن الحكيم فقد اعترف له أمير الجيوش منذ قليل بتلك الاعترافات المعتوهة. من مراقبته ولم

يكتف بالأمر مع كبير الدولة بل أخذ يراقب الملكة شـخيصـا، وأخذ يحدث نفســـه كيف يقوم بتنبيه الملكة؟ فهل يخبرها بهذا الأمر الذي هو بغاية التعقد كيف له أن يشـــجنها في أبنها الأكبر أمير الجيوش؟ وما يقوم به، ولم تبرؤ بعد من فجيعتها في أمير الشـعوب الذي سـجن من قبل، وحكم علية بالسـجن. فأشـفق عليها من أسـوآ مصـير يمكن أن تنتظره أم في أبنائها وأسوآ كابوس يمكن أن تعيشه مملكة حين يقوم بها هذا الصراع بين جنبات قصـــرها الملكي. كان مازال يجول ذهابا وأيابا في حجرته الخاصـــة بعيداً عن الحبيبة التي علم بشـــأنها أمير الجيوش، ولكن مـازال لم يعلم من تكون؟ ومنـذ ذلـك الوقـت اسـتغل هذه الفرصـة وقلب حياته رأسـا على عقب وكدر عليه معيشته حتى وجد القلق طريقا إلى حياته الهادئة.

لم يهتم الأمير الهارب بأمر الكاهن كثيرا. بل مر بصـــر عليه اثناء تتبعه لأخيه ليرى إلى أين سـيذهب داخل القصـر؟ فأخذ يراقبه بدقة من خلال شـرفات القصـر، ونوافذه المفتوحة، ويبدو أنها ليلة بلا سبات لسكان الجناح الملكي.

تنقل بحذر تام دون لفت الأنظار إليه، فكان يتجنب أن يصـدر صـــوتا حتى حفيف أوراق الأشـــجار، فقد تعلم الحيطة والحذر وكـان هـذا أيضـــا من الـدروس التي تعلمهـا في هـذه الليلـة الطويلـة، حتى رأى ذلك الظل وقد أســـرع الخطى متنقلا في الممر الطويـل المؤدى إلى حجرة الملكـة لم يكن أمير الجيوش فقط من يراقب الجميع فقد كانت هناك أيضـــا عيون تراقبه من خلف أوراق الأشـــجـار دون أن يعلم. وعيون أخرى في ذلـك الممر المؤدى إلى حجرة الملكة. نعم، فلم يكن غيرها يســـكن جناح الملكة الخاص سوى وصيفة الملكة الشخصية.

تعالت طرقات الباب فأمرت الملكة من بالباب بالدخول إليها. فمازالت ممتدة على فراشها المكتسي بأفخر أنواع الحرير الذي كان مقصورا استعماله على الأسرة الحاكمة والطبقة النبيلة فقط حيث كان سلعة فاخرة نادرة، وقد تناثرت الوسائد حولها في فوضى تامة فأخذت تحتضن إحداها وتعتصرها بين يديها في ألم وصمت تام. كانت مصابيح الغرفة قد اطفئت إلا من شعاع صغير يتمايل بالقرب من فراشها. فاقترب منها في هدوء وسكينة وقد قام بتقبيل رأسها ويدها في حنو مصطنع وقال: رأيت أضاءه الغرفة فعلمت أنك مازلتى مستيقظة.

فأجلسته بجوارها على حافة فراشها ومازالت كما هي لم تعتدل من جلستها التي عليها، فاقترب منها وقال: هل تعانين من شيء يا أمي؟ هل احضر لك طبيب؟ فقالت له: إني بخير ولا داعي لذلك. ثم سألها: أهناك ما يزعجك؟ وأخذ يدها بين يديه فأطبق عليها في حنان ورفق، وأخذ يستمع إليها، مصطنعا خشيته عليها. أسهمت قليلا شاردة ثم قالت: نعم يابني، هناك موضوع يجب أن اتحدت إليك فيه، ولا أدرى لماذا الكاهن يصر عليه. فقال لها: أي موضوع ذلك. فقالت: موضوع جند مراقبة أخيك فانتبه سريعا، وتدارك الأمر فقد كان يعلم ماذا ستلفظ، كما يعلم ما يريد! فقاطعها قائلا: أماه سنتحدث في الصباح فالوقت الأن أصبح متأخرا جدا، ويحتم عليكى أن تأخذي قليلا من النوم فهناك كثير من المهام التي تنتظرك غدا جلالة الملكة. ثم ابتسم بدهاء وقال: أيضآ حتى لا يذبل بريق عينيك واشراقة وجهك كما تعود الجميع أن يرى الملكة في أبهى صورها. فلما اليقظة والسهد الذي لا فائده منه؟ فقالت: ولكنك لا تعلم ...فاسرع قائلا: غدا نتحدث فكم أنا أيضا أشعر بالإرهاق الشديد حيث إنني مازلت

لم أترك عملي حتى الأن ، فنظرت بإشفاق إلى ابنها والزمت الصمت، وقالت إذًا غدا نتحدث في الأمر ، وبرق عينه مبتهجا وتركها ومضى ودنا لباب الغرفة فامسك مقبضها ثم تمهل ونظر إليها قائلا: هناك أمرا هام نسيت أن أقوله لك فنظرت بانتباه فقال: لقد دفعت بأحد جنودي الأوفياء المخلصين ليكون على مقربة منك دائما لحمايتك تحسبا لأى موقف قد تتعرضين له ، فانتي تعلمين لم يتبقَ لي أحد غيرك بعد سجن أخي وموت أبى ياامى ولن تشعري بأي قيود في وجود الجندي الحارس ، وتعاملي بكامل حريتك كما لم يكن موجودا حولك أيضا يا أمي أن سألك الكاهن أن هناك من يراقبك فاعلميه إنك على علم بالأمر، ولا داعى أن يخشى شيئآ، ولم ينتظر منها أي جواب، أو استفسار لما قام به، ولكنه فتح باب الغرفة وانطلق مسرعا دون أن يلقى نظرة إليها، واغلق الباب بقوه .فهل سيقوم الجندي على حمايتها حقا ؟

ولأول مرة يراها هكذا من خلال مخبأه خلف فروع الأشجار، وهاهو الليل قد أوشك على الرحيل وأطلقت السماء خيوطها الرمادية معلنة حضور يوما جديد، ومازالت الملكة لم تغمض عينيها فكم كانت حزينة منكسرة في وحدتها فأشفق عليها وعلم الأن أن هناك خطرا عظيما قد استفحل داخل جدران القصر الملكي خطرا مجنونا لا يعرف غير القسوة والتعطش للدماء وإن كانت دماء أخيه أو أمة أو حتى الحكيم الذي قام برعايته صغيرا

****

كانت الحديقة قد بدأت تكتســـي بأول خيوط الفجر الجديد، وأخذت أشعة الشمس ترسل خيوطها الذهبية لتنير ذلك الفضاء الفسيح، وبدأت طيور البوم في الانسحاب تاركة فروع الأشجار

كعادتها في ذلك الوقت؛ كي تذهب إلى المملكة البعيدة وكان الأمر يبدو طبيعياً كعادة كل يوم منذ تلك الكارثة التي أحلت بأسرة الدكتور عوني.

وها قد مضت عدة أيام منذ هلاك ملك الظلام وفك قيود سحره عن الصبي الصغير يوسف كما تحرر سحر الفيلا عن عزلها عما حولها من القرية، ومع اختفاء ملك الظلام وهلاكه كان قد اختفى أيضا الأمير الهارب، فكان هناك هدوء وسكينه يحيطان بالمكان بعض الشيء امتزج بهما الخوف والتوجس الرهيب على الغالية المخطوفة والتي لا تزال محتجزة لدى الأمير الهارب. لا يعلم الجميع أين تكون أو ماذا تفعل في ذلك الحين منذ أن رأتها أمها فقط من خلال القوة السحرية للكاهن الحكيم والذي أشفق على قلبها المفطور، فأراد أن يطمئنها قليلا عن فلذة كبدها. ومضت ثلاثة أيام متواصلة دون زيارة الأمير الهارب أو الكاهن الحكيم. فكانت تلك المدة كافية ليعمل فيها العلماء سويا وبكل جد وسرعة متصلين الليل بالنهار على كل وسائل التواصل من خلال الإنترنت مع الباقين من زملاء البعثة الأفريقية ، فوجودا من خلال تبادل المعلومات أمر هام قد طوى في ذاكرة النسيان التي مضى عليها عشرات السنوات ، وكان الأمر فائق الشأن فقد يكون فيه حمايه الفتى والأسرة معا من ذلك المصير الغامض لهذه الحرب الطاحنة التي لم يمتلكون أدواتها للنيل من الأمير الحاضر لهم عبر أعماق التاريخ والتي في نهايتها سيكون هلاكهم جميعا كما تقول الأسطورة عند عودة الأمير الهارب وحصوله على العفو الملكي . سيكون هلاك كل من علم بالسر الأن ومنذ سنوات ماضية سواء من القبيلة الأفريقية أو زملاء البعثة أيضا فالجميع يعلم أن الهلاك هو مصير الجميع وإن جهل

من سيقوم بقتلهم، هل سيكون ذلك الأمير السجين أم أن هناك شخص أخر سيقوم بتنفيذ هذه المهمة ؟؟ ؟

****

كانت الأشـــجار تتشـــابك بشـــدة وقد امتدت أغصـــانها، فقام الجنـايني بتهـذيبهـا قليلا حتى امتلأ فنـاء الحـديقـة بكثير من العشـب الجاف والأغصـان المكسـورة بالإضـافة إلى الأغصـان التي تراكمت منذ سـجنهم ملك الظلام داخل أسـوار البيت. فلم يعد أحد يســتطيع الدخول أو الخروج من ذلك المكان حتى مع إشراقة الصباح كان الجنايني قد قام بفتح البوابة الرئيسية على مصـــــرعيهـا فـدخـل عـدد من الفلاحين، وقـامـوا بحمـل الكثير والكثير من الأعشـاب الجافة وفروع الأشـجار، وبدت السـعادة الغامرة على وجوههم حيث كانوا يستعملونها في اشـعال افرانهم الريفية تخلص الرجل من الكثيرة مما تراكم المدة السابقة ....

كان منتصـبا يشـاهده من شـرفة الطابق الأول من البيت فسـمع كل حديثه بينـه وبين الفلاحين حتى أنهى مهمته من التخلص من الأعشاب، فعاد إلى الحديقة بريقها ورونقها من جديد فوقف يراقبه إلى أن ينهي هذا العمل ســـريعا فقد شـــحذ كل طاقته المخفية في أعماق قلبه منذ توصـــل إلى ذلك الســـر الرهيب. فصـاح عليه فور رآه يقوم بغلق البوابة مرة أخرى أن يسـرع في الحضور إلى اعلى، فهرول الرجل الذي كاد يسقط أثناء صعود درجات الســـلم للوصـــول إلى بوابة البيت الداخلية، ولم تمض لحظات إلا ووقف منتصـبا أما سـيده ملبى أمر ندائه. وقد وجد صـــــديقه ميلاد جالســـــا بالقرب منه أما هو فمازال ينظر إلى الحديقة. كان الرجل خائفا جدا كونـه قد تخلص من الحطب الجاف دون الرجوع لسـيده في هذا الأمر، فكان صـوته يرتعش

وعينيه زائغتين حتى جمع القليل من الشـــجاعة (وقال تحت أمرك يا دكتور) وكان الدكتور عوني قد نظر إلى صـــديقه الجالس بجواره منذ الصـــباح الباكر وقد حزما أمرهما معا منذ ليلة أمس فلم ينتبه لتوتر وارتباك ذلك الرجل، كما كان هذا الأمر يبدو ســـرا بينهما إلى الأن لم يخبرا به أحد من أفراد الأســـرة بعد. هب الدكتور ميلاد واقفا وقد أحاط عنق الجنايني بإحدى ســـواعده أما يده الأخرى فقد اخذ يشـــير بها في شـــرح الأمر له فقال يا أبو محمود نريد منك شيء هام جدا عسى أن تســـتطيع القيام بهذا الأمر ... فهدأ الرجل قليلا وعلم أن الأمر لا يتعلق بحطب الحديقة ولكن هناك شـــيء أخر . نريد منك احضـــار بعض الطمى فأجابه قائلا: الجنينة مليئة يا دكتور، فقال عزمي لا يا أبو محمود نريد طين من نوع خاص. فنظر لهم متعجبا وقال وعلامات الدهشـــة تعلو قســـمات وجهه وهل هناك أنواع مختلقة من الطين يا دكتور؟ لا اعرف سوى أنه كله طين فأجابه قائلا: لا، نريد نوع خاص من الطين مغسول بماء النيل بمعنى نريد طمي من ضـــفاف النيل. فهل يمكن أن تحضـــر لنا ذلك الطمى وبســـرعة؟ فأجابه الرجل: نعم، وبكل يسر وانطلق مسرعا إلى الخارج فاستوقفه الدكتور عزمي قائلا: مهلا، أتعلم الكمية التي نريدها، فســـكت وقد فجاءة الســـؤال فقال: لا، فقال نريد كمية لا تقل عن برميل كبير من الطمى ومثله من ماء النيل وأدخل يده في جيبه وأخرج مجموعة من الأوراق النقدية فأعطى الجنايني واحدة منها قائلا: إذا احتجت عمال أو سيارة للنقل، ولكن يجب أن ينتهي الأمر قبل الظهيرة فاذهب فورا. وانطلق الرجل حيث أمره سيده وتركهما يخططان كيف ســـيقومون بإنهاء هذا الأمر اليوم، فلا يعلم أحد ماذا سيكون غدا. ساد الصمت بعض الوقت المكان وأخذ يفكر كلا

من الصديقين في أمرا ما ثم امر عوني باستدعاء الأسرة سريعا للطابق الأرضـــي، فانطلقت الخادمة على عجل لتنفيذ ما أمر سيدها ثم نظر لصديقه وقال: يجب أن يعلم الجميع بما سنقوم به كما يجب أن يتعاونون معنا أيضآ؛ لننتهي سريعا اليوم وقبل حلول ظلام الليل فلا ندرى ماذا ســتخفى لنا الليلة أيضــا فهل ســتكون مثل الليالي الثلاث الســابقة أم ســيظهر لنا الأمير الهارب . الذي يبدو متواجد لم يتم القبض عليه حيث مازالت حراسـه الملكة والكاهن من الصـقور وطيور البوم المنتشـرة في الليل أو النهار، ولم تمض لحظات قليلة وكانت الأسرة كلها قد التفت حول الدكتور عوني وميلاد وقد انصـــتت باهتمام بالغ. فقال: تعلمون جميعا أنى والدكتور ميلاد كم نحن مشـــغولين بـالبحث عن مخرج من المحنـة الرهيبـة التي نمر بهـا جميعـا، ولن أتطرق إلى تفاصيل تلك الأبحاث التي قمنا بها منذ سنوات وإلى الأن وما لبث أن اتضـح الأمر كله بعض الشـيء ولم ينه حديثه فجأة هب واقفا فزعا واخذ يمد يده في حركة مضـــطربة يتحســس صــدره وينظر إلى قميصــه وكان الفزع الذي أحســه مرسـوما على وجهه وعينيه التي ما زالت تتلفت أسـفل المقاعد وأسـفل قدميه، فسـألت فريدة ماذا بك؟ هل هناك شـيء؟ فقال: وهو يعاود الجلوس مرة أخرى ومازالت أنظار الأســرة معلقة به في دهشة ...

اشعر كأن هناك فأرا قد قفز فجأة فوق صدري ثم هرب فورا فلا أدرى هل رأى أحدكم هذا الشـيء؟ فسـكت الجميع وقد أصـاب بعضـــهم بعض الفزع والخوف فكانوا يعانون جميعا من فزع الأحداث الجارية بذلك البيت.

فقال ميلاد لصـديقه ، قد يكون ما شـعرت بسـبب التوتر الذى نحن به فهز رأسـه مصـدقا على كلام صـديقه وقال: نعم قد يكون ذلك بسـبب التوتر ثم أكمل حديثه السـابق موجها كلامه للأســـرة ، كان من الأبحاث التي توصـــلنا إليها وأفراد البعثة الأفريقية ذلك الشـــيء الذى لفت نظرنا جميعا كما لفت نظرنا لـذلـك كبير القبيلـة الأفريقيـة ، أن الطمى من أهم العوامـل المشتركة التي جمعت بين سجن الأمير بالكهف الأحمر داخل جبل الهلاك وأيضـا تواجد كرات الطمى داخل صـندوق تعويذة العفو الملكي وأيضـــا صـــندوق وثيقة الحكم ، فقالت فريدة متعجبة من أمر الطمى ! كيف؟ فقال: نعم ، الطمى – ثم وجه حديثه لابن أخيه فقال أتذكر ياجاجان يوم قمت بفتح ذلك الصـــندوق الصـــغيرة كان بداخله قطع من الطمى كانت تلك القطع الصـــغير تقوم بإعاقة تتبع التعويذة من الأمير الهارب حتى قمت أنت وأخرجتها من ذلك الصـــندوق بعيدا هنا علم بمكان وجودها فقام بتتبعها حتى وصل إلى هنا وكنت بذلك قد اقمت أول طقوس عودة الأمير السـجين وهو الاسـتدعاء ولكن ما توصلنا إليه فعلا وأثار كثير من الاستفسارات التي لم نعلم اجابتها بعد ، أن الطمى لم يكن ضـمن طقوس السـحر الملكي لحماية تعويذة العفو كما هو اصـــبح واضـــحا لنا ســـواء من الطلاسم المكتوبة على جدران الكهف أو صندوق حفظ التعويذة أو وثيقة الحكم ، ولكن أضيف ذلك الأمر بعد ذلك لمنع الأمير من تتبع عفوه الملكي ذلك لان الطمى المعجون بماء النيل هو فقط من يعمل على إعاقة حواس الأمير الســـجين ، ولا نعلم كيف يمكن ذلك ؟ فقد يكون باســتعمال الســحر او قوه خارقة أخرى لا نعلم عنها شـيء، أما وقد علمنا بأمر ذلك الطمى فقد قمنا بتحليل جزء صـــغير منه في مختبراتنا العلمية وعمل كثير

من الأبحاث عنه كي نعلم من أي المواد صـــنع ومتى وضـــع داخل الســجن الملكي والصــندوقيين الاثنين الأخرين فعلمنا أن تموضـــعهما لاحقآ حيث كان اســـتعملت الملكة الطمى لحفظ المعدن النفيس بالصـــندوق الأول فقط أما من قام بوضـــعهما لاحقا فلم نعلم من يكون؟ ولماذا قد فعل ذلك؟ ومما ســـبق ســـنعمل اليوم على تجربة قد تنجح وقد لا تنجح؛ وهنا تبادل عزمي وميلاد النظرات ثم صـــمت قليلا وقال: ســنقوم بإخلاء إحدى الغرف من كل الأشياء التي بها ثم نقوم بطلائها بالطمى المعجون بماء النيل حتى النافذة الحديدية التي بالغرفة، ســنقوم أيضـــا بطلائها بذلك الطمى فاذا انتهى الأمر ســيتم طلاء كل شيء كما سيطلى السقف والجدران والأرضية حتى باب الحجرة من الداخل ولن يبقى بها بعد ذلك ســوى فراش صـــغير فقالت فريدة مندهشة فراش داخل تلك الحجرة؟ فقال نعم فقالت ولماذا؟ ســـتعلمون به فقال: ســـتعلمين فور الانتهاء من العمل معاً وبســـرعة ســـنقوم الأن بأخلاء إحدى الغرف قبل أن يأتي أبو محمود بإحضـار الماء والطمى وقد أوشك على الحضـور حتى ننهى هذا العمل قبل حلول الليل.

صـــعد الجميع إلى أعلى الطـابق الأخير من الفيلا، فاختـار الدكتور عوني إحدى الغرف المطلة على الحديقة وكانت من الغرف التي بها بعض الأثاث الغير مستعمل وبعض صـناديق الأجهزة الكهربـائيـة الفارغـة والمقـاعـد المحطمـة، كـانـت هنـاك مروحة مكتب تم غطاءها من الأتربة التي انتشـــرت في كل مكان وعلت كل الأشـياء الموجودة كما عشـشـت العناكب في كل الأركان فكانت تتدلى خيوطها الطويلة متأرجحة ببعض عنـاكبهـا. انتظر الجميع بعض الوقت خـارج الغرفـة إلى أن

فتحت الخادمة النافذة وقامت بشفط كثير من الأتربة المتواجدة بشـــفاط الأتربة الكهربائي، وهنا دخل الجميع مرة أخرى فقاموا بأخلاء الغرفة من كل ما بها من أشـــياء كانت بعض العناكب والأتربة مازالت عالقة بالمكان. فأمر الدكتور عوني الخادمة بمسح الأرضية والحائط وتنظيف المكان نظافة جيدة سريعا.

وأرتفع الصـــخب حول البيت فنظر من أعلى ليرى الجناينى قد أحضـــر برميل الطمى وآخر من الماء، وقد أحكم غلقه كما أن وتجمع حوله عدد من القرويين لمســـاعدتة في حمل البراميل وإدخالها إلى الحديقة وإن لم يعلم أحدهم ما بهذه البراميل. وأخذت الخادمة دلو الماء القذر وأدوات التنظيف وذهبت مبتعدة خارج الغرفة وانطلقت إلى الطابق الأســفل لمســاعدة زوجها فيما يقوم به هناك.

وتوقف الضـــجيج فقد كانت البراميل تتوســـط أرض الحديقة، فانطلق إلى أسفل تاركا أفراد الأسرة منتظرين داخل تلك الحجرة كما قال لهم. توالت أوعية الطمى التي يحملها الجناينى والخادمة إلى أعلى وقد تم عجنها بالماء المعد معهاِ حتى كانت أشـــبه بمعجون لزج فتذكر أكواخ القرية الأفريقية عندما ذهب إلى كبير تلك القبيلة من قبل فكانت بيوتهم مصنوعة من الطمى ومغطاة بفروع الأشجار ... وهنا سأل نفسه ترى هل كانت تلك حياتهم أو تم صـــناعة بيوتهم هكذا من أجل ســـر الصـــندوق الذي كان بحوزتهم. ويحتوي على وثيقة حكم القضـــاء. ثم انتبه أن الجميع يعمل بجد وإن الأمر قد أوشـــك على الأنتهاء وأصبح كل جزء بالغرفة قد طلى بالطمى النيلي الأسود فانتهت تلك الفوضى العارمة وأغلق بابها تاركاً نافذتها مفتوحة حتى تجف تماماً. وقام الخدم بتنظيف المكان أما باقي

الأســرة فقد ذهب كلا منهم كي يغتســل مما علق بأجســادهم وملابســهم الملتصــق بها الكثير من بقايا الطمى، ولم يعلم أيا منهم إلى الأن لماذا تم طلاء تلك الحجرة هكذا ...؟

****

انطلق الحكيم منذ الصـــباح الباكر إلى هناك حيث كان على علم ويقين جيدا أن هزيمه أمير الجيوش لا تبدأ من داخل أسوار المملكة ولكنها تبدأ حيث جبل الهلاك والكهف الأحمر ، حيث سجن أمير الشعوب والذى أصبحت حريته قاب قوسين أو أدنى من ذلك الفتى الذى يحمل تعويذة العفو والخلاص حول معصـــمه ، فأخذ يقاتل لينال حريته ولكن تبقى جنود الملكة وجنوده الشخصية تمنعه من إتمام ذلك الأمر ، كما كان يعلم أيضا أن السحر الذى تم وضعه بعد ذلك دون علم الملكة في بنود تعويذة العفو من هلاك من يعرف السر وأيضا الطمى وباقي ما تم التلاعب فيه من قبل أمير الجيوش ، فأخذ يفكر كيف يمكنه التخلص من تلك البنود التي تم أضافتها على بنود الملكة دون علم منها بهذا الأمر ، فكان يجب عليه أن يعيد تصحيح ما كان خطأ ولكن هل سيستطيع ذلك الأمر

****

ومضـــت ســـاعات النهار بطيئة ظل فيها متخفيا خلف أوراق الأشـــجار الكثيفة متواريا في عمق أغصـــانها حتى تأتى ظلمة الليل، فيتأهب الجميع الكاهن والملكة وأخوه بعد أن أنهوا أعمالهم في شـــئون المملكة طوال اليوم. وبقي الليل للمؤامرات التي ينسجها أخيه في صمت. ومع سواد الليل الذي كان قلبه أشد سواد ا منه، وها هو يرى من جديد الكاهن الحكيم قد عاد

مرة أخرى إلى حجرة الوصـــيفة الملكية وكان يتملكه غضـــب عظيم منذ الليلة الســابقة، فقد علم أمير الجيوش بأمر محبوبته الصـــغيرة ولابد له أن يحذرها لهذا الأمر التي لم تكن تعلم به كما لم أن أمير الجيوش لن يكتفى بتهديده فقط. أما الأن فقد أصـــبح الأمر أكثر مما يحتمله وأصـــبح الخطر لا يهدده هو فقط بل يهدد المملكة بأســرها بعد اعترافات الأمير البغيضـــة. كما أنه يراقبهما وبعد دراية أمير الجيوش بأمر الوصـيفة فماذل هناك شـــيء يجهله ولا يعلمه؛ فلم تكن هذه الوصـــيفة عشـــيقة الكاهن أو حتى زوجته واطمئن قلبه بعض الشـــيء أنه لم يعلم بالحقيقة بعد فكان ما يشـغله الأن هو حماية محبوبته الصـغيرة التي بقيت له من الدنيا بعد وفاة زوجته، فكانت تفاصيل وجهها الجميل تذكره بأمها الراحلة الغالية. فبعد موت زوجته لم يتبق لا ابنتـه وأحد يهتم برعايتها إلى أن فكر في أمر ما وهي أن يتخذها وصـيفة للملكة التي تثق به ولم تسـأله في ذلك الأمر. فتكون بالقرب منه طوال الوقت أيضـــا تكون تحت أمرته فقط تأخذ أوامرها منه وليس من كبير الخدم كما هو متبع بالقصـــر حتى وإن اختلى معها بعض الوقت كان ذلك الأمر غير مثيرا للشـبهات أو تسـاؤلات أحد مما حوله أو حولها .... فكانت لا تترك الجناح الملكي أبدا منذ أن أحضـرها إلى القصـر ومضـت الســـنوات إلى أن علم أمير الجيوش بأمرها، ولكنه لم يعلم إلى الأن من تكون فهل يمكنه حمايتها من ذلك الأمير الغادر الذي يكاد يقضى على أمة وأخوه من أجل حلمه المريض في احتلال وغزو الممالك الأخرى فقط ليصـــبح الإمبراطور العظيم وان كانت أمه لا تمثل له الكثير من الشـــأن فهل يتورع في إيذاء أبنته الوحيدة، ويكون ذلك الأمر أمام عينيه؟ لقد فعل الكثير من أجل إبقاء هذا الأمر سرا فكثيرا ما ساعده كي يصبح وليا

للعهد وكان هذا الأمر جديد على المملكة، فقد كان الحكم دائما ما بين الملكة وبين كبار المملكة من القادة كما هو الوضع مع الملوك السابقين، وتذكر بنود العفو الذي أضافها ولم يكن يعلم ذلك الأمر الخطير حتى علم الكاهن وناقشه أقنعه بآرائه وان هذا الأمر في صالح المملكة التي يخشى هلاكها من انتقام الأمير السجين إذا حصل على العفو ونال حريته كما أيضا كان فزعا على أمة من الانتقام. وكثيرآ من المبررات قالها في ذاك الحين، أما الأن فقد اعترف في فخر بغيض بما فعل وبما يريد أن يفعله وأصبح الأمر خطيراً واستشاط غضبا على غضب وقال لا كما يجب أن يتم تأديب ذلك الأمير المجنون مما صنع مع أمه وأخيه دون علمهما ولكن كيف؟

فتحت الوصيفة الملكية باب حجرتها الأنيقة فوجدت أبواها قد أتى منذ قليل وكانت علامات الحزن والغضب على وجهه فأوصدت سواعدها حول عنقه ثم قبلت رأسه حيث كان جالسا بجوار النافذة ينظر في الفضاء الفسيح دون أن يتحدث ثم أمسكت بيده قائلة ماذا بك أبى الحبيب ففزع من الكلمة وقال مؤنب لها ألم أقل لك من قبل ألا تذكري هذه الكلمة هنا أبدا أنسيت ما قد قلت لك من قبل ثم قام يتلفت حول النافذة وبجوار باب الغرفة عسى أن يكون هناك من يتجسس عليه من جند الأمير حتى أطمأن أن ليس هناك أحد من جواسيسه تنفس الصعداء وجلس من جديد حقا لم يكن هناك من يراقبه خلف الأبواب ولكن كان هناك من يراقبه خلف فروع الأشجار وقد سمع كل شيء .

اقترب كثيرا من ابنته وقال لها في حنان بالغ ما حدث بينه وبين الأمير ليلة أمس ولكن لم يعلم الأمير إلى الأن من

تكوني ســـوى أنك محبوبتي ثم ابتســـم وقال نعم يعلم ذلك محبوبتي الجميلة ولكن يجب أن أخفيك في مكان ما. مكان لا يســتطيع الوصـــول إليك حتى يمكنني أن أصـــحح كثيرا من الأخطاء بهدوء تام كما حدثت الأخطاء بهدوء تام فلم أكن على علم بما يريد الأمير من القيام به ســـوى أن كل ما كان يفعله لصـالح الملكة والمملكة، لم أكن أدرى بما يخطط أو كيف فعل ذلك بأخيه وأمه. فقالت له ولكن كيف؟ فرد قائلا لقد قمت بالفعل اليوم بأول تلك الخطوات ولكن يبدو أنها كانت متأخرة فقد حاولت إفزاع عم الفتى الأمير المخلص من فعل شيء كان ينوى القيام به كنت قد اتخذت فأرا قد وثب فجأة فوق صدره ثم هرب فورا وكنت انظر بعيدا كي أثنيه عن حديثة مع أفراد أســـرته وأروعه فلا يقوم بما ينوى القيام به ولكن فشـــل الأمر ويجب أن أفكر بهدوء أولا ولكن يجب أن أخبأك كما قلت سابقا حتى لا تكوني العصـــــا التي يحملها ولى العهد خلفي فلا أستطيع التحرك بيسر وسهولة ...

فقالت له ولكن أين يمكنك إخفائي منه .... فنظر لها ولم يتكلم ثم قال هناك شيء يجب أن أعرفه أولا ثم أقول لك ... سأذهب ولكن سأعود بعد قليل من الوقت فاحترس لنفسك جيدا. وانطلق الكاهن الحكيم وقد دق بعصـــاه في أرض الغرفة فانتبهت ابنته لذلك الأمر الذي لا يفعله إلا إن كان السفر طويلا وطويلا جدا ... خارج المملكة ....

لم يلبث الأمر إلا ســاعة من الوقت وكان صــولجانه يدق دقة صغيرة على أرض غرفتها مرة أخرى ثم ظهر لها وقد حزم أمره فقال لها مسرعا أعدى أمرك سريعا قبل انتصاف الليل سترحلين

إلى هناك ســـيكون مخبئك الذي اخترته لك حتى ينتهي ذلك الأمر فقالت إلى أين فقال: حيث جبل الهلاك.

ففتحت عينها من الدهشة وأيضا هناك خلف فروع الأغصان قد من تملكته الدهشـــة أكثر منها. فقالت أختبئ مع الأمير الســـجين، ولا تخف من ذلك الأمر فقال :لها بل جبل الهلاك يحتوى على كثير من الغرف والممرات لا يعلم عنها شـــيء سوى أنا فقط من طول الوقت الذى قضيته في حراسة الأمير الصـــغير وملئت عينيه لمســـة من شـــجنا عظيم ثم قال لن يصـــل إليك الأمير الســـجين فهو قد شـــغل بالبحث عن حريته وهذا الجبل لا يمكن لأمير الجيوش أن يقترب منه أبدا الان لأنه لو قام بهذا الأمر ســـتراه جنودي وجنود الملكة المراقبين ليل و نهار كما أن حراســـة الجبل والكهف تحت ســـلطتي المطلقة ولذلك فهو مكان أمن اســـتطيع أن اضـــعك فيه ... فقالت ولكن إن وجدني الأمير الســـجين فقال لها لا أعلم ماذا سيكون الأمر حينئذ ، ثم صمت. كان هناك يترقب وقد اصابته الدهشـة والحيرة ولكن لازال بقايا حب يحمله للكاهن الحكيم فلم يفكر في استغلال هذا الموقف وايذاء ابنته الوحيدة، ولكنه تنهد في آســـى أن هناك من يدافع عن أبنائه، وهناك من يقوم بإيذائهم لم يهتم كثيرا بهذا الأمر، ولكن كان يشـــتاق أن يرى عين أخيه حين يعلم باختفاء محبوبة الكاهن والذي يعلم إنها عشيقته وليس ابنته الوحيدة. فابتسم في نفسه وقد نسى الابتسام منذ زمن طويل ...

وانطلق الكاهن الكبير وقد أخفى ابنته الصـغيرة داخل عباءته، فلم تكن تتمتع بقوى ســـحرية كما يتمتع هو بها فقد كان ممنوع عليه من إعطاء ابنته بعض قواه الســـحرية حيث كان ممنوع

عليه الزواج، وبقيت الغرفة كما هي لم يتغير بها شيء إلا شيئاً واحداً فقط وهو اختفاء الوصيفة الملكية.

وها هو الليل قد اقترب من الانتصـــاف واقترب موعد نســـيج المؤامرات داخل حجرات القصر الملكي مع وصول ولى العهد إلى بوابة القصـــر حتى اقترب من الطابق الملكي الذي كان أعلى طوابق القصـــر. وغير مســـموح لأي أحد من العاملين بالقصـــر الاقتراب من ذلك الطابق أبدا إلا بأمر من أمير الجيوش أو الكاهن الحكيم شخصيا.

كان لذلك الطابق عدد من الممرات المختلفة الذي يؤدى كلا منها إلى جناح خاص بساكنيه، فكان جناح الملكة أخر الممر وكان يحتوي على ثلاثة غرف منفصلة كانت تستعمل من ذي قبل لزوجها وأبنائها الأميران إلى أن أصـــبحا فتيان أقوياء أخذ كلا منهما جناحه الخاص. فكان الممر الأول يســـكنه أمير الجيوش، والممر قبل الأخير كان يسكنه أمير الشعوب والذي مازال مغلقا منذ رحيله إلى الســـجن، أما الممر الأخر فكان به غرفة الكاهن الحكيم وغرفة لوصيفة الملكة. أما الطابق الأسفل فكان به الغرف يستعملها أمير الجيوش او الكاهن الحكيم فقط.

واقترب أمير الجيوش من حجرة الكاهن ودفع بابها في توتر وعصبية. فلم يجده بها، فانطلق حيث غرفة الوصيفة الملكية فامســك مقبض بابها ثم نظر إلى الأرض وهز رأســه وابتســم بدهاء قائلا: ذلك العجوز مازال يجد وقتا لهذه الأمور ثم لم يلبث فقام بدفع بابها دون أذن؛ ليجد الكاهن الحكيم جالســـاً فنظر إليه ثم دار بعينه في أرجاء المكان فوجد ملابس الوصـيفة معلقة على أحد جوانب الحائط وأيضـا أدوات الزينة وزجاجات عطرها كما هي بجوار مرآه الزينة التي تتوســـط

غرفتها، فقال مستهينا بالأمر أين هي؟ فقال الكاهن بكثير من الهدوء والوقار أتريد الوصـــيفة أيضـــا؟ يبدو أنها لدى الملكة تفضل انتظر معي أنا أيضا أريدها.

فقال بدهشة من أسلوب الحوار التي يتبعها الكاهن معه، فنظر إليه وقال: تعلم أنى أريدك أنت ولا أريد محبوبتك ثم ضحك ساخرا وقال: ماذا فعلت فيما طلبت منك فأجابه الكاهن بفتور يفوق ثلوج الشتاء وماذا طلبت؟ فاستشاط غضبا وقال: أتهذء بي، أهناك موضوع أخر بيننا سوى القبض على الأمير !! ثم فماذا فعلت في هذا الأمر الذي قد أمرتك به أنا ولى العهد الملكي فأجابه الكاهن ممتلك رباط جأشه، ولماذا يتم القبض على الأمير السجين؟ وهذا الأمر غير وارد في العفو الملكي؟ أيضا لا يمكنك أن تتدخل في هذا الأمر لأنه أمر ملكي وحكم من القضاة؟ واستشاط غضبا وقام بتوعده أن يكشف أمره للملكة فقال له: وماذا ستقول للملكة أيها الأمير؟ ثم ابتسم في دهاء

-أفشي سرك أيها الكاهن الحكيم

-وأي سر يا مولاي تعلم أن ليس لي أسرار

-محبوبتك ...

-فضحك الكاهن طويلا ثم قال: ... وأين هي؟

من الخطأ يا مولاي أن تتهم أحدا دون وجود الدليل وعندما يتعلق الأمر بكبير الكهان في أعظم الممالك يجب أن تتوخى الحذر قبل القيام بهذا الأمر.

-فاستشاط غضبا وأخذ يبتحث عنها في الغرفة التي لم يكن بها أحداً أبدا سواهما فانطلق إلى غرفة الملكة فطرق بابها ودخل إليها فرأى الملكة مستلقية بفراشها وقد ذهبت في نوم عميق حيث لم يغمض جفنها منذ ليلة أمس حتى لاح الصباح. وخرج مسرعا

مره أخرى إلى حجرة الوصيفة فكان الكاهن لازال جالسا لم يغادر مكانه كما كان شديد الهدوء فاقترب منه في عضب وجزب ملابسه وصرخ مهددا، فقال: ماذا فعلت بعشيقتك أيها الكاهن؟ هل أخفيتها؟ أتعلم أنى أستطيع أن أجدها في أي مكان وهنا لن أرجعها إليك. تعلم ماذا سأفعل بها؟ أستطيع أن املأ كأسك بدمائها، أو أرسل إليك برأسها لترى هل مازال جمالها الباهي كما هو. أم لا؟

وانطلق خارجا متوعدا بمستقبل حزين للكاهن الذي ظل محتفظا بهدوئه كما كان، فقد هدأت نفسه قليلا وأخذ يفكر كيف له من اصلاح الأمر؛ وها هو قد اطمئن على ابنته بعيدا في الكهف الأحمر، فقد كان هذا المكان لا يخطر على فكر ولى العهد. أيضا قد أرسل ابنته سابقا لتعتذر من ملكة البلاد في الذهاب إلى أسرتها بعض الوقت لأمر هام حتى لا تثير هواجس الملكة، وذهب ولى العهد غاضبا أشد الغضب، ولم ينتظر حتى صباح اليوم بل أمر جنوده بالبحث عن وصيفة الملكة وراء كل باب وفى كل مكان.

كان ينتظر خلف فروع الأشجار وكانت الدموع أن تتساقط من عينه فرحا وهو يسمع الكاهن الحكيم رافضا أمر أخيه بالقبض عليه وهنا لاح إليه أن الأمر قد أصبح قريبا، وقد ينال حريته أيضا بمساعدة الكاهن الذي كان مشاركا في مؤامرة ولى العهد دون علماً منه في بعض الأشياء وتهديده في بعض الأمور الأخرى، ولكن ها هو كما يعلمه دائما يضع صالح المملكة أولا والذي رأى أن الخطر قد أصبح قريبا منها إذا نفذ الأمير ولى العهد ما يخطط له منذ زمن بعيد وبعيدا عن عيون الملكة أيضا ...

وها هو الصـــباح قد امتدت خيوط نوره الفضـــية لتبدد ظلمة الليل، وها هو الأمل يعود ليبدد ظلمة قلبه الجريح فيضـــيئ من جديد كما أضاء الصباح الدنيا فبدا جمالها واضحا بعد أن قد توارى خلف ظلمة الليل الطويل.

وها هو قد أصـــبح على يقين أن قلب أمه مازال يحمل عطفا وإشـــفاقا عليه. وانطلق يعلو وجهه الأمل إلى حيث الأمير المخلص. واقترب من أســوار الفيلا، ولكن أصــابه اليأس مرة أخرى وكان تلك المرة أكثر من ذي قبل فقد علم الدكتور بأمر ســر الطمى، وها هو يرى الفتى وقد وضـــعه عمه داخل تلك الحجرة حتى تنقضـــي الشـــهور القليلة من عمره ليكمل عامه العشـــرون، وهنا ســـيعود لينتظر مائة عاماً أخرى، ولكن لم يســتطع أن يتحمل فكرة الانتظار مرة أخرى وخصــوصــا بعد علمه بما يدور بالمملكة، فانطلق حيث المكتبة حيث مكان الدكتور عوني يجلس بها كل صـــباح فاخترق بابها وأصـــبح قائما أمامه وأصــبح وجهه الغاضــب مثل شــياطين الأرض. فنظر كلآ منهما إلى الآخر فهب واقفا وتملكه الرعب فقد علم ما يدور بعقله حين شـــاهد الفتى بحجرة الطمى فلم يســـتطع الاقتراب من الحجرة أو منه ... فأخذ يتحسـس طريقه إلى باب المكتبة ببطيء محاولا الهروب منه فقام بقبض يده في شـــدة وغضـــب قائلا: الفتاه مازالت عندي ... أطلق الفتى لي أم أرسل لك رأس ابنتك ....

وقام بقذفه بقوه، وقســوة، وعنف فارتطم جســده بالحائط فســقط مغشـــيا عليه وانطلق الأخر فقد خرج الأمر من يده حيث لا سلطان له الأن على الفتى المختبئ بحجرة الطمى،

انتبه الجميع إلى السقطة المدوية بحجرة المكتبة فأسرعوا جميعا إليها ليجدوا أن الدكتور غارقا في دمائه فاقداً للوعي فاستدعى الدكتور ميلاد سيارة الإسعاف.

وبعد عده أيام تماثل الدكتور عوني للشفاء وعاد إلى البيت من المشفى متوجها لحديقة منزله وسط أسرته وكان الفتى خلف نافذة تلك الشرفة المطلية بالطمى ومازال هناك أيضا ذلك الصقر الذي لازال جالسا بجوارها فأخذ يتحدث إليه فلم يكن هذا الصقر

سوى الكاهن الحكيم الذي وعدته بعوده فتاته ليبقى الصراع داخل عالمه فقط كما يمكنه اصلاح الأمر لينال الأمير عفوه الملكي بمساعده الملكة التي اطلعها على كافة التفاصيل.

بشأن تزوير وثيقة العفو من قبل أمير الجيوش لكنه لم يعترف بأمر أبنته الوصيفة وماذا ستفعل الملكة؟ هل ستتريث وتقوم بإصلاح ما افسدت من أبنائها؟

أما فهو فجلس بجوار حمام السباحة كعادته وأخذ يعد الأيام حتى يكمل الفتى عامه العشرين لتنجو الأسرة من ذلك الكابوس وينجو كثير مما علم بهذا السر كان يعلم لو انتهى الأمر قد تعود ابنة أخته وخطيبة جاجان ولكن لم يكن على علم أن الأمر سينتهي كذلك أم لا وأخذ ينظر إلى الفتى الذي مد يديه خارج النافذة وأخذ يتحدث مع الصقر. فكان يتمنى أن يذهب إليه بعض الوقت في غرفته ليعينه عما فيه ولكن استحال عليه الأمر وفقد القدرة على الحركة وأصبح عاجزا جليسا لا يتحرك.

****